بسم الله الرحمن الرحيم

الفكر السياسي في سورية في ظل الانتداب الفرنسي

١٩٢٠-١٩٤٦

٦١٢

عميد كلية الدراسات العليا

إعداد

مصطفى عبد الرحمن مازن العساف

المشرف

الأستاذ الدكتور علي محافظة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الدكتوراة في التاريخ

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

كانون أول ١٩٩٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ: ١٩٩٧/١٢/٢٧

أعضاء لجنة المناقشة:	التوقيع
المشرف الأستاذ الدكتور علي محافظة	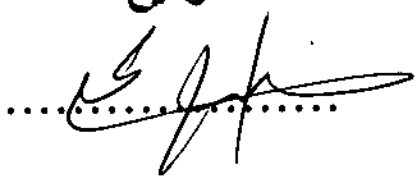
الأستاذ الدكتور عبد الأمير أمين	
الدكتورة سهلية الريماوي	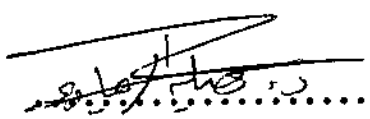
الدكتور ممدوح الروسان	

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهداء

إلى بني أمتي

إلى أهلي وأسرتي

اهدي هذا العمل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر وتقدير

بعد أن وصل هذا العمل إلى ما وصل إليه، فإنني أتوجه بالشكر الجزيل والتقدير الكبير

لأستاذي الفاضل

الأستاذ الدكتور علي محافظة

الذي أعطى هذه الرسالة جهداً ووقتاً كبيرين منذ كانت فكرة وحتى أصبحت عملاً مشاهداً ، فكل الشكر والثناء لأستاذي الكبير

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
الإهداء	ج
الشكر	د
المحتويات	هـ
الملخص	ط
المقدمة	ك
الفصل الأول: تطورات الفكر السياسي في بلاد الشام (١٨٥٠-١٩٢٠)	١-٥٥
بدايات الوعي الفكري العربي	٢-٣
بدايات الوعي السياسي والتيارات الفكرية	٣-٤
أولاً: التيار العثماني	٤-١٣
ثانياً : التيار الإسلامي	١٣-٢٢
ثالثاً : التيار الاستقلالي	٢٢-٢٥
التطورات الفكرية بين عام (١٩٠٨-١٩١٦) الموقف من إعلان الدستور	٢٦-٣٠
الفكر القومي العربي وسياسة الاتحاديين التتريكية	٣٠-٣٦
جمعية العربية الفتاة	٣٦-٣٨
المؤتمر العربي الأول في باريس ١٩١٣	٣٨-٤٠
الاتجاهات السياسية في المؤتمر	٤٠-٤١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاتجاه اللامركزي العثماني	٤١-٤٤
الاتجاه الاستقلالي القطري	٤٤-٤٧
الاتحاديون والمؤتمر	٤٧-٤٩
العهد الفيصلي	٤٩-٥٥
الفصل الثاني: التيارات الفكرية وتنظيماتها السياسية	٥٥-١٠٧
التيارات الفكرية وتنظيماتها السياسية	٥٦-٥٨
التيار القومي	٥٨-٦٥
التنظيمات القومية	٦٥-٧٩
التيار الإسلامي	٨٠-٨٣
أهم التنظيمات التي نشأت في ظل هذا التيار	٨٣-٩١
التيار الوطني القطري	٩١-٩٢
أهم التنظيمات القطرة والوطنية	٩٣-١٠٧
الفصل الثالث : الفكر السياسي والقضايا القطرية	١٠٨-١٧٤
الموقف من الانتداب	١٠٩-١١١
حقي العظم	١١٢-١١٤
علاء الدين الدروبي	١١٤-١١٦
موقف الصحافة	١١٨-١٢٢
التيار الاستقلالي الرافض للانتداب	١٢٢-١٢٥
النضال السياسي	١٢٥-١٢٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النضال السياسي باتجاه فرنسا	١٢٦-١٣١
النضال السياسي من خلال البرلمان	١٣١-١٣٤
وزارة التفاهم النزيه	١٣٤-١٣٦
المعاهدة الفرنسية السورية	١٣٦-١٤١
النضال السياسي باتجاه عصبة الأمم	١٤١-١٤٣
الكفاح المسلح	١٤٣-١٤٥
ثورة الشمال (ثورة إبراهيم هنانو)	١٤٦-١٤٨
معركة ميسلون	١٤٨-١٥٠
الثورة السورية الكبرى	١٥٠-١٥٢
الطابع التنظيمي للثورة	١٥٢-١٥٥
الفكر السياسي للثورة	١٥٥-١٦١
الوحدة الوطنية : سياسة الانتداب الطائفية واستغلال الاقليات	١٦١-١٦٧
الوطنيون والوحدة الوطنية	١٦٧-١٧٠
الصحافة والوحدة الوطنية	١٧٠-١٧٢
الوحدة الوطنية في برامج التنظيمات	١٧٢-١٧٤
الفصل الرابع:علاقة الفكر السياسي بالنظريات السياسية الغربية	١٧٥-٢٤٨
البدايات الأولى للاتصال بالغرب والتأثر به	١٧٦-١٨١
الديمقراطية	١٨١-١٨٤
الديمقراطية في العهد الفيصلي	١٨٤-١٨٦
الديمقراطية والحريات العامة في عهد الانتداب	١٨٧-١٨٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المجلس التأسيسي لعام ١٩٢٨ والدستور	١٩٨-١٨٩
الدستور والطائفية	٢٠٠-١٩٨
المجلس النيابي في عهد حكومة الكتلة الوطنية	٢٠١-٢٠٠
نشؤ المعارضة في البرلمان	٢٠٣-٢٠١
الأممية الماركسية : الظروف الدولية	٢٠٦-٢٠٤
نشأة الحزب الشيوعي السوري	٢٠٨-٢٠٦
خالد بكداش والحزب الشيوعي السوري	٢١١-٢٠٩
الفكر السياسي للحزب الشيوعي	٢١٧-٢١١
المؤتمر الوطني للحزب الشيوعي سنة ١٩٤٣	٢٢٧-٢١٧
التأثر بالفاشستية والنازية	٢٢٩-٢٢٧
الموقف من الحركة الصهيونية	٢٣٧-٢٣٠
الحركة النسائية ودعوات التغريب	٢٤٩-٢٣٨
الخاتمة	٢٥٠-٢٤٩
المصادر والمراجع	٢٦٤-٢٥١
الملاحق	٢٩١-٢٦٥
الملخص باللغة الإنجليزية	٢٩٣-٢٩٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملخص

الفكر السياسي في سورية في ظل الانتداب الفرنسي ١٩٢٠-١٩٤٦

إعداد

مصطفى عبد الرحمن مازن العساف

إشراف

الأستاذ الدكتور علي محافظة

شكلت مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى تحولاً واضحاً في تاريخ الوطن العربي . حيث انهزمت الدولة العثمانية التي كانت تحكم هذا الوطن وتوسعت الحركة الاستعمارية الغربية في داخل الوطن العربي التي أفرزت فيما بعد الكيانات السياسية القطرية والإقليمية.

ونظراً لخطورة هذه المرحلة وبما حملته من تغييرات على الحياة العربية بنواحيها كافة ، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية . فانه ينبغي الوقوف عندها ودراسة نواحيها المختلفة ، ولما كان للناحية الفكرية دوراً أساسياً في التأثير والتوجيه على النواحي الأخرى فقد كان موضوع الفكر السياسي في سورية ١٩٢٠-١٩٤٦ مجالاً للدراسة خصوصاً وان سورية قد شكلت هي الأخرى خلال تلك الفترة موقعاً متقدماً في حركة التفاعل الفكري السياسي العربي والتأثير فيه. وقد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تم معالجة موضوع الدراسة من خلال أربعة فصول . ففي حين عالج الفصل الأول التطورات الفكرية في بلاد الشام ما بين ١٨٥٠-١٩٢٠ ، ذلك إن هذه الفترة وثيقة الصلة إلى حد كبير بمرحلة الدراسة ، عالج الفصل الثاني التيارات الفكرية وتنظيماته السياسية والتي كانت قد احتوت ثلاثة تيارات رئيسية وهي التيار الإسلامي والتيار القومي والتيار الوطني القطري . أما الفصل الثالث والذي كان تحت عنوان الفكر السياسي للقضايا القطرية فقد عالج قضيتين اثنتين هما الوحدة الوطنية والانتداب وموقف الفكر السياسي منهما ، أما الفصل الرابع فقد عالج العلاقة فيما بين الفكر السياسي في سورية والفكر السياسي في أوروبا.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمة:

تكمن أهمية الفكر بأنه هو الموجه لمسار حياة الإنسان بنواحيها كافة . فما يصدر عن الإنسان من آراء وأفعال وأحداث ، سواء على مستوى الفرد أو الجماعة، إنما هو وليد قناعات فكرية . ولا شك أن الفكر السياسي يحتل الموقع المتقدم في التأثير على الأنماط الفكرية الأخرى عند بني الإنسان .

ولما كان للامة العربية التي حظيت بالإسلام عقيدة لها من دور فكري وثقافي متميز عبر تاريخها الطويل ، في عملية التفاعل الحضاري الإنساني ، فإن الوقوف عند نقاط التحول التاريخي لامتنا العربية الإسلامية يصبح ضرورة ملحة لاستجلاء معالمها وفهم تطوراتها .

ولعله في هذا الإطار تأتي مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى ، التي أفضت إلى انهزام الدولة العثمانية ، والى سيطرة الحركة الاستعمارية الغربية على أقاليم وطننا العربي ، عبر أسماء وصيغ مختلفة في الشكل متفقة في المضمون ، مثل: الاستعمار ، الانتداب ، الوصاية ... وغير ذلك مما حاولت الحركة الاستعمارية الغربية أن تبتدعه من أسماء وأساليب لتضفي على نفسها الطابع الشرعي لوجودها .

وسورية – المقصودة بالدراسة هي سورية الاقليم التي وقعت تحت الانتداب الفرنسي ١٩٢٠-١٩٤٦، فإنها كانت كغيرها من أقطار الوطن العربي مستهدفة لحركة الاستعمار الغربي منذ فترة طويلة، تشكل دراسة الفكر السياسي فيها خلال مرحلة الانتداب أهمية علمية ذات شان خاص لعدة أسباب ومبررات هي :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١- أن سورية شهدت خلال مرحلة النصف الثاني للقرن التاسع عشر ، حركة ثقافية وفكرية نشطة ، ساهمت في تنامي الوعي القومي العربي ، والذي استمر حتى وجد نفسه وجهاً لوجه مع سياسة الاتحاديين التتريكية ، والتي أفضت في نهاية الأمر إلى الانفصال العربي التركي . وكان للفكر السياسي الذي شهدته هذه المرحلة العلاقة الواضحة في الفكر السياسي إبان مرحلة الإنتداب .

٢- أن مرحلة الانتداب أعطت المجال للتماس المباشر بالغرب ، والاتصال بفكره وثقافته وكشف نواياه وساهمت هذه المرحلة إلى حد كبير في التمايز الحاصل فيما بين أصحاب الاتجاهات الفكرية المختلفة .

٣- كرست تلك المرحلة واقعاً سياسياً جديداً ، قام على الإقليمية والقطرية، كان لابد إزاءه من دراسة الفكر السياسي وموقفه من هذا الواقع الجديد .

٤- ولعل أهم ما يبرر الدراسة ، هو انه رغم المبررات الوارد ذكرها فان الفكر السياسي في سورية في ظل الانتداب لم يحظ بدراسة متخصصة . نعم هناك الكثير من الدراسات والأبحاث التي تم إعدادها حول الفترة ، لكنها كانت تهتم بجوانب أخرى غير الفكر السياسي . فكان هناك دراسات اعتنت بتطور الأحداث وتسلسلها دون أن تتعمق في الفكر السياسي الذي كان يوجه تلك الأحداث ، إلا ما جاء عَرَضاً في هذا الكتاب أو ذاك. فكان في هذا ما يستدعي القيام بهذه الدراسة وإعدادها.

كانت الخطة التي سارت الدراسة عليها ، تقوم على تقسيمها إلى فصول أربعة كانت على النحو الآتي:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول:

والذي كان تحت عنوان التطورات الفكرية ما بين ١٨٥٠-١٩٢٠. وهي كما سبقت الإشارة أن لهذه الفترة سمات خاصة ، شكلت إلى حد كبير العمق التاريخي ، والفكري ، لفترة الانتداب وتطوراتها الفكرية ، وبهذا كان لا بد إذن من إلقاء الضوء عليها .

الفصل الثاني:

والذي جاء تحت عنوان التيارات الفكرية وتنظيماتها السياسية ١٩٢٠-١٩٤٦، فقد تم البحث من خلاله في التيارات والاتجاهات الفكرية خلال عهد الانتداب والتي كانت قد احتوت ثلاثة خطوط رئيسية وهي :

أ- التيار الإسلامي : والذي انطلق من كون الشعب السوري بعامته ينتمي إلى الإسلام ، ويدين به ، وقد تشكل في ظل هذا التيار تنظيمات وجمعيات إسلامية كان أهمها تنظيم جماعة الإخوان المسلمون . والتي كانت في واقع الحال امتداداً لجماعة الإخوان المسلمين في مصر .

ب- التيار القومي : والذي كان يؤكد باستمرار على العروبة رابطة وهوية يلتقي عليها أبناء العرب في أنحاء الوطن العربي كافة . وكان أن تشكل في ظله عصبة العمل القومي وحزب الفتوة العربي ، كما أن البدايات الأولى لحزب البعث العربي قد بدأت خلال تلك الفترة .

جـ- التيار الوطني القطري : والذي نشأ كاستجابة للمستجدات السياسية التي نشأت بسيطرة الانتداب الفرنسي على سورية ، مما استدعى الانصراف عند أصحاب هذا الاتجاه من المفكرين السياسيين والعاملين في الحقل السياسي أن يجعلوا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في أولوياتهم الاهتمامات القطرية والوطنية . وكانت أهم التنظيمات التي نشأت في ظل هذا التيار تنظيم الكتلة الوطنية .

الفصل الثالث:

والذي جاء تحت عنوان الفكر السياسي والقضايا القطرية ، والذي عالج قضيتين اثنتين ، الوحدة الوطنية والانتداب ، وموقف الفكر السياسي منهما.

الفصل الرابع:

والذي هو الفصل الأخير ، فقد عالج العلاقة في ما بين الفكر السياسي في سورية والفكر السياسية في أوروبا من خلال الآتي :

١- الديمقراطية .

٢- الأممية الماركسية .

٣- الحركة الصهيونية .

٤- الفاشستية والنازية .

٥- الحركة النسائية ودعوات التغريب.

المصادر والمراجع :

تشكل المصادر الأولية لأية دراسة تاريخية عامل إثراء ، يعطي الدراسة القيمة العلمية المتوخاة منها . ولأجل الحصول على اكبر قدر ممكن من المصادر الأولية فقد اقتضى الأمر مني الذهاب للمراكز العلمية في دمشق ، فزرت المكتبة الظاهرية ومكتبة الأسد ومركز الوثائق التاريخية . وهناك حاولت الحصول على ما

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يمكن الحصول عليه ، وبحسب ما يُسمح به . سواءً بالدوريات الصحفية ، التي كانت تصدر خلال فترة الدراسة ، أو الوثائق والمراسلات التي كانت تتم آن ذاك ، والتي كان بعضها ما زال مخطوطاً بخط اليد .

ويمكن الوقوف على أهم تلك المصادر الأولية على النحو الآتي :

أولاً الدوريات :

شكلت الدوريات بمجملها العام مصدراً أساسياً لمعرفة اتجاهات الفكر السياسي وذاك بما احتوته من مقالات وأبحاث ، ولعل أهم تلك الدوريات هي :

١- جريدة العروبة ، وهي جريدة يومية سياسية أسسها صبحي زخور في انطاكيا سنة ١٩٣٧ ، وتبنت الجريدة الدعوة للقومية العربية وشرح أهدافها ، فكانت النزعة القومية واضحة عليها . سواءً باسمها أو بمنطلقاتها وتحليلاتها وكانت بمواقفها مناهضة للانتداب ، وتدعو لمقاومته .

٢- جريدة الجزيرة ، والتي أسسها في دمشق تيسير ظبيان ، وكانت بخطها العام تجمع بين القضايا الوطنية مع الميل للاتجاه الإسلامي . ووقفت الجزيرة موقفاً مناهضاً للانتداب وعطلتها سلطة الانتداب اكثر من مرة .

٣- جريدة ألف باء ، والتي أسسها يوسف العيسى في دمشق ، وقد تبنت الدعوة لموالاة الانتداب لما رأته فيه من ضرورة لأجل الارتقاء بشأن سورية .

٤- جريدة سورية الجديدة ، والتي تأسست أيضاً في دمشق وكان خطها الفكري موافقاً لما كانت عليه جريدة ألف باء .

٥- مجلة الطليعة ، والتي قام بتأسيسها بدمشق مجموعة من الكتاب كان منهم كامل عياد ، رشوان عيسى ، رئيف خوري ، سليم خياطة ، وتبنت المجلة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفكر الأممي الماركسي ، ودعت إليه ، وكانت تصف نفسها بأنها رسالة التحرير الفكري ، وإنها تبحث في العلم والأدب والاجتماع ، وهي مجلة شهرية تصدر كل شهر مرة .

٦- مجلة الحديث ، تأسست في حلب سنة ١٩٢٧، ورأس تحريرها سامي الكيالي ، والمجلة تبنت الدعوة للاتجاه الليبرالي الغربي فكانت تدعو باستمرار إلى حرية الفكر والرأي والى تحرير المرأة السورية لتلحق بالمرأة الأوروبية وتدعو إلى التجديد ونبذ القديم ، وهي أيضاً شهرية .

٧- مجلة الثقافة ، هي أيضاً مجلة شهرية أسسها في دمشق خليل مردم بك وجميل صليبا وكاظم الداغستاني وكامل عياد سنة ١٩٣٣ ، وهي في دعوتها وخطها الفكري كانت تدعو باستمرار للحاق بالغرب والإقتداء به . من خلال ما كانت تطرحه من تراجم لمفكري الغرب وشرح نظرياتهم الفكرية.

ثانياً المذكرات:

يمكن القول هنا بان المذكرات الشخصية للذين كانوا قد عاصروا فترة من الفترات تشكل مصدراً أولياً ذا قيمة خاصة لا يمكن الاستغناء عنه ، وذلك بما يذكره أصحاب المذكرات عن معايشتهم للأحداث ، ومشاركتهم بها . وكانت المذكرات التي أفادت في موضوع الدراسة :

١- مذكرات حسن الحكيم .

٢- مذكرات سلطان الأطرش .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- مذكرات علي الطنطاوي .

٤- مذكرات الدكتور عبد الرحمن الشهبندر .

٥- مذكرات خالد العظم .

٦- مذكرات شكيب أرسلان .

٧- مذكرات فخري البارودي .

٨- مذكرات محمد كرد علي .

٩- مذكرات القائد سعيد العاص .

١٠- مذكرات سليم علي سلاّم .

١١- مذكرات سليمان فيضي .

ثالثاً : المؤلفات المعاصرة لفترة الدراسة :

أما المؤلفات التي كتبها واعدها الذين عاصروا تلك الفترة ، فكان أهمها:

١- كتاب قصة الكفاح الوطني ، لمؤلفه علي رضا ، وهو كتاب يحتوي على كم كبير من تفاصيل الأحداث وأسماء العديد من المناضلين والمجاهدين وهو يركز على عمليات الكفاح المسلح ضد الانتداب .

٢- كتاب تاريخ الثورة السورية ، لمؤلفه محي الدين السفرجلاني ، وهو أيضاً كتاب واسع في معلوماته خصوصاً عن الثورة السورية ، وتطوراتها واحتوى عدداً لا بأس به من المراسلات والبيانات التي تكشف عن الفكر السياسي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- كتاب المراحل ، لمؤلفه الدكتور عبد الرحمن الكيالي ، وهو يقع في أربعة أجزاء . وهو في الحقيقة يوثق للمراسلات والبيانات والمؤتمرات التي أغنت في فهم الفكر السياسي خصوصاً الذي صدر عن الكتلة الوطنية .

رابعاً المراجع الحديثة:

على ندرتها المراجع الحديثة في الموضوع فإنها تبقى ذات أهمية لما أفادت به في الكيفية التي تمت بها معالجة الدراسة ، وكان من أهم تلك المراجع :

١- كتاب الدكتور وجيه كوثراني ، الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان ١٨٦٠-١٩٢٠ ، حيث ساعد هذا الكتاب في فهم الاتجاهات الفكرية وأصول تكوينها.

٢- كتاب الدكتور ذوقان قرقوط ، المشرق العربي في مواجهة الاستعمار، والذي احتوى على مجموعة من الوثائق والمراسلات التي صدرت أثناء مرحلة الدراسة.

٣- كتاب محمد حرب فرزات ، تاريخ الاحزاب السياسية في سورية، والذي تعرض لنشأة الأحزاب وظروف تكوينها .

٤- كتاب الدكتور علي محافظة ، الفكر السياسي في فلسطين ، والذي أفاد إلى حد كبير في فهم الطريقة التي يمكن من خلالها معالجة موضوع الدراسة .

كانت هذه هي أهم المصادر والمراجع التي حاولت من خلالها البحث للوصول بهذا العمل إلى ما وصل إليه. وبنهاية المطاف يبقى هذا العمل عمل الطالب الذي ما زال بحاجة إلى التوجيه من أساتذته . هو عمل يعتريه النقص والخطأ والخلل. لكني أرجو أن أكون وفقت بما هدفت إليه، سواءً من حيث التدرب على البحث ومعالجة قضاياه ، أو في تحصيل المعرفة العلمية بخصوص مرحلة الدراسة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

تطورات الفكر السياسي في بلاد الشام

(١٨٥٠-١٩٢٠م)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بدايات الوعي الفكريّ العربيّ ١٨٥٠-١٩٠٨:

كانت الرابطة التي التقى عليها العرب والتّرك، طيلة القرون التي حكمت فيها الدّولة العثمانيّة البلاد العربيّة، هي الرابطة الإسلاميّة القائمة على أخوّة الدّين والعقيدة، حتى بدأ القرن التاسع عشر الميلاديّ والنصف الثاني منه خاصّة يشهد تحوّلات فكريّة نتيجة عوامل داخليّة متمثّلة في سوء الإدارة، وتعثّر محاولات الإصلاح، وعوامل خارجيّة تمثّلت في الأطماع الأوروبيّة بأملاك الدولة العثمانيّة. تضافرت هذه العوامل فيما بينها للإسهام في إضعاف قوّة الدّولة، حتى غدا الجدار الذي مثّلته أمام أطماع الغرب مليئاً بالثّغرات[١]، ليفسح المجال أمام حركات التغلغل الاستعماري الأوروبّي السريع في الوطن العربي، والذي بدوره كوّن شعوراً كبيراً بالخوف والقلق والنّقمة لدى العرب على الحركة الاستعماريّة التي تختلف عنهم في دينهم [٢].

فقد "شهدت سنوات ١٨٧٦-١٨٨٢ أحداثاً سياسيّة كبرى على مستوى الدولة العثمانيّة وولاياتها العربيّة ، بدءاً بإعلان الدستور وانتخاب مجلس "المبعوثان"، وانتهاءً بهزيمة السلطنة أمام روسيا ، واحتلال قبرص وتونس ومصر بعد مؤتمر برلين ، مروراً بتعيين مدحت باشا والياً على سوريّة ، وإشاعته - أثناء حكمه - جوّاً من الحريّة السياسيّة، وتشجيعاً لمبادرات التنظيم والاجتماع" [٣].

---

(١) انظر : محمد عمارة ، الجامعة العربيّة والجامعة الإسلاميّة ، مجلة المستقبل العربي الصادرة عن مركز دراسات الوحدة العربية، السنة الثالثة ، العدد الرابع والعشرين ص ٧٢ .

(٢) د. وميض نظمي، دراسات في القوميّة العربيّة والوحدة، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان - بيروت، أيلول ، ١٩٨٤ ، ص١٠٦.

(٣) د. وجيه كوثراني، السلطة والمجتمع والعمل السياسي في بلاد الشام، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، لبنان، ١٩٨٨ص١٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إزاء ذلك بدأ العرب في منتصف القرن التاسع عشر ، يتجهون نحو الوعي القوميّ العربيّ ، والشعور بالكيان الذاتيّ الباحث عن الهويّة العربيّة في أيّ إطار يمكن لها أن تكون . فكان "أن بدا الوعي السياسي عند العرب مع بداية نهضتهم الفكريّة العامّة ، وساهم اتصالهم بالغرب في تعريفهم بالفكر السياسّي الغربيّ ، وبما يحمل من مبادئ ومفاهيم جديدة كالحريّة والديمقراطية والدستور والوطن والوطنيّة والقوميّة" [١]. ليكون بذلك مقدّمة لحركة سياسيةّ تحمل شيئاً من الطابع القوميّ ، تخمّر ببطء ثم بدا بوضوح شيئاً حتى تحدّدت معالمه في بدايات القرن العشرين [٢].

بدايات الوعي السياسيّ والتيّارات الفكريّة :

في ظل تلك البدايات اصبح التفكير في المستقبل العربيّ يشكّل هّماً عامّاً لدى المثّقفين والمفكرّين العرب ، والذين كان مفكرّو بلاد الشام في طليعتهم . فقد لعب المفكرّون والمثّقفون العرب في بلاد الشام الدور الواضح والمميّز في صياغة الفكر السياسيّ العربيّ خلال تلك المرحلة ، وذلك لما شهدته بلاد الشام من حركة أدبيّة وثقافية واسعة ، تمثّلت فيها تيّارات فكريّة واتجّاهات سياسيّة آنذاك ، ولا أدلّ على ذلك من الحركة النشطة التي شهدتها بلاد الشام في الصحافة والطباعة والمدارس ،

---

(١) قاسم محمد صالح وقاسم الدروع ، النهضة العربية الكبرى ، دراسات وأبحاث ، تقديم وتحرير، عمان، المطابع العسكرية ، ١٩٨٩ ، ص ٤٣ .

(٢) توفيق برو ، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ١٩٠٨-١٩١٤ ، معهد الدراسات العربية العالية ، جامعة الدول العربية ، دار النهار للطبعة والنشر ، القاهرة ص ٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سواءً المدارس الوطنيّة أو التابعة للإرساليّات الأجنبيّة [١]. لتعمل تلك الحركة على إحياء التّراث العربيّ وتوسيع دائرة النشاط والحوار الفكريّ . هذا بالإضافة إلى ما شهدته بلاد الشام أيضاً من حركة موازية في تشكيل الجمعيات العلميّة والأدبيّة والسياسيّة ، قام بتأسيسها رجال الفكر والإصلاح . وفي ظل تلك الأجواء تبلورت تيّارات فكرية سياسيّة كان أهمها :

أوّلاً : التيّار العثماني :

انطلق مفكرّو هذا التيار من اعتبار الرابطة الوطنيّة العثمانيّة الآصرة الأقوى، التي يمكن أن تلتقي عليها شعوب وعناصر الدّولة، كي تحافظ على وحدتها وقوّتها أمام الأخطار الخارجيّة، ولكي تتمكّن أيضاً من معالجة مشكلاتها الدّاخليّة . وباعتبار أن العرب يمثّلون أحد أهم شعوب الدولة العثمانية ، إلاّ أنّهم مع ذلك كانوا يشعرون بهضم حقوقهم، وغياب هويّتهم القوميّة ، ولذا نجد أصحاب هذا التيّار قد هدفوا أصلاً إلى الارتقاء بالشان العربيّ بمجالاته كافة ضمن الإطار العثمانيّ وعدم الخروج منه.

ولعلّ وقفة عند آراء بعض المفكريّن من دعاة هذا التيّار تساهم في فهم منطلقاته وغايته ، فيرى عبد الحميد الزهراوي ١٨٥٥-١٩١٦ أن الوطن العثمانيّ "هو الجامعة سواء جمعتنا الدور المتجاورة أو الألسنة المتفقة أم الضمائر المتّحدة أم المصالح المشتركة" [٢]، وبهذا يكون الزهراوي قد رأى في الرابطة العثمانيّة

---

(١) انظر : الدكتور عبد الكريم غرايبة ، سورية في القرن التاسع عشر ، جامعة الدول العربيّة ، معهد الدراسات العربيّة العالية ، دار الجيل للطباعة . القاهرة ص ١٦٦ وما بعدها .

(٢) جريدة الحضارة ، لصاحبها عبد الحميد الزهراوي . السنة الثالثة . العدد ١٢٤، ١٩١٢/٨/٢٢م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوطنية، رابطة تجمع الجميع من عناصر الدّولة المختلفة ، لكنه يراها نوعاً من الاتحّاد فيما بين تلك العناصر . "وإننا معشر العثمانيّين شئنا أم أبينا ننقسم انقساماً أولاً بحسب اللسان ، وننقسم انقساماً ثانياً بحسب الدّين ، فعلى الكلّ قبل كلّ شيء أن يكونوا عصبيّة واحدة في تقوية هذه الرابطة العثمانيّة العظمى ، التي يطلب منها إقامة العدل بينهم ، ثم عليهم كلهّم أن يحترم كل قسم منهم إخوانه الآخرين لان العدل يقضي بهذا [١].

واضحٌ هنا أن الزهراوي ينطلق بفكرة السياسي من التوازن فيما بين الصالح العام للوطن العثماني الكبير ، وبين الصّالح الخاصّ لكل عنصر من عناصر الدّولة المختلفة ، حيث يحفظ كلّ عنصر هويتّه الخاصّة ويعمل ضمن خصوصيّاته ، لنجده في موطن آخر كان اكثر صراحة في هذا الاتجاه : 'وصيرورة العثمانيةّ جامعة عظمى للعثمانيّين عامّة ، لا تمنع أن تحبّ كل جماعة منهم جامعتهم الخاصة ، بل يجوز لهم أن يحبّوها ويتعصّبوا لها ، والمنع هو التعصُّب المذموم الذي تثبت ظلاله لأنه صدٌّ عن حبّ النفس[٢] .

وبهذا الاتجاه من الفكر السياسيّ يطالب الزهراوي العرب : "فنبني سياستنا معشر العرب الذين تشتمل عليهم الجغرافيا العثمانيّة بان نكون عثمانيّين بالفعل ، واعني بالفعل أن نكون مشتركين في جميع التكاليف التي أصبحت شرعيّة بكلّ معنى الكلمة ، وهذا من أجل الحفاظ على الحق العربيّ داخل الدولة" [٣].

---

(١) الحضارة ، ٢ ، ٥٥ ، ١٩١١/٤/٢٧م .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) الحضارة ، ٢ ، ٥٨ ، ١٩١١/٣/١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والأساس الذي يعتمده الزهراوي ، لكي تبني هذه الرابطة العثمانية أركانها عليه هو الاتحاد المدنيّ الذي ينظّم المصالح المشتركة لهذه الجماعات : "ربما قد تفهم فئة من الأغرار إنما الاتحاد هو اتحاد المسلمين العثمانيّين ، وفئة أخرى قد تفهم إن المقصود هو اتحاد التّرك ، إنما كلامنا مع الذين يقولون نحن مدنيّون ، فنحن مسلمون ولكنّا لا نريد اتحاداً يكون خارجه أبناء وطننا من غير المسلمين ، ونحن عثمانيون ولكن لا نريد اتحاداً خارجه كل أبناء الوطن من غير الترك"(١).

في داخل هذا الإطار العثماني المدني ، كان حسّ الزهراوي ووعيه القومي العربي حاضراً في فكره السياسي ، بل انه كما أسلفنا اتخذ من العثمانية رابطة من اجل حقوق العرب والحفاظ عليها ، فالفكرة القومية العربية تشكلّ البعد الأعمق لديه، فهو "يستعمل تعبير القوم للعرب ، وينسب إليه تعبير القوميّة ، ويرى أن القومية هي من الروابط الأولى التي نفعت النوع ، ولا تزال تنفعه. ومع انه أطلق لفظ الأمة على العثمانيّين من جهة ، وعلى السوريّين من جهة ثانية ، فانه يركزّ على العرب كافّة ، وعلى أساس الرابطة القومية" (٢)يقول في ذلك ، "أي قومي أعيذ بالله بلادنا ، وأعيذ بالله ذرارينا ، حسبنا أيهّا الاخوة ، رقوداً ، حسبنا عدم التفكير في شأن الآتي ، حسبنا استخفافاً بقيمة نفوسنا، حسبنا إعراضاً عن الدروس التي يبذلها لنا الزمان ، لكم الله أيهّا الاخوة العرب ، انتم في هذه المملكة جزء عظيم ، فانظروا ما شأنكم فيها أمسّ ، وما خطبكم فيها اليوم ، وما أمركم فيها غداً" (٣).

---

(١) الحضارة ، ٢ ، ٥٤ ، ١٩١١/٤/٢٠م .

(٢) د . عبد العزيز الدوري ، التكوين التاريخي للامة العربية دراسة في الهوية والوعي . مركز دراسات الوحدة العربية بيروت لبنان . أيلول ١٩٨٤ ص ١٧٥ ، وسيشار إليه فيما بعد د. عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للامة العربية .

(٣) الحضارة ٢ ، ٦٠ ، ١٩١١/١١/١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقّرر الزهراوي عدّة مقوّمات تقوم عليها القوميّة العربيّة . أولها الروح العموميّة أي – الشعور بالمسؤولية العامة– "إنها متى صارت في الجماعة يكون خط سياستها، هو حيث تتجه تلك الروح العموميّة" [١]. "فإذا قلنا اليوم إن في العرب مثلاً روحاً عموميّة ، فمن شأن هذه الروح أن تكوّن لهذه الجماعة رغائب عموميّة تقتضي سياسة خصوصيّة" [٢]. واللغة العربية تشكّل العامل الأهم لدى الزهرواي في فكره السياسي القومي، فهو يراها "محفوظة بالقران الكريم، جامعة عظيمة للعرب، يشّرفها الدين والاجتماع، يتكلم بها خمسون مليون من البشر" [٣]. هذا ليرى أن الجغرافيا أيضاً تلعب دوراً هامّا في البناء القوميّ، فلا يفصل بين البلاد العربيّة من المياه إلا ترعة السويس"[٤] مؤكداً على أن التاريخ والتراث العربي يشكلان أساساً في بناء الفكر القومي[٥]. وهكذا يعطي الزهراوي مثلاً واضحاً للاتجاه إلى القوميّة العربيّة في الخط الإسلامي[٦].

لكن الزهراوي وقف موقفاً نفى فيه قدرة الجامعة الإسلاميّة على توحيد المسلمين سياسيّاً ، ففي رأيه إن الجامعة الإسلامية "لا يمكن أن تعني سوى الاتفاق على كلمة واحدة هي إن القران الكريم كتاب الله جاء به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم". [٧]والدّين عند الزواهري ليس دافعاً أو عاملاً للوحدة والاتحاد: "لا

---

(١) الحضارة ، ٢ ، ٥٩ ، ١٩١١/٣/٢٥م .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) الحضارة ٢ ، ٦٠ ، ١٩١١/٦/١م .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) د . عبد العزيز الدوري ، لتكوين التاريخّي ، ص ١٧٧ .

(٧) عبد الحميد الزهراوي ، الفقه والتصوّف ، مطبعة نور الأمل ، القاهرة ص ٢٦ . وسيشار إليه فيما بعد، عبد الحميد الزهراوي ، الفقه والتصوف .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نستطيع خرق السنّة الكونيّة منذ عهد الفاروق إلى عهدنا هذا" [١]. ذلك "انه منذ اختلف المسلمون ثلمت جامعتهم ولم يتفقوا سياسّياً بعد عهد عمر ولا اتفاقاً دينياً بعد عهد عليّ" [٢] ويتسائل الزهراويّ باستنكار على الداعين للجامعة الإسلامية : "دع عنك زمن الخليفتين وقل لي متى كان الإجماع"[٣] .

ومن الذين تبنّوا الدعوة لهذا التيار العثماني "رفيق العظم" المولود في دمشق ١٨٦٧-١٩٢٥م. فقد كان من المؤمنين بأهمية الاتحاد لرعايا الدولة العثمانية كافة[٤]، واتخذ رفيق العظم منذ شبابه وجهة إسلامية إصلاحيّة ، ورأى أن الشريعة جاءت بأصول الفضائل التي يرتقي إليها المجتمع الإسلامي [٥].

ووقف رفيق العظم كغيره من دعاة الإصلاح في الفكر السياسيّ موقفاً مناهضاً للإستبداد، الذي هو اصل جميع الأدواء: "إن الذي فصم عروة اجتماع المسلمين ، وفرّق أجزائهم ، وأنساهم معنى الاخوّة في دينهم مند قرون بعيدة إنما هو حكم الأفراد ، أي أمرائهم المستبدّين" [٦]ولذا نجده قومياً ديمقراطياً متأثراً بالفكر السياسي الغربيّ مسجّلاً للغرب قدم السبق في هذا المجال ليقّرر : إن العالم يسير إلى الديمقراطية سيراً حثيثاً ، ليجعل حياة الأمم السياسيّة بمعزل عن الاعتقادات ، بحيث لا يكون تباين اعتقادين في شعب واحد مانعاً من توثّق عرى القوميّة ، أو

---

(١) د . عبد الحميد الزهراوي ، الفقه والتصوّف ، ص ٢٧ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٨ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٥ .

(٤) احمد فهد بركات الشوابكة ، حركة الجامعة الإسلاميّة ، مكتبة المنار الزرقاء ، ١٩٨٤ ، ص ٨٧ .

(٥) د . عبد العزيز الدوري ، التكوين التاريخي ص ١٧٧ .

(٦) رفيق العظم ، الجامعة الإسلامية وأوروبا ، طبع بمطبعة هندية ١٩٠٧ ص ٤٥ ، وسيشار إليه في ما بعد ، رفيق العظم ، الجامعة الإسلامية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مباينـاً مـن أغراضهـا السياسيّة . وقـد سـبق الغـربُ الشـرق لهذا العهـد إلـى هـذه الديمقراطية ، وبدا الشـرق يحسُّ بهـا أو بالحاجـة إليهـا بعـد أن ثقلـت عليـه سيطرة الغرب وأنهكه التفرق والانقسام ، فليس المسيحي ولا اليهودي وغيرهما بـأقل حاجـة من المسلم ، إلى الاعتقاد بالقومية وتوثيق وشـائج الإخـاء الوطنـي للدخـول فـي تلـك الديمقراطية الصحيحة التي ترفع شان الأمم وتحوط حياة الأقوام السياسية بسـور مـن القوة" [١].

٤٩٣٩٨٠

وبجانب تأثره الواضح بالفكر السياسي الديمقراطيّ الغربيّ يؤكدّ رفيق العظـم في الوقت نفسه أن الدين الإسلاميّ كان ضد الاستبداد ومحارباً له : "إن دينكـم يريـد أن تكونوا في أرقى منازل البشريّة وأدناها في الوجود إلى متناول العقل ، فلم يجعـل حتى للأنبياء سلطاناً على الإرادة والعقول إلا بالحقّ والهدايـة ، فاسـمعوا مـاذا يقـول الله لنبيّه في كتابه الكريم" ما على الرسول إلا البلاغ" "لست عليهم بمصيطـر"، "ومـا أنت عليهم بوكيل" واسمعوا ماذا يقول في خطابه للمؤمنين "يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم" كل هذا إشارة إلـى أن لا حكـم لـلإرادة علـى الإرادة ، وإنما الحكم للعقل والوجدان ، فحرّيـة الوجـدان هـي التـي يقـاتل مـن اجلهـا الروس ، وقاتل من اجلهـا الفرنسيّون وكل أمـم أوروبـا . وهـي التـي كـانت أسـاس الدعوة في دينكم أي التبليغ كما رأيتم [٢].

ولدى مناقشته لموقف الغرب الحذر من اتحّاد المسـلمين ، ينفـي رفيـق العظـم إن حركة الفكر الإسلاميّ تقوم على الدعوة الدينيّة للاتحاد ضد أوروبـا ، لتشكّل لهـا

---

(١) رفيق العظم ، الجامعة الإسلامية ، ص ٤٥ .

(٢) المصدر نفسه ص ٥٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مصدر قلق : "إن حركة الفكر الإسلاميّ القائمة الآن هي نتيجة تبادل الشعور بما تريده أوروبا من المسلمين من الاستخذاء والتعبّد ، ونتيجة الشعور بما بلغته الأمم الأوروبيّة من قوّة السلطان والبسطة في الملك في الشرق والغرب ، فهي ، أي هذه الحركة-إذا ظنّها الأوربيون مقدّمة للاتحّاد الإسلاميّ أو عين الاتحاد، فإنما هي اتحاد على معرفة الواجب بالبحث عن مصدر ترقّي أوروبا إلا وهو العلم والحرية"[١].

وانطلاقاً من هذا وجّه رفيق العظم للمسلمين نصيحتين مطالباً العمل بهما فهما أساس الإصلاح وقاعدته : "نصيحتي الأولى لكم هي أن تعلموا إن حياتكم الأدبيّة بالعلم وحياتكم السياسيّة بالحكومات النيابيّة ، فاقبلوا بكليّتكم على طلب العلم ، جودوا بالأموال لتأسيس المدارس ، ابعثوا بأولادكم إلى دور العلم في أوروبا ، استفيدوا خير ما في المدنيّة الغربيّة وهو العلم" [٢].

"ونصيحتي الثانية أن توقنوا إن الشرق للشرقيّين متى توفر لديكم ذانكم الشرطان العلم والحكم النيابيّ "[٣] .

والذي يجدر ذكره هنا إن رفيق العظم كان من خلال نصيحته داعياً للانفتاح على الغرب والاقتباس منه ، لكنه حدّد ذلك الانفتاح بأخذ خير ما في المدنية الغربيّة وهو العلم "رسول السلام" [٤]، وهو بهذا يؤكد على التفاعل الحضاري والعلمي بين الأمم ، في الوقت الذي يحرص فيه على أن الشرق للشرقيّين . وهذا بلا شك دعوة

---

(١) المصدر نفسه ص ٤٣ .

(٢) المصدر نفسه ص ٤٦ .

(٣) المصدر نفسه ص ٤٩ .

(٤) المصدر نفسه ص ٥١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للحفاظ على الهويّة الشرقيّة مستقلّة ، دون أن تذوب في المدنيّة الغربيّة أو تكون تابعة لها .

ولعل هذه الدعوة في الانفتاح على الغرب ، المنضبط بأخذ النافع وترك الضارّ تصدق على كثير من مفكرّي هذا التيّار العثمانيّ ودعاته ، من أمثال محمد كرد علي ، الذي وضع كتاباً سمّاه "غرائب العرب" قال فيه عن رحلته إلى أوروبا : "كان من اعظم أماني النفس منذ بضع سنين أن ارحل إلى أوروبا ، رحلة اقضي فيها ردحاً من الدهر للتوفّر على دراسة حضارة الغرب في منبعثها واستطلاع المعاهد التي منها نشأ المخترعون والمكتشفون والفلاسفة والعلماء العاملون والساسة المستعمرون ، والقادة الغازون ، والتجار والصناع والزرّاع والماليّون ، وهم على التحقيق مادة تلك المدنية" (١).

كان لتلك الرحلة إلى أوروبا إنها جعلت كرد علي يبدي إعجابه بالمدنية الأوروبية الغربية وانبهاره بها، قال مخاطباً باريس ومحيّياً لها في احترام وتقدير: "سلام عليك مرضعة الحكمة ، وربيبة الرخاء والنعمة ، وروح الانقلابات الاجتماعية والسياسيّة ، ومحيية المدنيّة الأصلية في الأقطار الغربية والشرقية ، ومعلّمة العالم كيف يكون الخلاص من الظالمين ، والضرب على أيدي الرؤساء والنبلاء والمالكين، أنت هذّبت طبائع البشر حتى غدوا يشعرون باللطف والذوق وفائدة العلم والعمل، أنت كنت في مقدّمة العواصم التي انبعث منها تمجيد العقل ، وبالغت في إكرام رجال العقول من أبنائك" (٢).

---

(١) محمد كرد علي / غرائب الغرب ، مطبعة المقتبس ١٩١٠م ص٧ .

(٢) المصدر نفسه ص ٥٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكن هذا الانبهار والإعجاب بالمدنيّة الغربيّة وحضارتها لم يكن ليجعل من كرد علي أن يغمض عينيه أن في حضارة الغرب سيئات كما فيها حسنات يقول: "إن للحضارة الغربية مساوئ وقد لا يكون الخير تامّاً والشر تاماً ، وكان علينا أن نقتصر على اقتباس النافع ونتحاش الضار" (١).

انطلق كرد علي بدعوته هذه بأخذ النافع وترك الضارّ من الحضارة الغربيّة ، وهو يؤكدّ بفكره السياسيّ على الرابطة العثمانيّة فيما بين عناصر الدولة عامّة ، والعرب والترك خاصة "وكان المقتبس السياسي معتدلاً بلهجته ، وطنيّاً بمسلكه ، ينتقد ما يمكنه نقده من مواطن الخلل في الإدارة العثمانيّة ، وما رمى إلى الانفصال عن الترك قط" (٢).

وهنا يرى محمد كرد علي أن مطالبة العرب بحقوقهم الدستوريّة لا تعني سوى تقوية هذه الرابطة العثمانية بعرى الصّداقة والاخّوة فيما بين العرب والترك "نعم إن للعرب حقوقاً تخوّلهم المطالبة بها القوانين الدستورية ، وهم يحبون تحقيقها ، زيادة في إحكام عرى الصداقة والاخوة بينهم وبين إخوانهم الترك"(٣) . وبهذا يكون كرد علي كغيره من الذين رأوا في العثمانيّة رابطة ، لكنها لا تلغي الهويّة العربية.

هذا ومما تجدر الإشارة إليه ، إن القوى التي حملت المشروع العثماني ودعت له هي القوى المرتبطة بأشكال الإنتاج القديم ، أصحاب الحرف في المدن الإسلاميّة،

---

(١) محمد كرد علي ، غرائب الغرب ، ٦٢ .

(٢) محمد كرد علي، خطط الشام ، مكتبة النوري . الطبعة الثالثة دمشق ١٩٧١ الجزء السادس ص ٣٣٨.

(٣) محمد كرد علي ، غرائب الغرب ، ص ٧١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعض أعيان المدن والعلماء والتجّار الصّغار وأصحاب الدكاكين ، وجميع هؤلاء يندمجون في تيّار جماهيريّ مدنيّ إسلاميّ سنيّ على وجه غالب [١].

ثانياً : التيّار الإسلاميّ ، الجامعة الإسلاميّة :

يرتكز محور هذه الفكرة على العقيدة الإسلاميّة كأساس لاتحّاد المسلمين ، مهما اختلفت أجناسهم ، وتغايرت ألسنتهم ، وتباعدت أوطانهم . "وكان هذا التيّار التجديدي قد بدا في صورة مجابهة مع المد الاستعماريّ الغربيّ ، لا في ولاية أو إقليم ، وإنما على امتداد الشرق العربيّ الإسلاميّ بأكمله . ولقد أخذت حركة الجامعة الإسلاميّة هذه تبعث في الأمة الإسلاميّة معاني التجديد واليقظة، ليفجر الإسلام الطاقة الثورية في نفوس المسلمين لمجابهة أعداء الأمة .

ولقد كانت المستويات الحضارية التي بلغتها اكثر بقاع الشرق تحضّراً يومئذ، وخاصّة مصر ، من العوامل التي حدّدت نمط التجديد الدّيني الذي تميّز في فكر هذا التيّار. فدعا أعلامه إلى سلفيّة دينيّة ، وعقلانيّة إسلاميّة ، وتجّدد ذاتي ، وإلى النظرة إلى الحضارة الغربيّة من موقع مستقلّ ومتميّز [٢].

ومما ينبغي التأكيد عليه هنا ، اللقاء الحاصل فيما بين سياسة السّلطان عبد الحميد الذي أطلق شعار "يا مسلمي العالم اتحّدوا" [٣]، وبين دعاة هذا التيّار ، فقد أكدّ السّلطان عبد الحميد الخلافة العثمانية ودعمها بفكرة الجامعة الإسلاميّة ، وربمّا أراد

---

(١) د. وجية كوثراني ، بلاد الشام : السكان والاقتصاد والسياسة الفرنسية ص ١٦٤ .

(٢) د. محمد عمارة ، المرجع السابق ص ٧٥ .

(٣) د. الماوتلن ، عبد الحميد ظلّ الله على الأرض ، ترجمة راسم رشدي ، دار النيل للطباعة ص ١٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بذلك دعم الدولة في وجه الخطر الغربيّ ، ولعلّه رأي في الفكرة إسناداً لحكمه ضد المعارضين ومواجهة ما يروّج في بعض الأوساط من التطلّع إلى خلافة عربيّة ، وأفاد من موجة التنبُّه الإسلاميّ في الربع الأخير للقرن التاسع عشر.

وفي عام ١٨٨٨م دعا جمال الدّين الأفغاني داعية الجامعة الإسلاميّة إلى الأستانة، وأبقاه فيها ، وأحاط نفسه بعدد من العلماء والمشايخ وخاصة من الصوفيّة"[١]. وكان للمفكّرين والأدباء والصحف دور بارز في نشاط هذه الفكرة ، فكانت جريدة العروة الوثقى التي أنشأها جمال الدين الأفغاني في باريس قد تبنّت هذه الدّعوة بشكل رئيس . جاء في إحدى مقالاتها : "وازع المسلمين في الحقيقةُ دينهم وشريعتهم المقدّسة الإلهيّة التي لا تميّز بين جنس وجنس ، فقد قال صلى اللّه عليه وسلم : "ليس منّا من مات على عصبيّة ، وليس منّا من دعا إلى عصبيّة وليس منّا من قاتل على عصبيّة " . هذا ما أرشدتنا إليه سير المسلمين من يوم نشأة دينهم إلى الآن ، لا يعتدّون برابطة الشعوب والجنسيّات وعصبيّاتها ، الفارسيّ يقبل سيادة العربيّ ، والهنديّ يذعن لرياسة الأفغانيّ"[٢].

كان من ابرز المفكّرين الذين تبنّوا هذا التيّار في بلاد الشام ، الأمير شكيب أرسلان الذي رأى "إن الوحدة الإسلاميّة ، إنّما هي قائمة على ركنين هما أساساها لا ثالث لهما : الحجّ إلى بيت اللّه الحرام في مكّة المكرّمة والخلافة أمّا الخلافة فقد كان لها حقاً شان تاريخيّ عظيم ، ولا سيّما في بداية عهدها . وقد جهد السلطان عبد الحميد جهداً كبيراً لإحياء عظمة الخلافة الدينيّة ، واسترداد ما لها من الجلال والهيبة

---

(١) عبد العزيز الدوري ، التكوين التاريخ للامة العربية ص ١٦٤ .

(٢) محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده، مطبعة المنار، مصر القاهرة، الطبعة الثانية،ص ٢٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والخطورة في العالم الإسلامي[١] . وشكيب أرسلان لا يقرّ اشتراط كون الخليفة من قريش، ويستأنس لذلك بان الخلفاء الراشدين رضوان اللّه عليهم أجمعين كانوا يعهدون إلى ذوي الكفاية والأهليّة دون إعتبار آخر [٢].

ومما يجدر ذكره هنا ، إنّ عاملين اثنين قد مثّلا دوراً حاسماً في صياغة أفكار شكيب أرسلان أوّلاً : الأثر الذي تركه محمد عبده ، ثم الأفغاني في وعي شكيب أرسلان، وثانياً : حدّة المواجهة السياسيّة والحضاريّة في واقع المنطقة السياسيّ مع مطلع القرن العشرين [٣]، رأى شكيب أرسلان في جمال الدين الأفغاني انّهُ " الموقظ الأعظم للشرق بأجمعه ، وان طريقته ستزداد انتشاراً ومبادئه ستطبّق في يوم من الأيّام . كان جمال الدين سيدّ الحكماء ، كان أوّل مسلم أيقن خطر السيطرة الغربيّة المنتشرة في الشرق الإسلاميّ ، وتمثّل عواقبها إذا طال عهدها ، وامتدّت حياتها ، ورسخت في تربة الشرق" [٤].

وشكيب أرسلان الذي يرى أن الجامعة الإسلاميّة أنشئت من عهد الرسول صلى الله عليه وسلّم [٥]، نجده يؤكدّ – مخافة سوء الفهم – إن جوهر هذه الجامعة سياسيّ إلى حدّ بعيد ، ولذلك لا تتوجه بالعداء إلى الفرق الدينيّة الأخرى ، وإنّما إلى استعمار الفرنجة تحديداً ، وهي ليست تعني إن يقوم المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ليؤلّفوا كتلة واحدة ليقاتلوا كل من هو غير مسلم[٦] "الجامعة الإسلاميّة اكثر

---

(١) انظر لوثرب ستودارد ، حاضر العالم الإسلامي ، ترجمة عجاج نويهض ، وبهامشه تعليقات الأمير شكيب أرسلان ، القاهرة ، المطبعة السلفية ومكتبتها، ١٩٧٣ ، المجلد الأول ، ص ٢٨٩ .

(٢) احمد الشرباصي ، شكيب أرسلان ، داعية العروبة والإسلام ص ٢١٨ .

(٣) محمد شفيق شيا ، شكيب أرسلان مقدّمات الفكر السياسي ص ١٣٨ .

(٤) شكيب أرسلان ، هامش حاضر العالم الإسلاميّ ، ص ٣٠٥ .

(٥) شكيب أرسلان ، هامش حاضر العالم الإسلامي ، ص ٢٨٨ .

(٦) محمد شفيق شيا ، المرجع السابق ص ١٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من ذلك فهي تجمع المسلمين إلى غير المسلمين في إطار الغايات الواحدة ، هي تقدَّم للمشرقيّين عموماً وليس للمسلمين ، فهي يعتصمون بها أداة توحّد الشعوب المقهورة، تماماً كما وجد الأوروبيّون أداة توحّدهم[١] " . والجامعة الإسلاميّة عنده هي القادرة على تحقيق رفاهية الشعوب المقهورة وأخذها لحقوقها ، فغايتها الاقتصادية "إنّما هي ثروة المسلمين ، وثمرات التّجارة والصناعة في جميع المعمور الإسلاميّ هي لهم ، يتنعّمون بها وليست للغرب" [٢].

كانت هذه القناعات وغيرها في فكر شكيب أرسلان السياسيّ دافعاً له، كي يرى الخلافة العثمانية رمزاً لهذه الجامعة الإسلاميّة وحامية لها. فقد ظهرت مواقفه المؤيّدة للخلافة العثمانية والمؤكدّة على وجوب دعمها في كثير من آرائه ومواقفه، ومن الشواهد على ذلك ما جاء في قصيدة له قالها في حضرة وفدٍ تركيّ جاء لزيارة سوريّة [٣]:

ومذ تولّيتم أمر الخلافة قد ... أو يتم من بينها كلٌّ مغترب

لقد ضربتم لعمري في حياطهّا ... بكل سيف رهيف الحدّ ذي شطب

فكل غرّ يماري في فضائلكم ... لا يعرف الحشف البالي من الرطب

مهما يكن من هنّاتٍ بيننا قلنا ... معكم على الدهر غير منقضب

كفى الشهادة فيما بيننا نسباً ... وان لم تكن جمعتنا وحدة النسب

مجدي بعثمان حامي ملّتي وأنا ... لم انس قحطان اصلي في الورى وأبي

---

(١) شكيب أرسلان ، المصدر نفسه ، ص ٣٣٠ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٢٨ .

(٣) شكيب أرسلان ، سيرة ذاتية ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ص ٢١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهكذا يصرّ شكيب أرسلان على الخلافة العثمانيّة لمواجهة الغرب ، ويراها مع العقلاء السبيل الوحيد لحماية الإسلام والبلاد العربيّة من العدوان الغربيّ ، فليس أمام العرب إلاّ قبول العثمانيّة لمواجهة شرّ اكبر هو الخطر الغربيّ [١]، ولا يعني هذا إن يكون مانعاً لديه أن يرى العرب أمة لها مزاياها الخاصّة التي تغنّى بها فهي "أمة نجيبة قد أتاها الله من معادن الفضل ، ومدارج النبل ، ومطالع الذّكاء ، ومنابت الشجاعة ، ومقاطع الكرم ما لم يؤت ، غيرها من أمم البسيطة " [٢] .

ويذهب ابعد من هذا فهو يؤمن بوجود أمّة عربيّة رابطتها الأولى وعبر تاريخها ، هي اللغة العربيّة وان اختلفت الأديان ، وهو لا يرى باساً بتنمية القوميّة العربيّة ، ولكنّه أمام الخطر الغربيّ يؤكدّ الرابطة الإسلاميّة ، ويلتزم بالعثمانيّة ، ويرى أن التركيز على الرابطة القوميّة سيؤدّي إلى المواجهة بين التّرك والعرب ، وبالتالي إلى سيطرة الغرب[٣].

استطاع هذا التيّار أن يشكّل زخماً فكريّاً استوعب وجهات نظر متعدّدة لتبدو أحياناً مختلفة ، لكنها تبقى ضمن الإطار العام لفكر هذا التيّار ، وهذا يصدق على عبد الرحمن الكواكبي الذي كان من ابرز أعلام هذا التيّار " وقد وضع كتابين : طبائع الاّستبداد وهو : حملة قويّة على الحكم المطلق ، وأم القرى ، وهو بحث في أسباب الخلل والضعف في وضع المسلمين وسبل إحيائهم ، والكتابان متكاملان في انهما يشخّصان أدواء المجتمع الإسلاميّ ، فمع انه يرى أن أساس الداء هو الجهل

---

(١) د . عبد العزيز الدوري ، التكوين التاريخي للامّة العربيّة ، ص ١٨٥ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٨٥ .

(٣) المرجع نفسه ص ١٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفقدان التمسّك بالدّين الحنيف ، فانه يرى التهاون في الدّين ناشئاً عن الاّستبداد ، وان أساس العافية هو الحريّة السياسيّة ، فالاّستبداد أساس المساوئ ، إذ انة ينفي العلم ، ويفسد الدّين والأخلاق ، والتّربية [١]. "وعندي أن البليّة فقدان الحريّة ، وما أدرانا ما الحريّة ، هي ما حُرمنا معناه حتى نسيناه، وحرّم علينا لفظه حتى استوحشناه فالحرية هي روح الدين" [٢].

وحتى يتّضح للباحث مدى الإسهام في الدعوة للجامعة الإسلاميّة لدى الكواكبي، فانّه لا بدّ أن تكون هناك قراءة شاملة للفكر السياسيّ عند الكواكبي ، ذلك أن الكواكبي بدا واضحاً تأثّره بالفكر السّياسي الغربيّ ، وبخاصّة في الديمقراطيّة والوطنيّة ولعل أوضح ما جاء في هذا السّياق قوله: "هذه أمم أوستريا -النمسّا حاليّاً- وأمريكا قد هداها العلم لطرائق شتّى ، وأصول راسخة للاتحّاد الوطني دون الدّيني ، والوفاق الجنسي أي القوميّ دون المذهبيّ ، والارتباط السياسيّ دون الإداري . فما بالنا نحن نتفكّر في أن نتبّع تلك الطرق أو شبهها . دعونا نتدبّر حياتنا الدنيا ، ونجعل الأديان تحكم الأخرى فقط . دعونا نجتمع على كلمات سواء إلا وهي فلتحيا الأمّة ، فليحيا الوطن ، فلنحيا طلقاء أعزّاء"[٣] .

لا شك أن قراءة مجتزأة لمثل هذا النصّ وأشباهه ، تعتبر ذات دلالة واضحة على الاتجّاه الوطني والقومي العلماني عند الكواكبي ، لكن الذي يمكن قوله هنا ، أن "معاناة الاستبداد ومعايشته ، استبداد تركيّا ، عبر صيغة الإدارة المركزيّة المشدودة

---

(١) المرجع نفسه ص ١٦٨ .

(٢) السيّد الفراتي ، عبد الرحمن الكواكبي ، أم القرى ، المكتبة التجاريّة الكبرى ، شارع محمد علي ، والمطبعة المصريّة بالأزهر ، ١٩١٣ ص ٢٩ .

(٣) محمد عماره ، عبد الرحمن الكواكبي شهيد الحريّة ومجدّد الإسلام ، دار المستقبل العربي ص ٦٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كليّاً إلى استامبول ، ومعاناة الاستبداد المحليّ عبر تسلّط طبقة المعمّمين الجهلة الذين ينشرون الأوهام والأباطيل والخرافات - الأمر الذي يراه الكواكبي انحرافاً عن الإسلام ، وسبباً في انهيار المجتمعات الإسلاميّة"[١] . كانت سبباً وراء طرح مثل هذه الأفكار في القوميّة العلمانية .

لكن الإطار العام للمرجعيّة النظريّة تبقى عند الكواكبي نظرية الإسلام ، وإطار العمل السياسيّ يبقى إطار المسلمين ، وتصوّر الكواكبي لمؤتمر عام يعقد في مكة في موسم الحج ، يضم اثنين وعشرين ممثّلاً عن كافّة الأقطار والجنسيّات الإسلامية، [٢] إنّما هو مؤتمر للجامعة الإسلاميّة ، ليكون شعاره الشعار الجامع للاخوّة الإسلاميّة "لا نعبد إلا اللّه" [٣]، وليأخذ بهذا العهد من المؤتمرين "من كان منكم يعاهد اللّه تعالى على الجهاد في إعلاء كلمة اللّه ، والأمانة لإخوان التوحيد أعضاء هذه الجمعيّة المباركة فليجهر بقوله : على عهد الله بالجهاد والأمانة ، ومن كان لا يطيق فليعتزلنا" [٤].

وعليه فانّ "مطمح نظر الجمعيّة منحصر في النهضة الدينيّة فقط ، وتؤمل أن يأتي الانتظام السياسي تبعاً للدّين ، ولا شكّ انّه لا يقوم بالهدى الدينيّ ويغار على الدّين أمّة مثل العرب" [٥].

---

(١) الدكتور : وجيه كوثراني ، السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت سلسلة اطروحات الدكتوراه ص ١٥٦ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٥٦ .

(٣) عبد الرحمن الكواكبي ، أم القرى ، ص ٧ .

(٤) المصدر نفسه ص ٩ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وينبغي هنا ملاحظة أنّ الدّعوة لمؤتمر الجمعيّة – الجامعة الإسلاميّة – هذا في موسم الحجّ وفي مكّة ، ليظهر بذلك من الدّلالات على أهمية الحجّ كفريضة تعمل على توحيد المسلمين عبر تاريخهم، حاول الكواكبي أن يواجه بها مؤسّسة السلطنة في تركيّا . والتّشديد على نقل مركز زعامة الرابطة الإسلاميّة من تركيّا إلى مكة ، ومن الأتراك إلى العرب ، وذلك في صيغة ليستعاذ فيها موقف فقهي قديم يقول الإمامة في قريش ، ليصبح سلاطين آل عثمان مغتصبين لحقّ العرب في الخلافة[١].

كانت هذه القناعة في الخصُوصيّة العربيّة ، قد رآها الكواكبي في ستّ وعشرين سبباً شكّلت بمجملها منطلقاً لديه في التأكيد على حقّ العرب بالخلافة في الجامعة الإسلاميّة دون غيرهم ، وكان مما أورده في تلك الأسباب أنّ "العرب انسب الأقوام لان يكونوا مرجعاً في الدين ، وقدوة للمسلمين ، حيث كان بقيّة الأقوام قد اتبعوا هديهم ابتداءً، فلا يأنفون عن أتبّاعهم أخيراً" [٢]. ويؤكدّ في الأسباب نفسها على فضائل الجزيرة العربيّة مهد العرب وموطنهم الأول ، فهي مشرق النور الإسلاميّ ، وفيها الكعبة المشرّفة ، ومسجد الرسول صلّى عليه وسلم ، وموقعها الجغرافي المتوسّط بين الشرق والغرب الإسلاميّين ، ولغة أهلها أغنى اللغات في المعارف ومصونة بالقران الكريم وهي افضل الأماكن لان تكون ديار "أحرار لبعدها عن الطامعين ولفقرها الطبيعي" [٣]، "وهو يتوسّع في بيان مزايا العرب ، فعرب الجزيرة مؤسّسوا الجامعة الإسلاميّة " [٤].

---

(١) د . وجية كوثراني ، السلطة والمجتمع والعمل السياسي ، ص ١٥٧ .

(٢) عبد الرحمن الكواكبي ، أم القرى ص ٤٧ .

(٣) المصدر نفسه ص ٤٩ .

(٤) د . عبد العزيز الدّوري ، المرجع السابق ص ٧١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"غير أن هذا الامتياز العربي الذي يدفع به بعض المحلّلين ليروا فيه موقفاً قوميّاً عربياً عصريّاً ، وينزع لتكوين دولة أمّة عصريّة متحررة من الاستعمار العثماني ، ليس إلا خاصّة يراها الكواكبي عند عرب الجزيرة ، يرى بالالتزام معها خصائص ومزايا لغيرهم من الأقوام" [١]. فتوزع الجمعية مهمّات الأقوام بما يتلاءم مع خصائصهم ومزاياهم في وظائف الجامعة الإسلاميّة على الشكل التّالي " إن معاناة حفظ الحياة السياسّية ولا سيّما الخارجيّة متعيّنة على التّرك العثمانيّين، ومراقبة حفظ الحياة المدنيّة التنظيميّة يليق أن تناط بالمصريّين ، والقيام بمهام الحياة الجنديّة يناسب أن يتكفّل بها الأفغان وتركستان والخزر والقوقاس يميناً ، وإمارات إفريقيا شمالاً ، وتدبر حفظ الحياة العلمية والاقتصاّدية خير من يتولاّها إيران وأواسط آسيا والهند وما يليها " [٢]. بهذا التوزيع بدا الكواكبي واعياً لإبعاد جعل جميع العناصر في الجامعة الإسلاميّة ، تشارك في مشروع النهّضة الدينّة والسياسيّة الذي دعا إليه .

وبمثل هذا التوزيع أيضاً كان الكواكبيّ واقعيّاً ، بان هذه الجامعة الإسلاميّة تُظل تحت سقفها عناصر وقوميّات مختلفة ، لكلٍّ منها خصائص وإمكانيات تختلف عن الأخرى ، لتبرز بذلك الطاقات الإبداعيّة والعلميّة عند كل العناصر .

هذا ..... وان الناظر في صحف بلاد الشام يجد إن عدداً منها كان قد تبنّى تيار الجامعة الإسلاميّة والدعوة إليه . فكانت صحيفة ثمرات الفنون والتي ترأس تحريرها عبد القادر القبّاني في بيروت ، وصحيفة طرابلس التي أنشأها محمد كامل

---

(١) د . وجيه كوثراني ، السلطة والمجتمع والعمل السياسي ، ص ١٥٧.

(٢) عبد الرحمن الكواكبي ، أم القرى ، ص ٣٥٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البحيري عام ١٨٩٣ م، وصحيفة ابابيل والتي أسسها في بيروت حسين محي الدّين حبّال [١]. كانت هذه الصحف وغيرها قد جعلت من الرابطة الدّينية والجامعة الإسلاميّة آصرة يلتقي عليها المسلمون بغضّ النظر عن الجنس أو العرق أو الجغرافيا .

ثالثاً : التيّار الاستقلاليّ :

كان للعاملين الدّيني والاقتصادي الدور الأساس في جعل مسيحيّ لبنان يتزعمون الدعوة لفكرة الاستقلال الوطني عن الدولة العثمانية ، وعلى مدى الأيّام اصبحوا أغنى تجّار الإمبراطورية العثمانيّة ، وذلك لما تمتعّ به لبنان من موقع جغرافي وتراث تاريخي ، وثّقا صلته بالغرب من الناحية التجاريّة ، وهيّاته لكي يكون الممرّ الرئيسي للفكر والحضارة الغربيّة إلى الوطن العربي [٢].

كما ساهمت عوامل أخرى في بث روح العداء بين اللبنانيين والأتراك مثل انتشار التعليم الغربيّ ، وتغلغل أفكار الثورة الفرنسيّة ، وإحياء اللغة العربيّة ، وآدابها ، وتأسيس المطابع وإنشاء الصّحف والسياحة في الخارج ، وعودة بعض المهاجرين اللبنانيين من أمريكا الشمالية ، كل هذه العوامل مجتمعة جعلت المسيحيّين يعتبرون أنفسهم مواطنين غرباء في بحر شاسع من السّيادة التركيّة [٣].

---

(١) احمد فهد بركات الشواكبة ، حركة الجامعة الإسلامية ، مكتبة المنار الزرقاء ص ٩٤ .

(٢) زين نور الدّين زين ، نشوء القوميّة العربيّة ، دار النهار للنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية، ص٦٦.

(٣) زين نور الدين زين ، المرجع نفسه ص ٤٦ ، كذلك رئيف خوري ، الفكر العربي الحديث اثر الثورة الفرنسية في توجيهه السياسي والاجتماعي ، دار المكشوف ، الطبعة الثانية ، بيروت ص ١١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في ظل تلك الأجواء – العداء للتّرك والانفتاح على الغرب – تشكّلت قوى انخرطت في المشروع الغربيّ "وهذه القوى بمعظمها تنتمي إلى شرائح غير إسلاميّة، هي قوى مدينيّة بشكل أساس ما عدا الموارنة ، كان قد نشأ مثقّفوها في مدارس إرساليّة أجنبيّة وقام تجارها بدور الوسيط في حركة التبادل بين السوق المحلي والأسواق الأوربية، لينخرط هؤلاء في تيّار مسيحيّ مديني واسع ومتعّدد الاتجاهات حيال الموقف من الدّول الأوربية ، اتجاه فرنسي واتجاه انجلو أمريكي ، وينزع نحو اقتباس النموذج الغربيّ فكراً وثقافة ومؤسّسات . ومن هنا كانت أيدلوجيا القوميّة العلمانيّة إحدى نتاجات هذا التيّار في النصّف الثاني من القرن التاسع عشر[١].

فبعد تعليق الدّستور وحلّ مجلس 'المبعوثان' وانتهاء الحرب الروسيّة – العثمانيّة، ظهر في بيروت عام (١٨٨٠-١٨٨١) أصداء لموقف سياسيّ اتخذ شكل دعوة سرّية عنيفة للثورة على الأتراك – مناشير لا تحمل توقيعاً ، كتبت باليد ، وعلّقت على جدران المدينة تحمل على ظلم الأتراك وتندّد بالفساد ، وتدعو السوريين للثورة والاستقلال [٢].

"وما يلفت النّظر في هذه المناشير – عدا ظاهرة الجدّة في طريقة الإعلام السّري، الجماهيري فيها– تضمنّها مفاهيم سياسيّة جديدة لا عهد للأفكار السائدة بها . فللمرّة الأولى في التاريخ العربيّ الحديث تبرز الدّعوة للوطن السّوري ، تبدأ

---

(١) د . وجيه كوثراني ، بلاد الشام ، السكّان والاقتصاد ص ١٦٤.

(٢) د . وجية كوثراني ، الاتجاهات السياسية والاجتماعية في جبل لبنان والمشرق العربي ١٨٦٠-١٩٢٠ معهد الإنماء العربي ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٩٨٢ ص ١٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المناشير بالنداء – يا أبناء سورية– يا أهل الحميّة السوريّة والنخوة العربيّة، يا أهل الوطن" [١] وتدرج المطالب التالية [٢]:

(١) "استقلال نشترك به مع إخواننا اللبنانيّين بحيث تضمُّنا جميعاً الصّوالح الوطنيّة".

(٢) "أن تكون اللغة العربيّة رسميّة في البلاد ، وان يحقّقَ لأبنائها الحريّة التّامة في نشر أفكارهم ومؤلفاتهم وجرنالاتهم بمقتضى واجبات الإنسانية ومقتضيات التقدّم والعمران" .

(٣) "أن تنحصر عساكرنا في خدمة الوطن". وينتهي أحد البيانات بإيراد بعض الأبيات من قصيدة إبراهيم اليازجي التي مطلعها 'تنبهوا واستفيقوا أيها العرب".

وكان وراء هذا التوجّه الاستقلاليّ ، حسب ما يورده أحد ابرز القائمين عليه، وهو فارس نمر ، جمعيّة سرّيّة ، تأسّست حوالي سنة ١٨٧٥م ، وتألّفت من مجموعة من المثقفين المسيحيّين وهم على رأيه ، نخبة مفكرّة ، درسوا في الكلّية السوريّة الإنجيلية ، جامعة بيروت الأمريكية فيما بعد ، وابرز هؤلاء فارس نمر باشا، ويعقوب صرّوف وإبراهيم اليازجي وشاهين مكاريوس [٣].

وبهذا تكون هذه الجمعيّة بدعوتها هذه إلى الهدف الذي يسعى إليه المسيحيّون وهو التخلّص من الحكم العثماني وإقامة دولة عربيّة مستقلّة على أساس علمانيّ ، ولهذا كان عليهم أن يتعاونوا مع المسلمين العرب للوصول إلى هذا الهدف ، فكانت

---

(١) د. وجيه كوثراني ، الاتجاهات السياسية ، ص ١٢٥ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٢٦ .

(٣) زين نور الدين زين ، المرجع السابق ، ص ٦٠-٦١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القوميّة العربيّة هي القاسم المشترك ووسيلة الدّعوة والتعاون مع المسلمين العرب"[١].

اضطر مؤسّسو هذه الجمعيّة إلى اللجوء إلى القاهرة أمام قمع السلطات العثمانية لها، وهناك في القاهرة أسسّ فارس نمر ، وشاهين ومكاريوس ، ويعقوب صرّوف عام ١٨٨٥م جريدة سياسيّة يوميّة هي جريدة المقطّم ، ومجلّة فكرية "المقتطف" وليتابعوا من خلالها نشر أفكارهم في خط ليبراليّ ذي صلة أكيدة بتلك البداية التي نشأت في بيروت[٢].

ولدى مقارنته لتلك المناشير الثلاثة يقول الدكتور عبد العزيز الدوري : "ويلاحظ إن أسلوب المنشورين الأوّلين ضعيف بالقياس إلى المنشور الثالث ، كما أن المنشور الأخير يشعر بوجود فروع للجمعية السّرية التي أصدرته في أنحاء البلاد مما لا نراه في المنشورين الأولين ، وإذا كان المنشور الأول يشير ضمنا إلى الإصلاح والى اليقظة ونبذ الخلاف ، والثاني يعرب عن يأس من الإصلاح على يد التّرك ، ويدعو للإدارة الذاتية ، فان الثالث اكثر شمولاً في نقده ، كما انه يحوي برنامجاً واضحاً "[٣].

---

(١) د . وميض نظمي ، المرجع السابق ، ص ١٣١ .

(٢) د . وجيه كوثراني ، الاتجاهات السياسية ، ص ١٢٧ .

(٣) د . عبد العزيز الدوري ، المرجع نفسه ، ص ١٥٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التطوّرات الفكريّة بين عام ١٩٠٨-١٩١٦م العهد الدستوري :

الموقف من إعلان الدّستور :

جاء انقلاب ١٩٠٨ العسكري وأعلن الدّستور ، وكان بين أهداف الانقلاب ضمان المساواة بين جميع الرعايا العثمانيين ، والنهوض بالدّولة ، ودفع خطر الأطماع الأجنبية وتطلّع العرب إلى عهد جديد ، وتوارت الدّعوة إلى خلافة عربيّة ، وتراجعت الأفكار الانفصاليّة ، وأمل العرب في الإصلاح ، وان يكون لهم نصيب في إدارة الدّولة ، وان يُعترف بالعربيّة إلى جانب التركيّة في التّعليم ، وفي المعاملات الرسميّة [١]، ليعزّز بذلك خط التيّار العثماني - الجامعة العثمانيّة - الداعي للوحدة الوطنيّة العثمانيّة فيما بين جميع عناصر الدّولة المختلفة .

في ظل هذه التطلّعات والآمال بإعلان الدُستور، نجد أنّ التيّار العام سواء في بلاد الشام، أو عند المفكّرين الشاميّين الذي لجأوا للخارج- كان قد أيّد الدّستور وأعلن ابتهاجه وسروره بعودته. يقول فخري البارودي: "وقع الأنقلاب العثمانيّ فقامت القيامة، وخرج المنادون ينادون في الأسواق بإعلان الدّستور والحريّة والمساواة والعدالة وأقيمت الزّينات، وراح الناس يهتفون مع الهاتفين دون أن يفهموا شيئاً "[٢] .

وفي جولته في سوريّة إثر إعلان الدّستور كان رشيد رضا يدعو للاتحّاد مع التّرك ، ونبذ الفرقة بين العنصرين : " وكنت أبيّن لهم ولغيرهم أن تنفير العرب من

---

(١) د. عبد العزيز الدوري ، التكوين التاريخي ، ص ١٩٧ .

(٢) فخري البارودي ، مذكرّات فخري البارودي ، ستون سنة تتكلمّ ، مطابع دار الحياة ، بيروت ، دمشق، ١٩٥٢ ، ص ٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التُرك مفسدة من اضرّ المفاسد ، وإننّا في اشد الحاجة إلى الاتّحاد مع التُرك والإخلاص لهم ، لان مصلحتنا ومصلحتهم في ذلك ، وان نكون من الآن من اشدّ الأعوان لجمعية الاتحّاد والتّرقّي على بثّ روح الدستور في جميع الطبقات ، ورقباء على الحكومة في سيرها وأعمالها حتى ترسّخ فيها الديمقراطيّة وتسير بعد اجتماع "المبعوثان" على الأصول الدستوريّة" (١) .

ووقفت الصّحافة هي الأخرى موقفاً واضحاً قوياً بتأييدها للدّستور وإظهار حسناته، في الوقت الذي كانت تعلن سخطها على عهد ما قبل الدُستور . كانت جريدة الاتحاد العثماني واحدة من الصّحف التي أخذت على عاتقها تأييد الدّستور والتبشير بإعلانه ، جاء في عددها الأوّل والذي صدر بعد إعلان الدستور بشهرين : "الدستور يا قوم نعمة لكنه حمل ثقيل على عاتق الأمّة ، إذ أصبحت بعده محكومة وحاكمة ، فلا يكفيه منها إبداء الفرح والسرور، وإعلان الابتهاج والحبور، وقولنا فليعش الدستور ، بل يتطلّب منّا حقوقاً جسيمة وأعمالاً عظيمة وخصوصاً في زمننا اليوم زمن الانتقال من دور إلى دور فإذا نحن لم نعلم هذه الحقوق، ولم نعمل بتلك الأعمال كان حظنا من الدّستور الاسم ومن التقدم الرسم"(٢). وموقف الجريدة هذا من الدستور، إنما لأنها تراه حافظاً للرابطة العثمانيّة، والاتحّاد العثمانيّ، تقول الجريدة في العدد نفسه: "فغايتنا في جريدتنا هذه أن يكون مسّماها مطابقاً لاسمها الاتحّاد العثمانيّ، فهي تخدم الجامعة العثمانية على الإطلاق" (٣).

---

(١) د. وجيه كوثراني ، الاتجاهات السياسية ، ص ١٤٢.

(٢) جريدة الاتحّاد العثماني ، لصاحبها احمد حسن طبّارة ، المطبعة الأهلية ، بيروت ، العدد الأول ، ١٩٠٨/٩/٢٢ . وهي لسان حال جمعية الإخاء العربي العثماني .

(٣) المصدر نفسه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونهض الأدباء والشعراء كذلك ، مؤيدين للدستور وحسناته ، ساخطين على الاستبداد وسيئاته يقول الشيخ مصطفى الغلاييني في قصيدة له [١]:

فتّباً لحالٍ كلنا كان عبدها ... فأما اختيار له أو رغم مرغم

ولم تُجد شكواها ولم يجد صبرها ... فباتت بقلب بالمكارة مفعم

وهل تنجح الشكوى ويفلح أهلها ... وقلب ولاة الأمور عن مثلها عمي

نعم ساد باستبداده كلّ ظالم ... وغرّ على أهل التقّى كل مجرم

إلى أن يقول .....

فلما رأى الأحرار ذلك اقسموا ... على الموت أو تخليصها كل مقسم

فروع أهل الغرب والشرق عزمهم ... وكفاهم عن نهب ملك مقسم

وهزّوا سيوف اللّه فاهتز يلدز ... وبات رجال السوء في سوء مأتم

ويمكننا القول هنا أن المفكّرين الإصلاحيّين المسلمين هم قادة هذا التيّار، لقناعتهم بإمكانية هذا التنسيق مع الأتراك من خلال البرامج العربيّة التركية المشتركة.

لكن ما هو موقف المسيحيّين في لبنان؟

كان اشتراط معرفة اللغة التركيّة للمرشح لمجلس "المبعوثان" يثير شيئاً من الاستياء، فكتب جورج سمنة الذي كان يتابع ردود الفعل على إعلان الدّستور: "خارج نطاق الموظّفين لا نجد إلا عدداً قليلاً من المرشحّين يتوفّر فيهم هذا الشرط،

(١) جريدة الاتحاد العثماني ، العدد ٧٥ ، ١٩٠٨/١٢/٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولقد كان هناك تيّار قويّ في الرأي العام قد طالب، لكن بدون إحراز أيّ نجاح، أن يُعترف باللغة العربيّة لغة رسميّة، لذا بدا ثمّة شعور بالمهانة حيال تحيّز الأتراك، فلم يستمر ذلك الحماس الجميل حماس البداية. ففي الوقت الذي كان فيه الاتحاديّون يقودون حملتهم الانتخابيّة بحماس عظيم، كانت وجوه النّاخبين يرتسم عليها موقف لا مبال ومقلق، لقد بدأنا نحسّ بولادة الخلافات العميقة وبوطأة التناحرات المستعصية"[١].

في ظل مثل هذه المواقف الفكريّة من الدّستور، تأسّست العصبة العثمانيّة في باريس في شهر تشرين أوّل ١٩٠٨م، من بعض رجال الأعمال والمثقفين المسيحيين المهاجرين من ولاية بيروت، وضمّ مكتبها التنفيذي : شكري غانم، جورج سمنة، الفرد سرسق، نجيب طرّاد، ومع أن العصبة انطلقت من مبدأ دعم ونشر الهدف السامي للعناصر الحرة في تركيّا إلاّ أن النّداء الذي وجّهته لم يخف نزعة إقليميّة سوريّة تستّرت بالدّعوة للارتباط بالعثمانية وطموحاً نخبويّاً للعب دور قيادي في إطار سوريّة ودون تحديد جغرافي معين لهذا التعبيّر. فالبيان التأسيسّي للعصبة يتضمن التوضيح التالي "حتى ولو كان تأسيس هذه العصبة فإنها وكما يدل اسمها وهدفها، عثمانيّة في الأصل مفتوحة بالتالي لجميع العثمانيّين من ذوي الإرادة الخيرّة"[٢].

ولذا كانت الاحتجاجات شديدة على المبادرة التي قام بها مجموعة من اللبنانيين على رأسها شكيب أرسلان [٣]. مطالبة للعمل بالدستور العثماني في لبنان .

---

(١) د . وجيه كوثراني ، السلطة والمجتمع والعمل السياسي ، ص ١٦٥ .

(٢) المرجع نفسه .

(٣) انظر ، شكيب أرسلان ، سيرة ذاتيّة ، ص ١١٦ وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من أمثلة تلك الاحتجاجات المنشور الذي حمل عنوان "لبنان في خطر" دون أن يحمل توقيع الجهة التي أصدرته ، ومما جاء في المنشور: "لقد طلبتم ولا تزالون تطلبون مبعوثين للبنان وبرهانكم واحد ، هو لأجل المحافظة على نظام لبنان ، غير أن البعض منكم يتباهون ويتفاخرون بتوهيمهم للآخرين قائلين لهم : ما يضرّنا لو نحن خدمنا في العسكرية وهذا أمر واجب على كل عثماني ، وواجب علينا أن نشارك الدّولة في كلّ شيء وقبلاً كنا محتاجين الاستثناء . وأما اليوم بعد منح الدّستور فالأحرى بنا أن نعدم الاستثناء ، فيالها من خيانة كبرى . يجب أن تفهموا بان دولتنا والإنسانيّة والضمير وواجبات الوطن كل ذلك يأمركم بان تحبّوا في الأول وطنكم لبنان المحبوب من الدنيا"[١] .

الفكر القومي العربي وسياسة الاتحاديّين التتريكيّة :

لم تكد تبدأ فترة الحلم العربيّ بالدستور والآمال المعقودة عليه بأخذ الحقوق ونيل الحريّات ، والتعاون فيما بين العرب والترك للنهوض بالدولة لمجابهة التحّديات الداخليّة والخارجيّة ، إلا وقد بدأت تلك الأحلام بالتلاشي ، وأصاب تلك الآمال الإحباط واليأس ، أمام سياسة الاتحاديّين الاستبداديّة والتتريكيّة ، فبسيطرتها على مؤسسات الدولة ، عمدت جماعة الاتّحاد والترقيّ إلى سياسة التمييز والمفاضلة فيما بين عناصر الدّولة ، لتجعل من العنصر التّركي صاحب المقام الأول والحظ الأوفر في سياسة الدّولة وإدارتها [٢]، بل إن هذه السياسة بدت اكثر وضوحاً ، حين كانت

---

(١) د . وجيه كوثراني ، الاتجّاهات الاجتماعية والسياسيّة . ص ١٧٧ .

(٢) د . احمد السمّان ، المجتمع المعربيّ ، مطابع دار الفكر ، دمشق ، ١٩٦٢ ص ٥٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطالبة بطمس اللغة والثقافة والهويّة العربيّة ، لتضرب مثل الدعوات عمق الإحساس والانتماء العربي في مكوّناته الأساسيّة .

كتب أحد أعضاء جمعيّة الاتحّاد والتّرقي مقالاً في جريدة طنين الاتحاديّة - قال فيه: "لا يزال العرب يلهجون بلغتهم كأنهم ليسوا تحت حكم الأتراك ، فمن واجبات الباب العالي في هذا الحال إن ينسيهم لغتهم ، ويجبرهم على تعلّم لغة الأمّة التي تحميهم ، فإذا أهمل هذا الواجب كنا كمن يسعى لحتفه ، لان العرب إن لم ينسوا لغتهم وتاريخهم وعاداتهم فانهم سيعملون عاجلاً أو أجلاً على استرجاع مجدهم الضائع ، وتشييد دولة عربيّة على أنقاض دولة التّرك"[١].

دفعت هذه السياسة الاستبداديّة والتتريكيّة بحكومة الاتحاديّين لسنّ قوانين من اجل إغلاق الجمعيات والنّوادي العربيّة التي أسّسها العرب بعد إعلان الدستور فاقدموا على إغلاق جمعية الإخاء العربي العثماني ، وإغلاق جريدتها الناطقة باسمها - الاتحاد العثماني- في شهر نيسان عام ١٩٠٩م [٢] ، ليواجه المنتدى الأدبي النهاية نفسها سنة ١٩١٥م [٣].

إزاء هذه السياسة العنصريّة ، فانه ينتظر من الفكر السياسي العربيّ ، أن تبدأ محدّداته الذاتية تبرز بشكل اكثر وضوحاً ، وبذا "كان على التيارات الفكرية الدّاعية إلى الجامعة العثمانيّة إن تفسح الطريق لتيّارات واتجاهات أخرى تدعوا إلى انفصال الأقاليم العربية عن الدولة العثمانية ، والى إنشاء دولة عربيّة قومية مستقلّة"[٤].

---

(١) ثورة العرب ، بقلم أحد أعضاء الجمعيّات العربيّة ص ١٥٩ .

(٢) د . عبد العزيز الدّوري ، التّكوين التاريخ ص ١٩٩ .

(٣) جورج انطوينوس ، يقظة العرب ، دار العلم للملايّين ص ١٨٤ .

(٤) باسل الكبيسي ، حركة القوميّين العرب ، ص ٤٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهنا اخذ الفكر السياسي العربيّ ينفر من الاتحاديّين ، ويتذمّر منهم ، وبالتالي من الأتراك بشكل عام ، ليطفو فوق السطح ، مشكّلاً بذلك أرضيّة ومنطلقاً فكريّاً للتيار العربيّ القومي الداعي للاستقلال عن الترك ، فتحت الصحف والجرائد العربيّة صفحاتها للدّعوة لهذه التوجيّهات والمناداة بها ، جاء في جريدة المفيد لصاحبها عبد الغني العريسي تحت عنوان نشيد وطني [١]:

إيه مهد الفخار كيف اضطهدوك	كيف عن درك المعالي أقعدوك
وطني كيف ارتضيت الانتحار	أين ذاك المجد بل أين الفخار
أين من قد شيّدوا تلك الدّيار	أصبحت من بعد منآهم قفار
إيه سورية متى هذا السّبات	ينقضي أم هل يؤدي للممات
انهضي للعلم وأجيبي السالفات	إنما بالعلم إحياء الرُّفات

والوطن سورية "مهد الفخار" اصبح في هذا النشيد وأمثاله يشكلّ الملتقى الفكري، والرابطة الأقوى والقيمة الأعلى ، ليقّرر هذا النشيد أن رقيّ الوطن مرهون باقتران ماضي الأجداد الزاهر بوسائل العلم الحاضر .

ويقول عبد الغني العريسي في مقال بعنوان "لا ينال العرب حقوقهم إلا متى اثبتوا وجودهم" نقول هذا ونحن على بصيرة من قولنا، فان العرب إذا استكانوا لما قيل وما يزال يقال عنهم ، فإنما ذلك لقدرهم الجامعة الدينيّة الإسلاميّة قدْرها ، وتمسّكهم بعرش الخلافة الذي يحوم حوله ثلاثمائة مليون نفس من المسلمين . هذه حقائق يجب على رجال الأستانة أن لا يضربوا بها عرض الحائط ، وربّما إذا استمرّ

---

(١) جريدة المفيد ، لصاحبها عبد الغني العريسي ، العدد ٣٠٦ ، ١٩١٠/٢/٥ م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هؤلاء على خطّة التّعريض لحق بالدّولة العليّة ضرر أيّما ضرر[١] "ويتناول العريسي مقّومات الأمّة ، وعناصر القوميّة العربيّة فيعود إلى التراث ، ويفيد أيضاً من الآراء الحديثة . فالعربيّة قاعدة العروبة ، وقد نزل القران بالعربيّة وثبت ذلك ، يقول العريسي : "فوالذي نفس محمد بيده لم ينزل الله كتاباً قرآناً عربيّاً إلاّ ليقرب الشعّوب[٢]".

ثم يقول العريسي وهو يصف المظالم التي أدت بالعرب إلى الانقلابات ضد الأتراك: "لقد حاولوا قتل لغتنا وخنق شعورنا القومي ، وحاولوا تتريكنا ، ولكنهم لم يفلحوا ، لقد صبرنا على هذا ولكنهم الآن قد بدأوا بتحطيمنا ، إن سوريّة سرعان ما ستمتلئ بوعّاظ يبّشرون بدين الاستقلال العربي"[٣].

أمّا عبد الحميد الزّهراوي – والذي كان من اشد المصلحين فرحاً بالدستور وتأييداً له –نراه بعدما تكشّفت سياسة الاتحاديّين العنصريّة قد اصبح لا يفرقّ بيّنها وبين سياسة العهد السابق الاستبدادّية : "لقد أشبعنا العهد الماضي هجوماً وذمّاً ، وحقّنا أن نفعل، فإننا كيفما التفتنا كنّا نرى آفة من آفاته . ولكن ماذا نرى اليوم؟ واأسفاه إن كل ما كنّا نراه أمس ، فاليوم نحن له مشاهدون مع زيادات كثيرة ، وما كان هذا السُّر من الغوامض بل يكاد يكون بديهيّاً ، وإنما الذي حجبه عن بصائرنا ، هجوم الآمال دفعة واحدة باندكاك تلك القوّة التي كانت تمثّل استبداد ذلك اليوم"[٤] .

---

(١) المفيد ، ٣٨٠ ، ١٩١٠/٥/٣ .

(٢) د . عبد العزيز الدّوري ، التكوين التاريخي ، ص ٢١٦ .

(٣) الحياة الفكرية في المشرق العربي ١٨٩٠-١٩٣٩ . منشورات مركز دراسات الوحدة العربيّة ، تشرين أوّل ١٩٨٣ ص ٧٧.

(٤) جريدة الحضارة ، لصاحبها عبد الحميد الزهراوي ، العدد ١١٨ ، ١٩١٢/٧/١١ م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويجْمل محمد كرد علي ما حصل بينه وبين الاتحاديّين بقوله : "هذا عملي وهذا عمل الاتحاديّين ، والاتحاديّون أعاجم لا يفهمون ولا يحبّون أن يفهموا ، أقوياء الشكيمة ، لا يرضيهم إلا أن يسير كل إنسان في المملكة على برنامجهم الأعرج ، بدون بحث ولا نظر ، وإلاّ فالقتل ايسر الأمور في نظرهم" (١)، ولعل المجال هنا لا يتسع للتتبع ردّة الفعل القوميّة الاستقلالية لدى هذا التيار . إلاّ انة مما ينبغي التأكيد عليه هنا أن هذا التيّار لم تكن تعني لديه هذه الفكرة التخلّي عن الهويّة الإسلاميّة ، بل إن الدّعوة ما زالت عند هذا التيّار في الترابط العضوي بين العروبة والإسلام(٢).

احتوى هذا التيّار اتجاهين اثنين كانا يناديان بالاستقلال الذاتي وهما :

أولاً: اتجاه يدعو إلى إنشاء مملكة عربيّة تتمتّع بالاستقلال الذاتي ، وترتبط بالمملكة العثمانيّة ارتباط المجر بالنمسّا في الإمبراطوريّة النمّساويّة الهنغاريّة .

وتمثّل هذا الاتجاه في الجمعيّة القحطانية التي تألفّت سرّاً سنة ١٩٠٩م ، والجمعيّة ترى ضرورة بقاء الخلافة الإسلاميّة وديعة مقدّسة بيد آل عثمان . وتهتمّ الجمعيّة بأمر سلامة استامبول من مطامع الدول الأجنبيّة اهتماماً خاصّاً ، لاعتقادها أن استامبول راس الشرق ، لا يمكنه إن يعيش بدونها .

وعلى رجال العهد أن يبذلوا قصارى جهدهم في إنماء الخصال المحمودة ، وبث الدّعوة للتمسّك بالأخلاق الفاضلة ، لان الأمّة لا تستطيع الاحتفاظ بكيانها السياسي والقوميّ ما لم تكن مجهزّه بالأخلاق الصالحة . ويجب على الأمة العربيّة أن تسعى للحصول على ما يؤهّلها لان تكون القوة الاحتياطيّة الرئيسّة لحصن الشرق

---

(١) محمد كرد علي ، المذكرات ، الجزء الأوّل ص ٧٧ .

(٢) د. عبد العزيز الدّوري ، التكوين التاريخي ، ص ٢١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمام الاستعمار الأوروبيّ[١] " . "وتعدّ هذه الدعوة خطوة متقدّمة على اللامركزيّة العثمانيّة على طريق الانفصال والاستقلال التام" [٢].

ثانياً: اتجّاه يدعو إلى اللامركزيّة الإداريّة العثمانيّة ، والذي استطاع أن يؤسس حزباً سماه بهذا الاسم "حزب اللامركزية الإدارية العثماني" .

تأسّس هذا الحزب في مصر في أواخر سنة ١٩١٢م ، وقام على تأسيسه مجموعة من رجالات سوريّة ، من أمثال رفيق العظم ، ورشيد رضا ، واسكندر عمون، وفؤاد الخطيب [٣].

انطلقت النظريّة السّياسية للحزب من عدّة مبادئ أهمها : " إن غرض الأمم الذي ترمي إليه في هذا الوجود إنما هو الحياة ، الحياة الاجتماعية والحياة السياسيّة، بمعنى أن يكون لها وجود اجتماعي راقٍ ، ووجود سياسي ثابت ... وانه من الضروريّ أن تسعى الأمّة لكلا الوجودين في منهجهما القويم الموصل إلى الغاية ، وتعنى بها جميعاً ، بمعنى أن لا تقتصر مجهوداتها على بلوغ غاية أحدهما دون الآخر . ذلك أن القوانين الاجتماعيّة مهما كانت راقية قلّ إن تضمن الحياة للامة ، إذا لم تكن قائمة على أساس متين هو القوانين السياسية" [٤].

ويقرّر الحزب في برنامجه انطلاقاً من هذه النظريّة "إن افضل أشكال الحكومات هو الدستوري ، وافضل أشكال الحكم الدّستوري هو اللامركزيّة ،

---

(١) مذكرات سليمان فيضي في غمرة النضّال ، دار القلم ، بيروت ص ١٣٦ .

(٢) قاسم محمد صالح ، وقاسم محمد الدروع ، دراسة أوليّة في الفكر السياسي للثورة العربيّة الكبرى مقال قدّمه الدكتور علي محافظة ، ص ٤٣ .

(٣) د. سهيله الريماوي ، بحث مقدّم لليوم العلمي للكلية الآداب في الجامعة الأردنية سنة ١٩٨٣م ص١٧، تحت عنوان مفهوم اللامركزية وتطوره .

(٤) المرجع السابق ص ٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خصوصاً في الممالك التي تعدّدت فيها الفرق والمذاهب واللغات ، واختلفت فيها العوائد والتقاليد والأخلاق ، فكان من الصعب أن تساس بقانون واحد لم تراع فيه تلك الأحوال . ولم يُنظر معه في الحاجة والزمان والمكان[١] ". وجاء أيضاً " أنّ اللامركزية افضل مُربّ لأفراد الأمة على الاستقلال الذاتي الذي هو خير وسيلة لترقيّ الأمم ، لأنها ، أي اللامركزيّة ، تأبى بطبيعتها أن تكون تبعة الحكم مقصورة على أفراد قليلين تصدر عنهم القوة والعمل إلى كل ناحية من أنحاء المملكة"[٢] .

جمعيّة العربيّة الفتاة :

ترجحّ كثير من الروايات ، إن هذه الجمعيّة تأسسّت في الاستانه سنة ١٩٠٩م[٣]. ويمكن اعتبار هذه الجمعيّة إلى حد كبير ، أنها تزعّمت تيّاراً قوميّاً تطوّر مع تطوّر الأوضاع العامّة إلى اللّامركزيّة ، وأخيراً وبعد قيام الحرب العالميّة إلى الدّعوة للاستقلال التام [٤]. بل إن الاتجّاه نحو الاستقلال بدا واضحاً لدى القائمين على هذه الجمعية منذ تأسيسها ، نظراً لما وجدوه من سياسة الاتحاديّين العنصريّة الهادفة إلى الهجوم على القوميّة العربيّة يقول عوني عبد الهادي : "وعلى هذا الأساس تداولنا حول مشروع تشكيل جمعيّة سريّة عربيّة قوميّة في مواجهة تركيّا الفتاة ، -الاتحّاد والترقيّ- تهدف إلى استقلال امتنا العربيّة عن هذه الأمة التي ذقنا منها الويلات ، طيلة هذه المدّة ، وكنا في مرحلة المداولات الأولى حينما رخّصت

---

(١) محمد عزة دروزه ، نشأت الحركة العربية الحديثة ، الجزء الأول ، ص ٣٦٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٦٢ .

(٣) د. سهيله الريماوي ، جمعية العربية الفتاة السريّة ، دار مجدلاوي للنشر ، عمان ١٩٨٨ ص ٦٥.

(٤) د. عبد العزيز الدوري ، التكوين التاريخي ، ص ٢٠٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جمعيّة الإخاء العربيّ العلنيّة في شهر آب ١٩٠٨م ، فصمّمنا نحن أن تكون السرية طريقنا في تأسيس الجمعيّة"[١].

أهداف جمعية العربيّة الفتاة :

"هدف الجمعيّة هو : النهوض بالأمة العربيّة إلى مصافّ الأمم الحيّة كما تقول المادة الأولى من الدّستور وهو: "جعل الأمة العربيّة بمصافّ الأمم الحيّة"[٢].

وهذا الهدف الموجز البسيط ، يعني أن تمتلك الأمّة العربيّة حقوقها القوميّة التي هي حقوق طبيعيّة للامّة ، تجُمل في أن تكون لها دولتها المستقلّة الحرة ، ويعني بلغة مواد دستور الجمعيّة وصيغة قسمها ارتقاء هذه الأمّة في دولتها المستقلّة الحرّة إلى مستوى الأمم الحديثة [٣]. كانت هذه المبادئ والأهداف يعمل العضو لها ويحفظها من خلال العهد الذي يقطعه على نفسه حينما يقسم: " اقسم بالله وبشرفي أن أسعى في تأييد غاية الجمعيّة، وهي الاستقلال العربيّ التام، والسعي في جعل الأمّة العربيّة في مصافّ الأمم الحيّة. أقسم بالله وبشرفي، إنني أحافظ على أسرار الجمعيّة، وافضّل مصلحتها، ومصلحة إخواني فيها على مصلحة سواها. أقسم بالله وبشرفي إنني أطيع قانون الجمعيّة وأوامرها وإذا خنت يميني يكون ... والله على ما أقول شهيد"[٤].

---

(١) د. سهيله الريماوي ، جمعية العربية الفتاه السرية ، ص ٦٦.

(٢) د. سهيله الريماوي ، جمعية العربية الفتاه السرية، ص ٧١ .

(٣) د. سهيله الريماوي ، جمعية العربية الفتاه السرية، ص ٧٣ .

(٤) د. سهيله الريماوي ، جمعية العربية الفتاه السرية، ص ٢٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويمكن القول هنا أن هذه السّمات الطبيعة السريّة ، والاسم العربيّة الفتاة ، والأهداف والقسم ، قد حدّدت من خلالها الجمعيّة وجهتها القوميّة العربيّة الداعية للاستقلال العربي ، ولتعطيها موقعاً بين الأحزاب والجمعيّات السياسيّة العربيّة ، في صنع الوعي القومي وانتشاره".

وإذا ما عرفنا، أن الداعين لهذه الاستقلاليّة التّامة من خلال تأسيسهم لهذه الجمعيّة ، كانوا جميعاً من الشباب العربي المسلم ، فانّ هذا يعني سابقة أولى في الفكر السياسي العربي الإسلامي .

المؤتمر العربيّ الأول في باريس ١٩١٣م .

فكرة المؤتمر :

جاءت فكرة عقد مؤتمر يناقش أوضاع الأمّة العربيّة وعلاقاتها مع الدولة العثمانيّة، وليدة تفاقم الأزمات الخارجيّة والداخليّة . فكان هجوم الإيطاليّين على طرابلس سنة ١٩١١م ، يشكّل عمليّة عدوان استعماري للتوسّع في الأقاليم العربيّة في شمال أفريقيا، واقتطاع إقليم عثماني عربي من جسد الدّولة العثمانيّة ، وإخضاع أهله العرب لحكم أجنبي أوروبيّ مسيحيّ . حدث هذا العدوان في وقت تزايد فيه الجدال والتباعد بين العرب والأتراك بسبب سياسة الاتحاديّين العنصرية [١].

وما زالت هذه الأوضاع تتدهور حتى أدّت بوالي بيروت في أواخر عام ١٩١٢م ، أن يبعث إلى الصدر الأعظم كامل باشا تقريراً عن الحالة السياسيّة في

---

(١) د. جلال يحيى ، العالم العربي الحديث ، دار المعارف ، القاهرة ، ص ٤٣٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المدينة جاء فيه : "يتجاذب البلاد عوامل مختلفة، وقد ولىّ قسم عظيم من الأهالي وجههم نحو إنجلترا أو فرنسا لإصلاح لحالة التعّسة التي هم فيها ، فإذا نحن لم يهتمّ بالإصلاح الحقيقيّ تخرج البلاد من يدنا لا محالة" [١].

في ظل هذه الظروف انبعثت فكرة المؤتمر في أذهان خمسة شبان من أركان جمعيّة العربيّة الفتاة السريّة، وقد كانوا طلاباً في مدارس باريس العالية، وهم: عبد الغني العريسي ومحمد المحمصاني وتوفيق فايد، وهؤلاء من بيروت، وعوني عبد الهادي من نابلس، وجميل مردم بك من دمشق[٢]. ويؤكدّ عبد الغني العريسي بأسلوب المحتج على القائلين بان فكرة المؤتمر جاءت من عندهم، وذلك ببعثه رسالة إلى محبّ الدّين الخطيب بهذا الخصوص جاء فيها: "أخي محب طالعت الآن جرائد الغرب، فرايتها كلها تقول أن ندرة مطران هو صاحب فكرة المؤتمر. ولذلك نحب أن تردف بأسمائنا فكرة المؤتمر" [٣].

ومما يجدر ذكره في هذا الصّدد ، انّه في الوقت الذي استطاع شباب العربيّة الفتاة أن ينقلوا مسرح الحركة العربيّة إلى باريس ، حيث يمكن أن تشهد أصداء ابعد، وتأثيراً اشدّ ، كانت باريس أيضاً ، منذ زمن بعيد مركز إقامة عدد من المثقّفين المسيحيّين الذين تركوا بيروت وجبل لبنان ، وبعض المناطق المجاورة، ليتعاطوا بعض النشاطات الثقافيّة والسياسيّة في الصحّف الباريسيّة، وفي المراكز الثقافية التي كانت تتولىّ أمر الدّفاع عن السّياسة الاستعماريّة الفرنسيّة [٤].

---

(١) د . وجيه كوثراني ن الاتجاهات الاجتماعيّة والسياسيّة ، ص ٢٠٧ .

(٢) د . سهيله الريماوي ، جمعية العربيّة الفتاة ، ص ١٥٦ .

(٣) د . سهيله الريماوي ، جمعية العربيّة الفتاة ، ص ١٦٢ .

(٤) د . وجيه كوثراني ، الاتجاهات الاجتماعية والسياسية . ص ٢١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبدأت الاتصالات والمشاورات مع شتىّ الاتجاهات المعارضة للمركزية التركيّة على اختلاف جذورها الثقافيّة ، وانتماءاتها الأيدلوجيّة السياسيّة . لتتمخّض تلك الاتصالات عن تشكيل لجنة تحضيرية للمؤتمر تألفّت من "عبد الغني العريسي ، محمد طبارّة ، جميل مردم ، عوني عبد الهادي ، شكري غانم ، ندرة مطران ، شارل دباس وجميل معلوف" [١]. ليتمثل بهذا التشكيل الاتجاهات السياسيّة المختلفة ، والذي سيلعب الدّور الواضح في تشكيلة الاتجّاهات السياسيّة في المؤتمر ، ومعرفتها فيما بعد ، وهذا ما يعنينا بشكل مباشر في هذا البحث .

الاتجاهات السياسيّة في المؤتمر :

عُقد المؤتمر بعد المراسلات التي تمّت بين اللجنة التحّضريّة، وبين حزب اللامركزية الإداريّة في القاهرة . وذلك بناء على ما قررتّه اللجنة من الارتباط بالحزب، وإسناد رئاسة المؤتمر له [٢]. ومن المهم هنا أن نذكر الأفكار ذات الأولوية الهامّة في مباحث المؤتمر ، حسب رأي اللجنة التحضيريّة بمراسلاتها لحزب اللامركزيّة والتي كانت [٣]:

١- الحياة في سوريّة ومناهضة الاحتلال .

٢- حقوق العرب في المملكة العثمانيّة .

---

(١) المرجع نفسه ، ص ٢١٤.

(٢) المؤتمر العربي الأوّل والمنعقد في القاعة الكبرى للجمعيّة الجغرافية بشارع سن جرمن في باريس، صادر عن اللجنة العليا لحزب اللامركزيّة ، ص ٢١ ، والذي قام بجمعه محب الدين الخطيب سنة ١٩١٣ ، وسيشار إليه فيما بعد المؤتمر العربي الأول ، سنة ١٩١٣ .

(٣) المصدر نفسه ص ٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- ضرورة الإصلاح على قاعدة اللامركزية كما هو مفصّل في برنامجكم ، أي برنامج حزب اللامركزيّة .

٤- الهجرة من سوريّة واليها .

شكّلت هذه الأفكار فيما بعد المحاور الرئيسيّة لمناقشات المؤتمر ، والتي كشفت عن اتجاهين سياسيّين رئيسيْن سيطرا على أجواء المؤتمر .

١) الاتجّاه اللاّمركزي العثماني :

برغم ما كانت تشهده فترة المؤتمر ، من تزايد في حّدة العلاقات العربيّة التركيّة ، وبرغم النّزعة الاستقلاليّة لدى جمعيّة العربيّة الفتاة ، صاحبة فكرة المؤتمر. نجد أن الخط الإسلامي ما زال يتشبّث بالعثمانيّة كإطار يحوي الجميع على أساس اللامركزيّة ، لدفع التوسّع الاستعماري الأوروبيّ ومقاومة الاستبداد والعنصريّة لدى جماعة الاتحّاد والتّرقيّ . كان أول المؤكدّين على هذا الاتجاه رئيس المؤتمر عبد الحميد الزهراوي ، والذي بسط هذه القضيّة في خطابه في المؤتمر : "امتزج الفريقان امتزاجاً عظيماً ، مضى عليه اكثر من عشرة قرون . ولكن كما مزجت بينهم السيّاسة فرّقت بينهم السّياسة . ولم يبق من ذلك الامتزاج القديم إلا رابطة بين بعض العرب وبعض التّرك ، وهم التّرك العثمانيّون وهذه الرابطة لا تزال تعدّ ثمينة عند التّرك العثمانيّين ، والعرب العثمانيّين معاً . مع أن عزّتها في نفوس الفريقين قد أصبحت مهدّدة بالسيّاسة اكثر مما كانت مهدّدة من قبل، ومشكلة التهدّيد هذه هي بقاء السيّاسة بيد التّرك . عندها تنبّه العرب إلى واجب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفريقين بسياسة البلاد ، حيث لا العرب انتفعوا ببراءتهم من ذنب إضاعة البلاد ، والترك لم ينتفعوا بتحمّلهم وحدهم تبعة ذلك الحمل الثّقيل" [١].

لكن الزهراوي لا يتطرق إلى مناقشة التوجّه الاستعماري الأوروبيّ ، مكتفياً بطرح التبادل الحضاري بين الشرق والغرب . ليرى أن الغرب اليوم قويّ متين ، وانّ رجاله هم أساتذتنا ، وبهذا يرى أنّ الغرب مقتدى الشرق[٢] . مختتماً خطابه بقوله : فأوروبّا ليست هي الغول ، وإنما الغول سوء الإدارة ، وفساد السياسة ، ولو كانت أوروبا هي الغول لما ساعدت دولتنا بشيء من الأشياء ، وأوروبا لا تريد أن تزيد في ممالكها الواسعة رقعة جديدة .

.... إن أردنا أن نحتلّ مكاناً تحت الشمس علينا أن نستوعب الحضارة الغربيّة"[٣].

أكد عبد الغني العريسي ، هو الأخر بخطابه في المؤتمر الالتزام بهذا الاتجّاه. وان بدا كلامه ذا نبرة قوميّة اشد ، فهو يرى أن العرب يمتلكون كل مقوّمات التكوين القوميّ:

"إنّ الجماعات في نظر علماء السياسة لا تستحقّ هذا الحق إلاّ إذا جمعت على رأي علماء الألمان ، وحدة اللّغة ووحدة العنصر ، وعلى رأي علماء الطّليان وحدة التاريخ ووحدة العادات ، وعلى مذهب الساسة الفرنسيّين وحدة المطمح السياسي ، فإذا نظرنا إلى العرب من هذه الوجوه الثلاّثة ، علمنا أنّ العرب تجمعهم

---

(١) المؤتمر العربي الأول في باريس، ص ٣٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٨ . ولمزيد من الإطلاع انظر النصّ الكامل لخطبة عبد الحميد الزهراوي في المصدر نفسه ٢٨-٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحدة لغة ، ووحدة عنصر ، ووحدة تاريخ ، ووحدة عادات ، ووحدة المطمح السياسي ، فحقّ العرب بعد هذا البيان أن يكون لهم ، على رأي علماء السيّاسة دون استثناء ، حقّ جماعة، حق شعب وحقُّ أمّة . وانّ العرب يطلبون حقهّم كشركاء في هذه الدّولة ، شركاء في القوّة الإجرائية ، شركاء في القوّة التشريعيّة ، شركاء في الإدارات العامّة ، أما في داخليّة بلادهم فهم شركاء أنفسهم" [١]. ويبدو العريسيّ هنا متأثّراً بوضوح بالمفاهيم القوميّة الأوروبيّة .

وبرغم قوّة التوجّه القومي هذه عند العريسي ، إلاّ انه لم يكن يدعو للانفصال عن الدولة العثمانيّة . إنمّا نظر لعلاقة العرب معها علاقة شراكه ، تعتمد في قوّتها وضعفها على التّرك أنفسهم : "إن ارتباط العرب بالدّولة العثمانيّة مرتبط بضمان حقوق العرب ، إن كثُر كثُر وان قلّ قلّ " [٢].

ويمكن إجمال توجّه أصحاب هذا الاتجّاه في المؤتمر في النقّاط التّالية [٣]التي هيمنت بظلالها على قرارات المؤتمر :

١- بُعد حركة المؤتمر عن الغايات الدينيّة ، والتضّامن التاّم بين المسلمين والمسيحيّين.

٢- الولاء التاّم للرابطة العثمانيّة ، وعدم الرغبة في الانفصال عن الدّولة العثمانيّة ، بشرط أن تعترف الدّولة بحقوق العرب ، وتشركهم في إدارة السلطنة .

---

(١) المؤتمر العربي الأول ، ص ٢٤-٤٣ ، خطبة عبد الغني العريسي في المؤتمر .

(٢) المصدر نفسه ص ٤٣ .

(٣) د . توفيق برو ، العرب والترك في العهد الدستوري ، ص ٥٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- التأكيد على وجوب حفظ حقوق العرب القوميّة ضمن هذه الرابطة ، وانّ خير ضمانة لذلك هو التسليم بنظام الحكم اللاّمركزي .

٤- التركيز على نبذ التّدخّل الأجنبيّ ، وعلى إنّ المؤتمر يشجب أي محاولة من هذا النوع .

٢) الاتّجاه الاستقلاليّ القطريّ المرتبط بفرنسا :

لعلّ التقرير الذي بعثه القنصل الفرنسي في بيروت إلى وزير الخارجيّة الفرنسيّة ، حول طبيعة التّشكيلة التي تألّف منها وفد بيروت ، يفضي بوضوح عن وجود هذا الاتّجاه: "إن هذا التردّد في السفر يسهل فهمه ، خاصة بالنسبة للمسلمين الذي سوف يقومون بتوجّههم إلى الدّول المسيحيّة للحصول على منحة يرفضها الباب العالي. وذلك عبر خطوة لم يسبقها مثيل حتى الآن ، إلاّ أنّ الشيخ طبارة الذي قبل الذهاب بعد توسّلات أصدقائه قد تنّحى أخيرا لأسباب صحيّة. أما سليم سلام فهو لا يزال في حيرة من أمره ، ويجب القيام بخطوة جديدةً تجاهه اليوم بالذّات . وفي حال قبوله سوف يسافر بدون شك إلى القاهرة في الباخرة القادمة مع الدكتور أيوب ثابت والسيد البير سرسق . وبذلك لا تعود تحتوي إلاّ على خمسة أعضاء ثلاثة مسيحيّين واثنين مسلمين ، السيّدان مختار بيهم، وخليل زينة ، هما الشخصيّتان الأكثر تميّزاً ، وإنني اسمح لنفسي بان أوصيك بهذا الأخير بشكل خاص أن تستقبله استقبالاً حسناً . لقد برهن دائماً عن كونه مخبراً متفانياً ، ومنبهّاً مخلصاً لهذه القنصليّة العامّة ، فلنا أن نعتبره بحق موالياً لفرنسا بصدق " [١].

---

(١) مذكّرات سليم علي سلاّم ، ص ٢٥٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان ندرة مطران وهو مسيحيّ من بعلبك ، من الذين عملوا في هذا الاتّجاه ، فقد عبّر عن طموحات استقلاليّة ، حدّدها في إطار سوريّة ، دون أن يدعو صراحة للانفصال عن الأتراك ، حيث اعتبر السوريّين أمّة كانت مستقّلة في التاريخ العربيّ والإسلاميّ ، ولم تخضع لسيطرة الأتراك ، إلا بعد أحداث ١٨٦٠م : "هذه سوريّة كانت منقسمة مقاطعات ، وكانت كل مقاطعة تحت سيطرة بيت عربيّ يحكم في شؤونها ويدبرّ أمورها في السّلم والحرب ، ولا تزال أخبارهم في هذا الخصوص متداولة بيننا ، أمّا دمشق فإنها كانت مجمع الأشراف الذين دخلوها في يوم الفتح ، وأقاموا فيها منذ عهد الأمويّين ، متوارثين اللّسان والأخلاق والعادات والتقاليد العربيّة على ما كانت في حضارة الدّولة العربيّة ، وكانت لهم السيّادة في المدينة ، والكلمة النّافذة في الدّولة الحاكمة ، وعلى عموم السّوريّين " [١].

ولا أدلّ على ارتباط أصحاب هذا الاتجاه بفرنسا من المحاولة التي قاموا بها لأجل إدخال مطلب اعتماد مفتّشين أجانب في سوريّة في لائحة مطالب المؤتمر[٢] .

من جهته فقد وجّه شكري غانم في اليوم الذي افتتح فيه المؤتمر جلسته ، إلى وزارة الخارجيّة الفرنسيّة كتاباً جاء فيه : "أما الهدف الذي ينشده المؤتمر ، فان المشتركين به أنفسهم يشكون في بلوغه ، وهم يتوقّعون المقاومة التركيّة ، ولا يرجون شيئاً من حسن نيّة القسطنطينيّة ، ومع ذلك فانّ الأعضاء المسلمين يبذلون هذا الجهد إرضاءً لضميرهم ، وإيفاء بمسؤولياتهم ، وبعد فشل هذه المحاولة ، فانه من المحتمل جدّاً انهم ينتهون إلى الانفصال عن تركيّا إداريّاً والى مشاركة مواطنهم

---

(١) د . وجية كوثراني ، السلطة والمجتمع والعمل السياسي ، ص ١٨٢ .

(٢) مذكرات سليم علي سلاّم ، ص ٣٤٠ ز

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المسيحيّين رأيهم في الانضمام إلى لبنان"[١] . وهو بهذا يحاول أن يقدّم تحليلاً للاتجاّهات السيّاسيّة التي يمكن أن يتجّه نحوها الوضع السياسي في سوريّة ، بعد احتمال فشل مساعي المؤتمرين من الحصول على الإصلاحات المطلوبة ، إلى أن ينتهي به القول إلى "وهكذا تتألّف بين ليلة وضحاها سلطة قانونيّة ، إذ يشارك ممثّلون من ولاية بيروت في المجلس الإداري اللبنانيّ الذي يطلب من أوروبا وتركيّا تعيين سلطة أوروبّية، إن هذا المشروع ليس حلماً ، وعلى فرنسا المتمثّلة بقنصليّتها بيروت إلا تضع أمامه العراقيل . ألا يعني لبنان الأكبر أن تضع فرنسا يدها على الشواطئ السوريّة ودونما حاجة إلى احتلال فعلي ، وحصول مساومات ومضاعفات خطيرة" [٢].

كان لخطورة هذه التوجّهات ، أن دفعت بأصحاب الاتجاه الأخر ، اللاّمركزي العثماني ، كي يعملوا على إفشالها وردّها . فقد ترأس عبد الحميد الزهراوي رئيس المؤتمر ، وفداً لزيارة وزارة الخارجيّة الفرنسيّة لتوضيح الموقف العربي من مثل تلك التوجهّات . وكان مما قاله الزّهراوي لوزير الخارجية الفرنسيّة : "إن الاتحاد المستحكم بين المسلمين والمسيحيّين اعظم برهان على ارتقائنا ، وكفاءتنا لإدارة أعمالنا ، مع استعانتنا بتجارب أوروبا، واستظلالنا بظل الراية العُثمانيّة. وقال مختار ببيهم أحد أعضاء الوفد للوزير : إننّا نحترم الفرنسيّين ، ولكن لا نرضى أن يكونوا اكثر من أن نرغب معاضدتهم ، في إصلاح أحوالنا بشرط أن نبقى عثمانيّين" [٣].

---

(١) د . وجيه كوثراني ، المرجع السابق ، ص ١٨٥ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٨٦ .

(٣) احمد عزت الاعظمي ، القضيّة العربية ، الجزء الرابع ، ص ٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عندها لم يكن أمام فرنسا إلا أن تفصح عن نواياها تجاه عقد المؤتمر في عاصمتها. فبعد سماع الوزير الفرنسي لهذه الآراء والمواقف ، بعث إلى قناصله في سوريّة يقول : "لقد تحقّق لدينا من تصريح الوفد ، إن هذه الحركة قد انقلبت علينا ، ولذلك اظهروا أنفسكم إنكم تساعدونها لاكتساب قلوب الأهالي ، ولكن في الخفاء اسعوا لقتلها"(١).

الاتحاديون والمؤتمر :

لعلّه لا يعنينا هنا تفاصيل موقف حكومة الاتحّاديّين من المؤتمر ، بقدر ما يعنينا طبيعة الموقف نفسه. لما لذلك من اثر في الفكر السيّاسي العربي فيما بعد .

فبرغم ما توصّل إليه المؤتمر من قرارات تؤكدّ على الحفاظ على الدولة العثمانيّة، لتؤكدّ بالتالي قوّة الاتجّاه اللاّمركزي العثماني ، هذا في الوقت الذي بدت فيه المطامع الاستعماريّة الأوروبيّة ظاهرة اكثر من أيّ وقت مضى . برغم ذلك كله، فقد حشدت حكومة الاتحاديّين قواها لمناهضة المؤتمر وإفشاله (٢).

ولما رأت الحكومة الاتحاديّة إنها لم تنجح في إفشال المؤتمر ، لجأت إلى أسلوب آخر ، يعتمد الدهاء والمكر ، وذلك بإظهار التجاوب مع المطالب العربيّة الإصلاحيّة ، ذلك إنها -أي الحكومة- كانت تمُر في ظرف دقيق ، فحرب البلقان لم تنته بعد . فرأت أن لا تزيد مشكلاتها بمشكلة العرب ، وهم نصف الدّولة أو يزيدون . وكان من مظاهر هذا الموقف العجيب الجديد أن جريدة طنيّن الاتحاديّة

---

(١) مذكرات سليم علي سلاّم ، ص ٨٥ .

(٢) ثورة العرب ، بقلم أحد أعضاء الجمعيّات العربيّة . ص ٧٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نفسها التي حملت اشدّ الحملات على المؤتمر والمؤتمرين ، واتهمتهم بالخيانة . وقلّلت من شانهم ، أخذت تردّد شيئاً من معاني التّفاهم مع العرب ، والقبول بطلباتهم الإصلاحيّة [١].

كما وان ساحة العلاقات العربيّة التركيّة ، شهدت في تلك الفترة الوجيزة ، نوعاً من الحوار واللّقاء والتقّارب ، انتهت بتعيين عبد الحميد الزهراوي ، وعبد الرحمن اليوسف ، ومحمد الكخيا أعضاء في مجلس الأعيان[٢] .

الانفصال العربيّ التركيّ :

أعطت الحرب العالميّة الأولى، الفرصة للعرب كي يعلنوا انفصالهم عن تركيا، ففي الوقت الذي بدأت فيه اتصّالات العرب مع بريطانيا ، بما يعرف بمراسلات الشريف حسين – مكماهون ، كانت تركيا قد دخلت الحرب إلى جانب ألمانيا. كان لهذه التطوّرات، وتكشّف سياسة الخداع الاتحاديّة بالعودة إلى سابق عهدها ، بل إنها ازدادت عنصريّة وشططاً ، حين أقدمت على إعدام مجموعة من رجالات العرب كان من بينهم عبد الحميد الزهراوي عضو مجلس الأعيان في السادس من أيار عام ١٩١٦م[٣].

في هذه الأثناء كانت الجمعيات العربيّة في بلاد الشام ، وعلى رأسها جمعيّة العربيّة الفتاة بدأت اتصالاتها مع الشريف حسين بن علي في مكّة للتشاور معه ،

---

(١) محمد عزة دروزه، نشأة الحركة العربيّة ، الجزء الأول ، ص ٤٤٢ .

(٢) ثورة العرب ، ص ٩٩ .

(٣) مجلّة الكوكب ، ١٩١٦/١٢/١٩م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتعرّف على آرائه . استمرت هذه الاتصالات ، والتي شارك فيها الشريف فيصل بن الحسين ، لتنتهي إلى إعلان الشريف حسين بن علي الثورة على الأتراك في العاشر من حزيران عام ١٩١٦م ، ودخول الحرب إلى جانب الحلفاء [١]. ليعني ذلك إقفالاً لمسارٍ تاريخيّ استمرّ لمدة أربعة قرون ، وفتحاً لمسار تاريخي جديد .

العهد الفيصلي والتيارات السياسيّة:

توجّت جهود الثورة العربيّة والحلفاء ، بدخول الأمير فيصل دمشق في الثالث من تشرين أوّل عام ١٩١٨م ، وسط استقبال أعيان الشام وعلمائها ورجالها [٢].

وبرغم قصر المدة الزمنية التي عاشها هذا العهد ، إلاّ إنها تشكلّ نقطة تحّول هامة في الفكر السياسي العربي ، لما علق المفكرون السياسيّون الآمال عليها كنقطة بداية لانطلاقة جديدة في النهضة العربيّة ، لينشأ في ظل هذا العهد اتجاهات سياسيّة تبلورت في تيارين إثنين هما :

التيار الوطني الديمقراطي الاستقلالي :

كان الأمير فيصل بن الحسين من الذين تبنّوا هذا التيار ، والذي أكّد على الوطنيّة رابطة ، والديمقراطية منهجاً ، ففي البيان الذي أصدره الأمير فيصل لإعلان تأسيس الحكومة في الثاني من تشرين الثاني ١٩١٨م قال: "شكّلت في سوريّة

---

(١) د . سهيله الريماوي ، جمعية العربيّة الفتاة ، ص ٢٦٧ .

(٢) أمين سعيد، الثورة العربيّة الكبرى، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٩٥٤م. المجلد الثاني،ص١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حكومة عربيّة مستقلّة استقلالاً مطلقاً لا شائبة فيه ، باسم مولانا السلطان حسين شاملة جميع البلاد السوريّة . وليعلم جميع الناس أن حكومتنا تأسسّت على قاعدة العدالة والمساواة ، فهي تنظر إلى جميع الناطقين بالضاد على اختلاف مذاهبهم وأديانهم نظراً واحداً ، لا تفرق في الحقوق بين المسلم والمسيحيّ والموسوي . فهي تسعى بكل ما لديها من الوسائل ، لتحكيم دعائم الدولة التي قامت باسم العرب ، وتستهدف إعلاء شانهم ، وتأسيس مركز سياسي لهم بين الأمم الراقية" (١).

لعل هذه الصرّاحة التي اتسّم بها البيان في التأكيد على العدالة وحريّة الأديان وحفظ الحقوق الوطنية للجميع ، لا تعني فقط التأثر بالفكر السياسي الغربي ، بل هي في الوقت نفسه ، تحذّر من السياسة الاستعماريّة الغربيّة ، وفي محاولة لتطمين دوائر السياسة الغربيّة ، التي تتخذ عادةً من حفظ حقوق الاقليّات الدينيّة والدّفاع عنها ذريعة للاستعمار والاحتلال ، فاعلان الاستقلال المطلق لسوريّة – وسوريّة هنا هي سوريّة الطبيعيّة – في ظل حكومة عربيّة جاء ليضمن حقوق كافة الاقليّات .

تبنّت جريدة العاصمة – جريدة الحكومة الرسميّة – فكر هذا التيّار والدّعوة أليه، جاء في أحد أعدادها : "فحبُّ الوطن هو الذي انتصر به الغرب على الشرق، بل هو الجامعة التي تضم إلى المملكة الواحدة ، تحت لوائها من العناصر والأجناس المتعّددة ، وهذا ناجمٌ عن تكيّف الإنسان بالمحيط الذي هو فيه ، وتألفه مع ما يحيط به من ارض ونبات وغيرهما . لذلك كان الإنسان مشغوفاً بالأرض التي عاش فيها،

---

(١) د . ذوقان قرقوط ، المشرق العربي في مواجهة الاستعمار ، قراءة في تاريخ سوريّة المعاصر ، الهيئة المصريّة العامة للكتاّب ، ص ١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والسماء التي انتشق نسيمها ، ويحنّ دائماً إلى وطنه ولو هجره زمناً طويلاً " [١].

هذا ، لتقول الجريدة في العدد نفسه بمقال آخر : "فعلى أبناء العرب أن ينبذوا أسباب التعصّب والشحناء ، ويطرحوا التمسُّك بما ورثوه من العوائد والمبادئ الغريبة التي لا تتفق مع أخلاق هذا العصر ، ويساعدوا الحكومة على إنشاء تربية جديدة وطنية ، وتهذيب ناشئة عربيّة تحيى وتموت للوطن ، ويحيى ويموت الوطن لأجلها" [٢] ، كانت الدعوة للرابطة الوطنيّة ، تشكل خطاً واضحاً في الفكر السياسي للجريدة ، لتتبنىّ في الخط الآخر الدعوة للديمقراطيّة والعمل بها ، أخذه من مدنيّة الغرب نموذجاً وقدوة : "فالمدنيّة الحديثة بدأت أرستقراطية ، ثم انتهت ديمقراطية ، فلنبدأ باستقراء الحادثات الخاصة للوصول إلى القواعد العامة من الديمقراطيّة " [٣]. ليصل الأمر بالجريدة إلى اعتبار أن طبيعة العلاقة الاجتماعية فيما بين الحاكم والشعب ، صورة من أوضح صور الديمقراطية تقول : "شهد ابن الحاضرة منذ أيام المأدبة التي أقيمت في حديقة الأمّة مشهداً من الديمقراطيّة ، وقد أعاد هذه السنّة الحسنة إلى الوجود بيننا سموّ الأمير زيد المعظمّ ، في تلك المأدبة الشائقة بمصافحته المدعويّن فرداً فرداً على اختلاف مراتبهم كما يصافح النّد ندّه ، نعم إن الذين شهدوا هذا المشهد الجميل اعجبوا به ، لأنه تجرّد من المراسم الرسميّة المعتادة ، والتقاليد الموروثة ، تلك التقاليد التي تقلّص ظلُّها بتقلص حكام الدّور البائد ، ولكنّ

---

(١) جريدة العاصمة الرسميّة ، العدد ٢١ ، ١٩١٩/٤/٢٨م .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) جريدة العاصمة ، العدد ١١ ، ١٩١٩/٣/٢٥م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدّيمقراطية العربيّة الكاملة ستبدو بأجلى مظاهرها ، يوم يرون جلالة الملك يصافح أبناء الأمّة العربيّة من دانٍ وقاصٍ ، ويؤانسهم على سنة أجداده الأولين" [١].

وإذا ما عرفنا أيضاً ، إن عامّة الأحزاب السياسيّة [٢]، سواء التي تأسست خلال العهد الفيصلي ، أو التي كان تأسيسها قبل ذلك ، التقت مبادؤها على المنطلقات الفكرية لهذا التيار ، الداعية للنهوض القومي ، والاستقلال الوطني والنهج الديمقراطيّ ، يتضحّ لنا المدى الفاعل الذي استطاع هذا التيار ، أن يتركه في التأثير على الجماهير . تبيّن هذا يوم أن جاءت لجنة كنج كراين ١٩١٩ لاستطلاع الآراء حول مستقبل البلاد ، ليخرج الشعب بحماس كبير ، ولافتات كتب عليها يحيى ويلسون حامي الحريّات ، الاستقلال أو الموت ، العرب يريدون الاستقلال ويرفضون أي انتداب الاستقلال يؤخذ ولا يعطي ، لتسقط فرنسا ، لتسقط الصّهيونية، وليسقط بلفور ، لا حماية ولا وصاية ، وكانوا ينشدون الأناشيد الحماسية [٣]:

أنت سوريّة بلادي ... أنت عنوان الفخامة

وعلى أم القرى سلامٌ ... على من في بواديها أقاموا

على حامي الحمى في القبلتين ... أمير المؤمنين قرة كل عين

خليفتنا ومولانا الحسين.

---

(١) العاصمة ، ١٩ ، ١٩١٩/٤/٢١م .

(٢) مثل حزب الاتحاد السوري ، والحزب الوطني السوري ، فقد أكدت برامجها على مبادئ ذلك التيار ، انظر أمين سعيد ، الثورة العربية الكبرى ، المجلد الثالث ص ٢٣٦ وما بعدها .

(٣) خالد العظم ، مذكرّات خالد العظم ، الدار المتحدة للنشر ، بيروت ، المجلد الأول ص ٩٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المؤتمر السوري العام والدستور :

وما زال هذا التيار ينمو ويسير إلى الإمام في ظلّ الحكومة الراعية له ليعمل على تأسيس المؤتمر السوري العام ، وذلك بانتخاب أعضائه من جميع مناطق سوريّة الطبيعيّة ، ممثّلين بذلك كافة الشرائح السكّانية على اختلاف انتماءاتهم الاجتماعية أو الدّينية . وقام الأمير فيصل بافتتاحه في السابع من تموز عام ١٩١٩م[١].

وكان من أهم أولويات هذا المؤتمر ، العمل على وضع دستور للبلاد ، لينظم الحياة السيّاسة فيها ، والذي تمّ إنجازه في العام التالي ١٩٢٠م ، مشكلاً بذلك : "أول بادرة من هذا النوع في عهد الملك فيصل عند تنصيبه ملكاً عليها على أساس دستور برلماني ، تضمّن مائه وثمانٍ وأربعين مادة" [٢]. والتي بدورها عكست مبادئ الفكر السياسيّ لهذا التيّار ففي الوقت الذي جاءت تلك المواد لتؤكدّ فيه الحقوق القوميّة للبلاد السوريّة في استقلالها ووحدتها . أكدّت أيضاً على المبادئ الدّيمقراطية في الحريّة للأفراد والأحزاب والجماعات لجميع المواطنين ، وانهم متساوون أمام القانون ، دون النظر للجنس أو العرق أو الدّين ، أو المذهب ، كما ضمنت استقلاليّة القضاء ، واعتبرت الحكومة مسؤولة أمام مجلس البرلمان [٣].

---

(١) أمين سعيد ، الثورة العربية الكبرى ، المجلد الثاني، ص ٢٥٠ .

(٢) د. عبد الغني البشري ، اثر سياسة القوميّات في الحركة القوميّة العربيّة ١٩٦٤م ، ص ٢١٠ ، وكذلك د. خيريه قاسميه ، الحكومة العربية في دمشق ، ١٩١٨ - ١٩٢٠ ، مصر ، دار المعارف ، ص ١٠٤.

(٣) انظر مواد الدستور الملحق رقم (١) ص ٢٦٢ ، د. ذوقان قرقوط ، المصدر السابق ص ٩٧ وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تيّار الانتداب الفرنسي:

بجانب ذلك التيار السابق ذكره ، والذي كان يعبّر عن طموح الجماهير في الحرية والاستقلال كان هناك تيّار ، ذا شان هام ، وان بدا اقلّ شعبيّة . وهو التيّار الدّاعي للانتداب الفرنسي على سوريّة وعامة بلاد الشام . ذلك انه استطاع بنهاية المطاف أن يحقق أمانيه ورغباته، يوم أن حلّ الانتداب الفرنسي على سوريّة ولبنان.

تمثّل دعاة هذا التيار ببعض مسيحّي بلاد الشام ، كما يتبّين من خلال الوثائق .

فقد رفع أفراد الطائفة الكلدانية بحلب عريضة مماثلة إلى لجنة كنجح كراين الأمريكيّة:

"نحن أفراد طائفة الكلدانيّة بحلب الموقعيّن بذيله ، قد انتدبنا برضانا وحسن اختيارنا ، حضرة الخوري ميخائيل شعيا ، والسّادة فرانسوا ، شوحا ، جميل رسّام، وسمعان موصلي ليمثلونا أمام اللجنة الأمريكيّة ، وليبنّوا لها مطالبنا وهي المحافظة على وحدة سوريّة بحدودها الطبيعيّة واستقلالها ، وانتداب دولة فرنسا دون سواها للوصاية عليها ، وإشعاراً بذلك سلّمناهم صك الاعتماد هذا . حلب تحريراً في السادس من تموز عام ١٩١٩م . توقيع وأختام ١٧٦ شخصاً " (١).

أما بالنسبة لمسيحيّ لبنان ، فقد اصبح موقفهم بهذا الخصوص لا يحتاج مزيداً من الإيضاح . ذلك انهم ، كما سبق وبيّنا ، كانوا قد بدا عندهم هذا التوجّه منذ القرن التاسع عشر وذلك بالارتباط بفرنسا بشكل أو بآخر.

---

(١) ذوقان قرقوط ، المشرق العربي في مواجهة الاستعمار ، ص ٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

التيارات الفكرية وتنظيماتها السياسية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التيارات الفكريّة وتنظيماتها السياسّة :

أدّت النتيجة المؤلمة التي أفضت إليها معركة ميسلون إلى فرض الانتداب الفرنسي على سورية بالقوّة العسكريّة ، ليؤديّ بالتالي إلى فرض واقعٍ سياسيٍّ جديدٍ ألقى بظلاله وأثاره على الحياة العامّة للمجتمع السوري خصوصاً الحياة الاقتصاديّة والاجتماعيّة منها . فالاستفادة من سورية كمنطقةٍ سياسيّةٍ واستراتيجية هامة في المشرق العربي وفي شرقي المتوسط ، وكنافذةٍ على آسيا ، لم تكن لترضي فرنسا التيّ أرادت تحويلها أيضاً إلى مصدر كبيرٍ لزيادة إغناء الدولة الفرنسيّة وشركاتها الرأسماليّة . هذا ما يفسّر السياسة الاقتصاديّة التي انتهجتها في سورية ، فمن خلال الاحتكارات والامتيازات الفرنسيّة في سورية الطبيعيّة ، منذ فترة الحكم العثماني ، ومن خلال المصارف الفرنسيّة وخاصة بنك سورية ولبنان الذي انشيء عام ١٩١٩، من اجل القيام بمهمّات المصرف الحكومي لسورية ، ومن خلال قيام الحكومة الفرنسيّة بمهمّة التداول النقدي وربط العملة السوريّة في علاقاتها بعملات الدول الأخرى بالفرنك الفرنسي ، استطاعت التحكم برؤوس الأموال داخل البلاد ، وبالتالي استطاعت التأثير الكبير على العمليّات الاقتصاديّة الجارية في سورية [١].

وهكذا عرقلت السياسة الاقتصاديّة الفرنسيّة نموّ رؤوس الأموال الوطنيّة وبالتالي قيام صناعةٍ وطنيّة تنهض بالاقتصاد الوطني ، كان لهذه الحالة الاقتصاديّة والاجتماعيّة في سورية التي المحنا إليها أثرها الكبير على تغيير وتطوير البنية للمجتمع السوري ، فكانت فئة الأغنياء وملاّك الأراضي تعتبر الفئة الأولى ذات

---

(١) د. نجاح محمّد ، الحركة القوميّة العربيّة في سورية من خلال تنظيماتها السياسيّة ١٩٨٧، دمشق ، دار البعث ، الجزء الأوّل ، ص ٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التأثير السياسي والاجتماعي الفعّال ، والتي نجد ضمنها محامين وموظفين كبار وعلماء دين أدّوا دوراً بارزاً في الحياة السياسيّة السوريّة أثناء حركة التحرّر الوطني وغداة الاستقلال ، ولكنّ مهنهم لا تمثّل قاعدتهم الاقتصاديّة وإنّما ملكيّتهم العقاريّة الكبرى [١].

إلى جانب هذه الفئة برزت فئة منافسةٌ لها في الزعامة والتأثير السياسي ، وهي الفئة التي بدأت تعمل في المجال الصناعي ، وذلك رغم الهيمنة السياسيّة والاقتصاديّة لفرنسا [٢].

وهكذا فانّ دور الزعامة السياسيّة ابتداءً من الحرب العالميّة الأولى اشتهرت بملكيّتها الشاسعة للأراضي ، أو بانتماءاتها الصناعيّة والتجاريّة من مثل اسر العظم والأتاسي والكيلاني والقوتلي والخوري والحفّار والشيشكلي وغيرها[٣] .

ويظهر من نسبة توزيع السكّان أنّ المجتمع السوري مجتمعٌ زراعيٌّ ريفيٌّ ، ففي عام ١٩٣٠ كانت نسبة سكّان الريف اثنين وستيّن بالمئة ، وسكّان المدن خمساً وعشرين بالمئة ، وسكّان البادية ثلاث عشرة بالمئة [٤]. أمّا من حيث الانتماء الدينيّ والعقائدي ، فقد شكلّ المسلمون ثلاثة أرباع سكّان سورية ليتوزّع الربع الرابع على باقي الطوائف من مسيحيّة وغيرها [٥].

---

(١) د. الحبيب الجنحاني ، الحركات الإسلاميّة المعاصرة في الوطن العربي ، مثال سورية ، مركز دراسات الوحدة العربيّة ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ص ١١٢ .

(٢) د. نجاح محمدّ ، المرجع نفسه ، ص ٦٨ .

(٣) د. الحبيب الجنحاني ، المرجع نفسه ، ص١١٢ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٠٩ .

(٥) أديب فرحات ، سورية ولبنان كتاب يتضمّن دروساً جغرافيةً تاريخيةً لحكومة لبنان الكبير وبلاد العلويّين وجبل الدروز وفلسطين والشرق العربي ، مطبعة العرفان صيدا ، ١٩٢٤م ص ١٣١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهكذا تفاعلت مجموعة العوامل الدينيّة والاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة في بلورة الفكرة السياسي ضمن تيّارات سياسيّة وتنظيمات حزبيّة ، رأيت أن أتناولها بالبحث استناداً إلى منطلقاتها الفكريّة ، آخذاً بعين الاعتبار العامل الزمني في متابعة تطوّرها الفكري ، فمن ناحيتها كانت الأحزاب في سورية حتىّ عام ١٩٣٢ تكتفي بنشر برامج مختصرة أو مفصّلة تتناول أموراً سياسيّةً ولا تلتفت للفكر السياسي [١].

التيّار القومي :

لعلّ الباحث لا يجانب الحقيقة إذا ما أكّد أنّ الفكر القوميّ العربيّ نشا وتطوّر في سورية ، فكما تبيّن سابقاً ، دفعت الظروف التاريخيّة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين ببلاد الشام أن تشهد حركة انبعاث الفكر القومي العربي على أرضها عبر صورٍ مختلفةٍ ، يجمعها إطار الهويّة القوميّة العربيّة .

وخلال مرحلة الانتداب الفرنسي بقيت سورية مركز التفكير القومي العربي، برغم حركة الاستعمار الغربي للعامل العربي والّتي جعلت كلّ قطرٍ ينصرف لحلّ مشاكله الخاصّة . هذا في الوقت الذي بدأت تظهر فيه نزعات إقليميّة وقطريّة متحلّلة من الارتباط القومي العربي ، كالفرعونيّة في مصر ، والفينيقيّة في لبنان ، والقوميّة السوريّة في لبنان وسورية نفسها [٢].

---

(١) احمد صدقي الدجاني ، تطوّر مفهوم الديمقراطيّة في الوطن العربي ، مركز دراسات الوحدة العربيّة ، كانون الثاني ١٩٨٧ ، الطبعة الثانية ، ص ١٣٥ .

(٢) البرت حوراني ، الفكر العربي في عصر النهضة ، ص ٣٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تجلّى هذا التيّار القومي في اكثر من حقلٍ من حقول التوجيه والثقافة ، فكانت الدراسات والأدبيّات القوميّة قد شهدت تطوّراً واضحاً إبّان تلك المرحلة ، خصوصاً في إحاطتها بالفكرة القوميّة شرحاً وتوضيحاً ، حيث انصبّت هذه الدراسات على إبراز هذا الفكر بكلّ أبعاده ، قواعده ومنطلقاته ، ضرورته ودوره ، وسائله وغاياته.

وفي هذا المجال يبرز كتاب الوعي القومي لصاحبه قسطنطين زريق كواحدةٍ من أهمّ الدراسات في الفكر العربيّ القوميّ ، وهذا الكتاب يعتبر بمثابة الوجه العربي للفكر الليبراليّ الغربيّ ، ويشمل فصولاً مستقلةً وضعت في أحوالٍ ومناسباتٍ مختلفةٍ نُشرت عام ١٩٣٩م . ويتناول معنى القوميّة ومقام المرأة في المجتمع وعلاقاتها بالتربية والجنس والدين ، والعمل الاجتماعي ، والتراث الثقافي العربي وكيفيّة حفظه وإحيائه ، والحاجة إلى الأدب التوجيهي وعناصر الثقافة الصحيحة ، وكيفيّة حمايتها مع تركيز خاص على الأزمة الروحيّة [١].

جعل قسطنطين زريق للوعي القومي أركانٌ ثلاثةً هي [٢]:

١- فهم صحيح لماضي الأمّة الذي تحدّرت منه شخصيتّها .

٢- تقدير متزن لقوى الحاضر وعوامله .

٣- إيمان متين بهدف الغد ورسالة المستقبل .

دعا قسطنيطين زريق إلى ضرورة توجيه الجهود إلى النهضة القوميّة ، التي يرى أنّ غايتها لا تقتصر على نيل الحريّة الخارجيّة ، والاستقلال السياسي ، بل

---

(١) د. حليم اليازجي وآخرون ، سلسلة بحوث ودراسات في القوميّة العربيّة أعدّت بإشراف د. معن زيادة، معهد الإنماء العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٣ ، المجلّد الأول ، ص ١٩١ .

(٢) قسطنطين زريق ، الوعي القومي ، دار المكشوف ، بيروت ، ١٩٤٠ الطبعة الثانية ، ص ٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ترتقي إلى أبعد من هذا بكثيرٍ إلى تحرير الأمّة من القيود الداخليّة ، والى توفير اكبر قسطٍ من السعادة والهناء لهم جميعاً ، والى كمال حياتهم الجسديّة والعقليّة والروحيّة ، والى رفع مستوى الحياة العربيّة بجميع نواحيها [١]. وانطلاقاً من هذا الفهم لإبعاد الفكر القومي ناقش زريق الدعوات الإقليميّة والقطريّة . ففي ردّة على الدعوة اللبنانيّة الإقليميّة والقائمة على الفينيقيّة يقول زريق : "أين أجد مصلحتي الكبرى وأحقّق غايتي القصوى ، في خلق كيان لبناني مستقلّ عن الأقطار العربيّة الأخرى أم في الارتباط بتلك الأقطار ارتباط المشترك في جهادٍ واحدٍ وحياةٍ واحدةٍ" [٢].

وفي نظرته للعلاقة فيما بين الدين والقوميّة حاول زريق برغم نزعته العلمانيّة تجنّب الصدام مع الدين ، بل ذهب إلى أبعد من ذلك حين رأى أنّ طبيعة العلاقة بين الدين الإسلامي والقوميّة العربيّة علاقةٌ من نوعٍ خاصّ . فهي تتّصف بكونها ذات تجاذب وتباعد ، وتواصل وتقاطع : "ولسنا نستطيع اليوم أن نفهم تراثنا العربي القديم سواءً في الفلسفة أو العلم أو الفن إلاّ بعد درس عميق لنصوص الدين الإسلامي وأحكامه ، وتفّهم صحيح لروحه ونظامه" [٣] . وهو بطرحه هذا يدلّل بالإضافة إلى وعيه ، على أهميّة التراث المصنوع في ظلّ الإسلام ، على وعيه انّه بطرحه للفكر القومي وإنمّا يخاطب الجمهور العربي الذي يؤمن أصلاً بالإسلام ويدين به . لكنّ الدين لا يتعدّى لدى قسطنيطين زريق كونه "نفحةً روحيّةً" [٤].

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢١ .

(٢) المصدر نفسه ، ١٠٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٢٦ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وخلاصة القول أنّ قسطنطين زريق كمفكّر قوميّ ساهم في إيضاح الوعي القومي . وكانت كتابه هذا : الوعي القومي ، والذي صدر خلال فترة الدراسة ذا تأثير واضح في صياغة الفكر القومي العربي فيما بعد [١] .

رئيف خوري ، لم يكن يمنعه اتجاهه الماركسي من المساهمة في الطرح القومي ومناقشة قضاياه. ففي مقال له في مجلّة الطليعة انطلق من تعريف الكاتب الفرنسي "فلاديمير دورميسون" للقوميّة يقول فيه: "القوميّة هي اعتداد الأمّة بنفسها، ورغبتها في الوصول إلى أرفع درجات المجد ومحاولتها النهوض والرقي ، لا من الناحية الأخلاقيّة والعقليّة فحسب ، بل من الناحية الماديّة أيضاً . وذلك لتبسط نفوذها على أجزاءٍ من الأرض"[٢].

وفي مناقشته لهذا التعريف خلص خوري إلى أن القوميّة نوعان متناقضان وهما:

١- **النوع التحرّري** : ومثاله القوميّة السوريّة والمراكشيّة .

٢- **النوع الإخضاع الاستيلائي الاستعبادي** : ومثاله القوميّة الفرنسيّة التي تستعمر الشعوب وتبسط نفوذها على ارض على حسب تعريف دورميسون [٣].

أمّا العوامل الضامنة لوجود القوميّة فيراها رئيف خوري تمثّلت في ثلاثة عوامل هي:

١- بقعة من الأرض "الوطن" ، تحلّ بها تلك القوميّة وتحرص عليها ما أرادت الاحتفاظ بنسمةٍ من حياتها . إنّ القوميّة لا تعيش ما لم يكن لها بقعةٌ من

---

(١) د. حليم اليازجي ، بحوث في القومية العربية ، ص ١٩٦ .

(٢) الطليعة ، العدد التاسع ، تشرين الثاني ، ١٩٣٦ .

(٣) المصدر نفسه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأرض خالصةً لها تقيم فيها ولا يزاحمها عليها مزاحم . القوميّة إذا انفصلت عن بقعتها الخاصة وتفرّقت في بقاعٍ من الأرض فقد يتيسّر لها بقاء اسمها غير أنّ بقاء اسمها لا يمكن أن يعدّ بقاءً لها .

٢- التاريخ المشترك الذي يكدّس للناس تراثاً ثقافياً واحداً في جوهره ، يجمع لهم كتاباً واحداً من الدروس والاختبارات ، حبيبه وبغيضه ، حلوه ومرّه ، يقيم في صدورهم خزائن واحدةً من المشاعر . التاريخ المشترك هو الذي يمرّ فيه مجموعٌ من الناس ، هو الباني لصرح قوميّتهم.

لكنّ التاريخ في نظر رئيف خوري ليس الماضي فقط ، "فتاريخ الأمّة لا يقتصر على ماضيها ، بل هو يتناول حاضرها ومستقبلها أيضاً . أنّ الإطّلاع على الماضي لمجرّد الإطّلاع ، لا لفائدةٍ يُجنيها من اجل الحاضر والمستقبل، هذا الطراز من الإطّلاع هو محض سخافةٍ ومحض تبذيرٍ للجهد ، وهو همّ من لا همّ لهم . وهذه النظريّة – نظريّة عمل الشيء من اجل ذاته لا من اجل ما ينتج عنه – لهي نظريّةٌ عقيمةٌ لأنها لا تولد ... حسن أن تطلّع الأمّة على ماضيها فتقرأ الصفحات التي أحرزت فيها انتصاراتها المجيدة ، والصفحات التي لحقت فيها الخيبات وجرحت عزّتها وسحقت نفسها ، وتعرف رجالها الذين جاهدوا من اجل خيرها وكرامتها وذهبوا ضحايا لها ، كلّ هذا حسن . إلاّ انّه يبقى قشراً بدون لبّ، لفظاً مجوّفاً من المعنى حتّى يصير إطّلاع الأمّة على غابر انتصاراتها المجيدة حافزاً لها لإحراز انتصاراتٍ مجيدةٍ جديدةٍ ، وحتّى يصير فهمها لسابق خيباتها مبصّراً لها في مسيرها كي لا تصطدم بخيبات سواها ، وحتّى تصير معرفتها لرجالها الذين عملوا لها وضحّوا في الماضي ملقّحاً يجعلها تخرج رجالاً

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

آخرين يخدمونها ويشرّفونها في الحاضر والمستقبل . أنّ درس التاريخ الماضي ينبغي أن يكون قوّةً مؤثرةً فعّالةً ، ينبغي أن يصبّ دماً في شرايين الأمّة ، أن يقول لها : كنت سعيدة محترمةً فيمكنك أن تكوني سعيدةً محترمةً ، ولقد عثرت هنا وعثرت هناك فجلبت على رأسك البؤس والخجل فكوني محترزةً لئلا تعثري، وانّك كنت أمّاً لاماجد الرجال فلما لا يعود رحمك خصباً لولادة الأبطال .

٣- اللغة : حيث يراها رئيف خوري العنصر العظيم في تركيب القوميّة، ذلك إنّها واسطة التفاهم ووسيلته وبدونها يكون متعذّراً أي قوميّة أن تحزم رباطها وتشدّ وثاقها . حتىّ التاريخ المشترك السابق ذكر أهميّته في البناء القومي فانة يفقد تلك الأهميّة بدون اللغة التي تصل الماضي بالحاضر"[١] .

من جانبهم ، نهض الشعراء يسطّرون القصائد القوميّة لتصبح لحناً يردّده أبناء العروبة في سورية وخارجها، فنجد قصيدة خليل مردم النشيد الرسمي السوري التي مطلعها :

حمـــــــاة الديـــــــار عليكـــــــم ســـــــلام

أبـــــــت أن تـــــــذلّ النفـــــــوس الكـــــــرام

عريـــــــن العروبـــــــة بيـــــــتٌ حـــــــرام

وعـــــــرش الشـــــــموس حمـــــــىً لا يضـــــــام [٢].

---

(١) مجلّة الطليعة ، العدد التاسع ، ١٩٣٦/١١ .

(٢) قيلت هذه القصيدة بتاريخ ١٩٣١/٩/١٢ ، انظر ديوان خليل مردم مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، ص ٢٦٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعل ابرز ما يمكن الوصول إليه من خلال هذا النشيد هو تأكيده على العلاقة الجدليّة فيما بين العروبة والإسلام بان جعل البيت الحرام عريناً للعروبة وحصناً لها.

أمّا قصيدة فخري البارودي التي كان مطلعها :

بـــلاد العـــرب أوطـــاني مـــن الشـــام لبغـــدانِ

ومـــن نجـــدٍ إلـــى يمـــنٍ إلـــى مصـــر فتطـــوانِ [1].

فإنّها بلا شك من أهم ما قيل في مجال الشعر القومي الداعي إلى وحدة الوطن العربي ، على أساسٍ من الالتقاء على رابطة العروبة هذا إلى جانب الكثير من القصائد والأناشيد القوميّة التي حملت الفكر السياسي القومي ودعت إليه .

شق التيّار القوميّ طريقاً واسعاً له في الفكر والثقافة من خلال الصحافة بما قامت به من تغذيةٍ مستمرّةٍ للجماهير . ففي الوقت الذي أكّدت فيه جلّ الصحف السورية تبيّنها للفكرة القومية وغايتها دون سواها ، كجريدة العروبة التّي أسّسها صبحي زخّور في إنطاكية في تشرين أوّل ١٩٣٧ ، والتي كانت لسان حال عصبة العمل القومي ، في منطلقها للدعوة القوميّة العربيّة على الأساسِ العلماني .ففي عددها الثاني كانت الجريدة قد وضعت " سورية لا تعرف غير العروبة عنواناً لها"[2]. عنواناً لمقتطفاتٍ من كلمات وخطبٍ ألقيت في مهرجانٍ أقيم على شرف مطران حماة اغناطيوس حريكة بمناسبة سفره إلى المهجر ، حيث أكّد المتحدّثون انّه

---

(١) نهال بهجت صدقي ، فخري البارودي في شعره ونثره ، دار القدس ، بناية مكرزل ، بيروت ، لبنان، ١٩٦٤، ص ١٠٦ .

(٢) جريدة العروبة ، العدد الثاني ، تشرين أوّل ١٩٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم يعد في البلاد السوريّة أقليّة أو أكثريّة . وأكّدوا الدعوة إلى عدم التفريق بين الأديان "فالدين للّه والوطن للجميع" (١).

ويمكن القول هنا انّه ومنذ أوائل العشرينات ومع مجيء الانتداب ١٩٢٠ اخذ الفكر القومي العلماني الغربي يزيد في مساحته على حساب الفكر القومي الداعي للارتباط بالإسلام ، الذي بقي التيار الأقوى تأثيراً والأوسع انتشاراً بين المفكرين لغاية الحرب العالميّة الأولى. ولعلّ هذا التطوّر في الفكر القومي العربي العلماني بالاتجاه نحو العلمانية الغربية انه بجانب التأثّر والإعجاب بالفكر القومي الغربي، كان محاولةً من المفكّرين القوميين لمجاراة فرنسا وتجريدها من سلاحها الأقوى، وهو وجود الأقليّات المسيحيّة، والأقليّات الباطنيّة التي كانت تدّعي فرنسا حمايتها (٢).

التنظيمات القوميّة :

تشكلّت في ظلّ هذا التيّار تنظيمات وأحزاب سياسيّة أهمّها :

أولاً: عصبة العمل القومي :

أسفر المؤتمر الذي تنادى لعقده بعض الشباب المثقّف ، من سورية ولبنان في قرنايل في الرابع من آب ١٩٣٣ عن تشكيل عصبة العمل القومي (٣)، وأطلقت على قيادتها العليا اسم اللجنة التنفيذيّة ، والتي ضمّت في عضويتها "زكي

---

(١) جريدة العروبة ، العدد الثاني ، تشرين أول ١٩٣٧.

(٢) البرت حوراني ، المصدر السابق ، ص ٣٥٣ .

(٣) انظر ، وثيقة بيان المؤتمر التأسيسي الأول لعصبة العمل القومي ، المكتبة الظاهريّة بدمشق ، تحت رقم ق ٢٣٩ (٣٠) . وهي مكوّنة من سبع وعشرين صفحة مطبوعة . ص ١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأرسوزي، عبد الرحمن الدندرشي ، وفهمي المحايري ، وصبري العسلي ، وفريد زين الدين"[١].

الفكر السياسيّ للعصبة :

وضعت العصبة لنفسها هدفين اثنين أساسيين :

أولهما : سيادة العرب واستقلالهم المطلقين .

وثانيهما : الوحدة العربيّة الشاملة [٢]. ومن خلال التطلّع لتحقيق هذين الهدفين نظرت العصبة للنواحي الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة نظرةً واحدةً . محاولةً بذلك وضع نظريةٍ متكاملةٍ في الفكر السياسي القومي ، والذي أملى عليها إدراك الواقع السيئ للعالم العربي المتمثّل في "النفعيّة والفرديّة وشلل المرأة الاجتماعي ، وتفشّي الجهل ، وفساد طرائق التربية والتعليم، والتقليد للغرب تقليداً أعمى" [٣]. لترى إنّ سبيل الخروج من هذا اللغة واستعداد العرب القومي للتفوّق وموقع البلاد العربيّة وترامي أطرافها" [٤]، كل هذه تراها العصبة قوى ذاتية قادرة على توحيد العرب والارتقاء بهم .

ومن حيث برنامجها السياسي المستند أصلاً إلى الهدفين السابقين ، لم يكن ذا معالم واضحة مكتفياً بوضع خطوطٍ عامّةٍ حيث أكّد البرنامج على مقاومة

---

(١) د. سهيلة الريماوي ، الحياة الحزبيّة في سورية ، من ١٩٢٠-١٩٤٥ ، ص ١٢١ ، وهي رسالة مقدمه لنيل درجة دكتوراه في التاريخ الحديث من كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، بإشراف د. احمد عزت عبد الكريم ، سنة ١٩٧٨ ، وهي رسالة غير منشورة .

(٢) انظر وثيقة بيان المؤتمر التأسيسي الأول لعصبة العمل القومي ص ١٥.

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٨.

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاستعمار، وتأسيس الحركة على أساس شعبيّ منظّم ، وتوحيد المقاومة في الأقطار العربيّة ، والقضاء على النعات الإقليميّة ، مع مراعاة الظروف لكلّ قطرٍ عند معالجة المشاكل المحليّة[١] .

ثانياً: المكتب العربي للدعاية والنشر :

أسّس فخري البارودي المكتب العربي للدعاية والنشر في تشرين أول عام ١٩٣٤ ، في دمشق وبرئاسته ، في حين كان فؤاد خليل مفرّج أمين سرّه العام [٢].

جعل المكتب من الفكر القومي العربي إطاراً للهويّة العربيّة ، ومنطلقاً للنهوض مؤكّداً على جعل وحدة العرب القوميّة الهدف والغاية له في ظلّ كيانٍ سياسيّ يرعاها ففي تعريفه للامّة يقول المكتب : "بأنّها مجموع من الأفراد الذين يشعرون شعوراً مشتركاً ويحسّون بأنّهم يكوّنون جسداً واحداً وكتلةً واحدةً تختلف عن باقي الكتل ، ويسعون إلى أهدافٍ موحّدةٍ مشتركةٍ أهمّها : خلق كيانٍ سياسيّ واحدٍ وتأسيس دولةٍ واحدةٍ" [٣].

وفي محاولةٍ للمكتب لمواكبة عصره ، كان قد أولى المسالة الإعلاميّة والدعائية أهميّةً خاصّةً . فالأمم الفتيّة الناهضة التي استطاعت أن تبني لنفسها كياناً بعد الحرب الكبرى- إنّما كانت قد استخدمت الدعاية كوسيلة فعّالةٍ للتعريف بقضاياها السياسيّة والقوميّة [٤].

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٤ .

(٢) انظر وثيقة النظام الأساسي للمكتب العربي بدمشق ، تحت رقم ٢٤ ، والمصنفة بالقسم الخاص بالمنظّمات ، مركز الوثائق التاريخيّة ، دمشق ، ص ١ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكنّ الوثائق والمراجع لا تسعف بالكشف عن طبيعة الفكرة القوميّة التي دعا إليها المكتب ، على أيّ أساسٍ تقوم؟ على الأساس العلماني الغربيّ أم على أساس الترابط فيما بين العروبة والإسلام؟ تبدو هناك إشارة ذات دلالةٍ على الوجهة العلمانيّة . ففي بيان المكتب قد جاء "انّه يجب السعي والعمل على إدماج كلّ العصبيّات الفرعيّة من طائفيّة وإقليميّة وقبائليّة وعائليّة في العصبيّة القوميّة الجامعة الكبرى ، حتّى إذا تمّ هذا العمل واصبح لنا مجموعٌ مثقّفٌ ، تمّ لنا إذ ذاك إيجاد دولةٍ راقيةٍ تسير مع روح العصر" [١]. كما وانّ المكتب لم يفصح عن طبيعة الكيان السياسي الذي دعا إليه جمهوري أو ملكي أو غير ذلك ؟.

ثالثاً: حزب الفتوّة العربي شباب الاتحاد الوطني :

تأسّس في دمشق في ربيع ١٩٣٥ ، حزب الفتوّة العربي باسم شباب الاتّحاد الوطني ، وكان معتمدة – رئيسه– المحامي احمد حلمي العلاّف مبرّراً قيامه بأسبابٍ ثلاثةٍ وهي كما جاء في وثيقة الحزب [٢]:

١– تعدّ الأمّة العربيّة عشرات الملايين من النفوس مبعثرين في الأقطار ، ليست لهم جامعةٌ موحّدةٌ .

٢– للامّة العربيّة "حقّ جماعاتٍ" أسوةً بالأمم الكبيرة ذات الماضي المجيد، وجديرةً بالحياة وخليقٌ بان تكون لها جامعةٌ قوميّةٌ كبرى وكيانٌ سياسيٌّ عتيدٌ .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٩.

(٢) انظر وثيقة الميثاق العام لحزب الفتوّة العربي– شباب الاتّحاد الوطني – تحت رقم ١٧ ، وهي مصنفة بالقسم الخاص بالمنظمات بمركز الوثائق التاريخية بدمشق ، وهي غير مطبوعة وتقع في خمس صفحات بخط اليد.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- المجد العربي الذي فيّأ القوم بلواء العدل وبلغّهم رسالة الحريّة والأمن، ونشر فيهم الإخاء والسلام عصوراً طويلةً ، جديرٌ بالبعث .

عكس الحزب من خلال المبرّرات الثلاثة هذه ، فكرهُ السياسي القومي ، كهويّةٍ جامعةٍ للوطن العربي والذي يمتدّ من جبال طوروس شمالاً إلى المحيط الهندي وبلاد النوبة وبلاد السنغال جنوباً ومن البحر المتوسّط والمحيط الأطلسي غرباً إلى بلاد فارس وخليج البصرة وبحر عُمان شرقاً [١].

ولتأكيده على هذه الهويّة القوميّة كانت اللجان التي شكّلها الحزب قد أخذت لنفسها أسماء اشهر القبائل العربيّة ، قريش ، هوازن ، شيبان ، تميم ، مخزوم ، تغلب [٢]، وغير ذلك من أسماء القبائل .

البدايات الفكريّة لحزب البعث العربي الاشتراكي :

بدأت المقدّمات والإرهاصات الأولى لحزب البعث العربي الاشتراكي مع مطلع الأربعينات كوريث شرعي لعصبة العمل القومي إثر انحلالها ، ونحن معنيّون هنا بالوقوف عند تلك المقدّمات الفكريّة ، لأنّه إذا ما أردنا تحديد السمات الأساسيّة لمنطلقات البعث النظريّة بدقّةٍ وموضوعيّةٍ فعلينا أن نستمدّها ممّا ورد في دستور الحزب الذي اقرّه المؤتمر التأسيسي الأوّل عام ١٩٤٧م [٣].

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) شبلي العيسمي ، حزب البعث العربي الاشتراكي ، ص ٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ظهرت هذه البدايات من خلال مجموعتين فكريّتين هما مجموعة زكي الأرسوزي ومجموعة ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار [١].

١- مجموعة زكي الأرسوزي:

يجدر بنا هنا معرفة خلفيّة تكوين زكي الأرسوزي كونه كان له المساهمة الكبرى في توجيه أفكار هذه المجموعة . ولد سنة ١٩٠٠ في مدينة اللاذقيّة لأبوين علويّين [٢]، وكان أبوه محامياً وأمّه هي بنت الثائر الوطني صالح العلي [٣].

وهو من ابرز قادة عصبة العمل القومي ، التي تمّ حلّها لاصطدامها مع الكتلة الوطنيّة . وحينما استقرّ في دمشق عام ١٩٤٠ وجد أنّ رجالات العصبة ليسوا مؤهّلين للعمل السياسي في نظره ، فهم قد سخّروا أنفسهم للمستعمر ومدّوا يد العون له ليصبحوا بذلك تجّار سياسية وأشباه أمّيّين لا يحملون أيّة جدّيّة للأفكار التي يتحدّثون عنها بل على العكس ، كان أكثرهم في سلوكهم اليومي يسير ضدّ هذه الأفكار [٤].

عندها أعلن انسحابه من هذه العصبة وانصرف إلى التفكير في إيجاد حزب عربيّ جديد. فكان أن أسّس حزب البعث وقد حدّد قسماً لهذا الحزب: "اقسم بعروبتي وشرفي أن أكون وفياً لمبادئ حزب البعث العربي وان اعمل على تحقيق أهدافه"[٥].

---

(١) د. نجاح محمّد ، تطوّر الحركة القوميّة العربيّة في سورية ، ص ٧٩ .

(٢) سامي الجندي ، البعث ، دار النهار للنشر والتوزيع ، بيروت ، ص ٢٣ .

(٣) سليم بركات ، الفكر القومي وأسسه الفلسفيّة عند زكي الارسوزي ، ص ٤٨ .

(٤) د. نجاح محمد ، المرجع السابق ، ص ٨٢ .

(٥) سامي الجندي ، البعث ، ص ٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عمل الأرسوزي كمدرّس للفلسفة في مدارس دمشق ، وقد تجمّع حوله مجموعةٌ من الشباب كان أكثرهم ممّن هاجروا من لواء الاسكندرونه كوهيب غانم وسليمان العيسى ودرويش الزوزني وفايز إسماعيل. وكان هؤلاء يجتمعون باستمرارٍ ويناقشون المواضيع السياسيّة كالماركسيّة والرأسماليّة ، والنازيّة ، والصهيونيّة [١]. وفي نقاشاته وحواراته كان الأرسوزي معجباً بديكارت ونيتشه وفختة وهيجل [٢]. وفي الأصل كان الأرسوزي معْجباً بالتراث العربي الذي رأى في لغته العربيّة إنّها رمز عبقريّة الأمّة العربيّة ، حيث رأى في هذه اللغة "إنّها ابلغ مظهرٍ لتجلّي عبقريّة امتنا ، فهي مستودعٌ لتراثنا . فما لنا إلاّ أن نعود ونحياها عن وعيٍ حتىّ نبلغ ما بلغه أجدادنا من سؤددٍ وعزّةٍ . إن مثل كلّ كلمات لغتنا كمثل البذرة من النبات ، يضمر فيها المعنى ضمور الحياة في البذرة ، فليس للذهن إلاّ أن يتمثّلها ، حتىّ يصبح الخيال من استجلائه معناها بمثابة الموسم من استجلائه كوامن الحياة"[٣].وقد جعل في هذا المضمار الجاهليّة العربيّة مثله الأعلى. فبمقارنته بين الظروف التاريخيّة للقوميّات العالميّة الأوروبيّة وظروف القوميّة العربيّة رأى الأرسوزي أنّ الجاهليّة العربيّة بما فيها من قيمٍ قد امتزجت قيم الإسلام مشكلّةً القوميّة العربيّة [٤].

ولماّ كانت القوميّة تعني عند الأرسوزي هذا الكشف عن عبقريّة الأمّة العربيّة وإيجاد الجوّ الملائم لازدهار هذه العقليّة ، فانّ البعث يعني عنده يقظة الحياة بعد

---

(١) د. نجاح محمدّ ، تطوّر الحركة القوميّة العربيّة في سورية ، ص ٨١ .

(٢) سامي الجندي ، البعث ، دار النهار للنشر ، ص ٢٨ .

(٣) زكي الارسوزي ، المؤلفات الكاملة ، الجزء الأول ، العبقرية العربيّة في لسانها ، الطبعة الثانية ، ص٢٩٧.

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٩٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كبوتها تلك التي تتّخذ من أسمى تجلّيات عبقريّة الأمّة في التاريخ ، انّه العودة إلى ينبوع حياتنا القوميّة [١]. إذن فمهمةّ البعث الأساسيّة في الوقت الحاضر كما يراها الأرسوزي هي التوفيق بين التراث العربي والثقافة الغربيّة ، وذلك بالكشف أوّلاً عن عبقريّة الأمّة العربيّة من خلال المظاهر التي عبّرت بها عن وجهة نظرها في الحياة، وثانياً عن مقوّمات الحضارة الحديثة وتعيين اتجّاه تطوّر هذه الحضارة [٢].

ومن هنا بدا الأرسوزي متأثراً بالاشتراكيّة ، لكنّه قيدّها بنقطة البداية ليكون التفاوت بين الناس بعد ذلك بمستوياتهم المعيشيّة والثقافيّة . "فالمواطنون متساوون أحرارٌ تبدأ ملكيتّهم وثقافتهم من بدءٍ متساوٍ كلٌّ يربح على قدر ما ينتج" [٣].

٢- مجموعة عفلق والبيطار :

ولد ميشيل عفلق سنة ١٩١٠م في دمشق لأسرةٍ ميسورة الحال نسبيّاً ، وهو ينتمي إلى المذهب الأرثوذكسي . نشا وترعرع في حيّ الميدان الذي يعتبر مركز الحركة الوطنيّة في دمشق ، حصل على منحةٍ حكوميّةٍ للدراسة في باريس لمدّة أربع سنواتٍ . أمّا زميله صلاح الدين البيطار فولد أيضاً بدمشق سنة ١٩١١م لعائلة مسلمةٍ محافظةٍ ، درس هو الأخر في باريس ليكون بذلك زميلاً لميشيل عفلق لكنّه درس العلوم الطبيعيّة [٤]. وفي أثناء وجودهما في باريس دعاهما الشيوعيّون إلى

---

(١) سليم بركات ، المرجع السابق ، ص ٥٦ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٧١ .

(٣) سامي الجندي ، البعث ، ص ٢٤ .

(٤) مجيد خدوري ، الاتجاهات السياسيّة في العالم العربي ، ص ١٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حضور اجتماعاتٍ حزبيّةٍ فتعلمّا أوّل درس في الانضباط الحزبي الشيوعي [١]. ولمّا عادا إلى دمشق عام ١٩٣٢ اشتغلا في التعليم [٢].

وحينما لم يكن باستطاعة حزب البعث الذي شكّله زكي الأرسوزي سنة ١٩٤٠ سدّ الفراغ الذي نجم عن انهيار عصبة العمل القومي . ظلّ القلق يسيطر على المثقّفين القوميّين للبحث عن إطارٍ جديدٍ لتنظيم سياسيّ اكثر وعياً لمتطلّبات النضال الوطني والقومي في سورية ، وكان مفكّرو وكتّاب مجلّة الطليعة اكثر من فكّر في هذا الاتجّاه . هذه المجلّة التي كانت تجسّد آنذاك الفكر اليساري في سورية والتي ساهمت في نشر الفكر الليبرالي ممثلاً بفكرة الثورة الفرنسيّة بوجهٍ خاص ، كما ساهمت في نشر التراث القومي ونشر الفكر الماركسي بين أوساط المثقّفين السوريّين وكان ميشيل عفلق أحد كتاب هذه المجلّة[٣] .

وفي ظلّ هذا القلق قام عفلق والبيطار بتشكيل تنظيم شباب الأحياء العربي أوائل عام ١٩٤١ ، وفي حينه كانت صلاتهما مع زكي الأرسوزي جيّدة [٤].

تحوّل تنظيم شباب الأحياء العربي سنة ١٩٤٣ إلى اسم مكتب البعث العربي[٥].

وفي فكر عفلق القومي يرى أنّ العرب ليسوا بحاجةٍ إلى تعلمّ شيءٍ جديد حتّى يصبحوا قوميّين ، بل عليهم إهمال كثيرٍ ممّا تعلمّوه حتّى تعود إليهم صلتهم المباشرة

---

(١) المرجع نفسه ، ص ١٦٦ .

(٢) د. نجاح محمّد ، تطوّر الحركة القوميّة العربيّة في سورية ، ص ٨٦ .

(٣) د. نجاح محمّد ، المرجع نفسه ، ص ٨٨ .

(٤) د. حليم اليازجي ، بحوث في القوميّة العربيّة ، ص٦٦.

(٥) د. نجاح محمّد ، المرجع نفسه ، ص ٩١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بطبعهم الصافي الأصيل "فالقوميّة العربية ليست نظريّة ولكنّها مبعث النظريّات ، ولا هي وليدة الفكر بل هي مرضعته، وليست مستعبدة الفن بل هي روحه ونبعه ، وليس بينها وبين الحريّة تضاد، لأنّها هي الحريّة إذا ما انطلقت من سيرها الطبيعي"(١).

وكانت نظرته المغالية للقوميّة قد قادته ليجعل الإسلام جزءاً منها حين قال : "فالإسلام في حقيقته الصافية نشا عن قلب العروبة وافصح عن عبقريّتها احسن إفصاح وساير تاريخها وامتزج بها في امجد أدواره فلا يمكن أن يكون ثمّة اصطدام، وبعد فهل القوميّة محصورة بالأرض كما يُظنّ بعيدة كل البعد عن السماء حتى يعتبر الدين شاغلاً عنها مبذراً لبعض ثروتها ، بدلاً من اعتباره جزءاً منها مغنياً لها ومفصحاً عن أهميّة نواحيها الروحيّة والمثاليّة" (٢).

وبهذا المعنى كان الإسلام في نظره الهزّة الحيويّة التي تحرّك كامن القوى في الأمّة العربيّة فتجيش بالحياة الحارّة جارفةً سُدود التقليد وقيود الاصطلاح ، والعرب بذلك ينفردون دون سائر الأمم بميزةٍ أن يقظتهم القوميّة اقترنت برسالةٍ دينيّةٍ ، أو بالأحرى كانت هذه الرسالة مفصحةً عن تلك القوميّة : "فالعرب لم يتوسعّوا بغية التوسّع ولا فتحوا البلاد وحكموا استناداً إلى حاجةٍ اقتصاديّةٍ مجرّدةٍ ، أو ذريعةٍ عنصريّةٍ ، أو شهوةً للسيطرة والاستعباد . بل ليؤدّوا واجباً دينيّاً كله حقٌّ وهدايةٌ ورحمةٌ وعدلٌ وبذل . أراقوا من اجله دماءهم ، واقبلوا عليه خفافاً متهلّلين لوجه الله. وما دام الارتباط وثيقاً بين العروبة والإسلام ، وما دمنا نرى في العروبة جسماً

---

(١) ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، الجزء الأول ، ص ١٤٦ . وهو كتاب يتكون من سبعة أجزاء احتوى الكتابات السياسية الكاملة لميشيل عفلق ، صدر سنة ١٩٨٥ ، عن مكتب الثقافة والإعلام القومي دون الإشارة إلى مكان الصدور ، وسيشار إليه فيما بعد ، ميشيل عفلق في سبيل البعث الجزء الأول .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

روحه الإسلام ، فلا مجال إذن للخوف من أن يشتطّ العرب في قوميتهم . إنّها لن تبلغ عصبيّة البغي والاستعمار ..." [١].

والقوميّة العربيّة عند عفلق ليست أفكاراً مجرّدةً جامدةً لا حراك فيها ، إنّما هي في الحقيقة الحياة المتجدّدة بحيويّتها فكما أنّ العقل يدركها فانّ العاطفة تغذّيها : "فالقوميّة التي ننادي بها هي حبّ كل شيء . هي نفس العاطفة التي تربط الفرد بأهل بيته ، لانّ الوطن بيتٌ كبيرٌ والأمّة أسرةٌ واسعةٌ . والقوميّة ككلّ حبّ ، تفعم القلب فرحاً وتشيع الأمل في جوانب النفس" [٢]. وهذا الفهم للقوميّة يراه عفلق الدافع الأوّل للشباب العربي كي يعمل لأجل أمتّه وقوميّته بغض النظر عمّا لديها من العيوب . وهذا يجسّد لديه انتماءً عضوياً للقوميّة العربيّة لا تنفكّ له عرىً في حالٍ من الأحوال، تكون نتيجته التفعيل الدائم لحبّ هذه الأمّة تحت شعار "ما دمنا نحبّ امّتنا بخيرها وشرّها ففي أي طريقٍ نستطيع أن نحوّل هذا الحبّ إلى خدمةٍ نافعةٍ وعلى أي أسلوب" [٣]. ولذا تجده ينكر بشدّةٍ استيراد القوميّة من الخارج كأيّة بضاعةٍ : "فالقوميّة التي تأتينا من أوروبا مع الكتب والمجلاّت تهدّدنا بخطرٍ مزدوجٍ ، فهي من جهةٍ تنسينا شخصيّتنا وتشوّهها ، ومن جهةٍ أخرى تسلبنا واقعنا الحي وتعطينا بدلاً منه ألفاظاً فارغةً ورموزاً مجرّدةً . فبحث القوميّة على الأسلوب الأوروبي يعلّلنا بآمالٍ كاذبةً ، فيوهمنا أننّا نبلغ ما بلغته الأمم الأوروبيّة العظمى بأخذنا بعض

---

(١) ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، الجزء الأول ، ص ١٣٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٣٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مظاهرها – أي بضربٍ من السحر – كما انّه يورثنا أمراضاً ومشاكل وهميّة فنشعر بنفس الأمراض والمشاكل التي تعانيها تلك الأمم" (١).

لكنّ هذا لا يعني أنّ عفلق لم يتأثرّ بالثقافة الغربيّة ومفكرّيها ، بل على العكس من ذلك ، فانّه أبدى إعجاباً وتأثراً واضحين في هذا الاتّجاه ، فقد رأى في الكاتب الفرنسي "مارسيل بروست" انّه استطاع أن يكشف له حقيقة نفسه . فبعد إسهاب طويلٍ عن حياة هذا الكاتب ونشأته وثقافته ودوره التجديدي في الأدب العالمي يقتبس عفلق قولاً لبروست جاء فيه : "كلّ حياةٍ فيها سرٌ ومجهولٌ تستهوينا ، كي نهتك سرّها ونعرّيها من جمالها" (٢). ليعلّق على هذا بقوله : "في هذه الفكرة خلاصة حياة بروست وأدبه ، وهي أوّل صلتي وتعلّقي به لأنّي قرأتُ فيها حقيقة نفسي المرّة ، وحقيقة كلّ نفسٍ تضمّ بين جوانحها وحشاً هدّاماً ، يجمع بين رقّة الشاعر وقوة الجلاد" (٣).

والأثر نفسه تركه "اندريه جيد" في تكوين عفلق الثقافي والفكري ، فبمقارنته بين ما تركه أبو العلاء المعرّي في نفسه وفكره وثقافته في بدايات شبابه من قناعاتٍ خلاصتها قول أبي العلاء :

أمّا اليقين فلا يقين وإنّما أقصى اجتهادي أن أظن وأحدسا"

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٣٧-١٣٨ .

(٢) مجلّة الثقافة ، جزء ٨ ، السنة الأولى ، ١٩٣٤/١/٣١ ، مقال لميشيل عفلق بعنوان مارسيل بروست.

(٣) المصدر السابق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبين ما تعلمّه من اندريه جيد يقول : "وكنت لم أزل واقفاً على شاطئ الحياة، ... قذفت بي الصدفة إلى باريس ، فاصطدم المستنقع الذي كنت احمله معي- حياتي القديمة – باوقيانوسٍ خضمّ للحياة ، أسلمت نفسي لأمواجه ، عندما ذقت حلاوة لمسها وخفّه دعابها . هناك على الشاطئ ، وقدماي ما تزالان في تردّد ، وشبح الشيخ الأعمى يحول بيني وبين الشمس ، لمحت ساحراً جديداً ، قويّ الجسم ، طلق المحيّا ، غنائي هكذا !

"ناتانائيل" أروم أن ادخل سرّك وأخاطبك كما لم يخاطبك بعد إنسان . في تلك الساعة من الليل ، إذ تكون منحت وأغلقت كتباً كثيرةً ، تسال كلاًّ منها ما لم تجبك بعد عليه ، وإذ تكون معذّباً يشفك الانتظار ، ويكاد حماسك ينقلب إلى كآبةٍ لأنّك لم تلق من يمسك بيدك . إنّي لا اكتب إلاّ لك ، ولا اكتب لك إلاّ من اجل هذه الساعة . أريد أن اقترب منك وان تحبّني . ناتانائيل ليست الكابة إلاّ الحماس الخائب ... هذا هو الصوت السحري الجديد الذي استهواني لأنّه متصّل بأعماق كياني وكيان كلّ شاب . جوهر الشباب حماسٌ ويقين ، لا تعقّلٌ بارد ، كما في المعرّي ، وشكٌ سقيم ، يحبّ الشاب أن يُثبت ، ولو راح ينفي اليوم ما أثبته بالأمس ، لانّ الإثبات تعبيرٌ عن القوّة والشك صورة للضعف والارتخاء . أجل صرتُ اطربُ بقول جيد : "تمرّ بي أيّامٌ يكفيني أن اردّد فيها إنّ اثنين مع اثنين لا تزال تساوي أربعة ، حتّى يمتلئ قلبي غبطةً أو أن أرى قبضة يدي على المنضدة" (١).

وبرغم تحفّظات عفلق على الطابع الأممي للنظريّة الماركسيّة إلاّ أنّ ذلك لم يمنعه أن يبدي إعجابه وتأثره بها فقد تقبّل انتقاد ماركس للأوضاع الاقتصاديّة

---

(١) مجلّة الثقافة ، الجزء التاسع ، العدد الخامس . ١٩٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والاجتماعيّة [١]. ومن هنا كان ميشيل عفلق أوّل من ربط بين مفهوم الوحدة العربيّة من جهةٍ ومفهوم الاشتراكيّة من جهةٍ أخرى ، يقول : "لو سئلت من أسباب ميلي للاشتراكيّة لأجبت أنّ ما اطمع به منها ليس زيادة في ثروة المعامل بل في ثروة الحياة ، وليس همّي أن يتساوى الناس في توزيع الطعام بقدر ما يهمنّي أن تتاح لكلّ فردٍ إطلاق مواهبه وقواه . قد لا يرى العامل الرازح تحت بؤسه ، من الاشتراكيّة إلاّ وعداً بان يأخذ ما هو محرومٌ منه ، ولكنيّ لا انظر إليها أنا إلاّ كعطاءٍ دائمٍ سخيّ بان نعطي الحياة أضعاف ما بذلته لنا" [٢]. لكن ينبغي الإشارة هنا إلى أنّ مفهوم عفلق للاشتراكيّة مختلفٌ عن المفهوم الماركسي لها فهو لا يراها في التساوي في المكتسبات بل يراها فرصاً متساويةً للإبداع كما هو في النص .

وبهذا الفهم للاشتراكيةّ استطاع عفلق أن يفصل بينها وبين الاشتراكيّة الشيوعيّة التي رآها إنّها وليدة الفكر الأوروبي والأوضاع الأوروبيّة الحديثة ، "فالشيوعيّة تتّصل بألمانيا بفلسفة "هيجل" وبفرنسا بواسطة مبادئ الثورة الفرنسية والمذاهب الاشتراكيّة التي تفرّعت عنها ، وبإنكلترا بواسطة الثورة الصناعيّة وما أنتجته من نظريات في الاقتصاد . أمّا روسيا فللشوعيّة صلةٌ بروحها القوميّة الخالصة ، يعرف ذلك من اطّلع على كتابات تولستوي ودوستويفسكي . والحقّ أنّ الشيوعيّة في روسيا هي مزيجٌ من التصوّف الروسي والعلم الأوروبي" [٣].

---

(١) د. مجيد خدوري ، الاتجاهات السياسيّة ، ص ١٦٧ .

(٢) مجلة الطليعة، العدد التاسع ، تشرين ثاني ١٩٣٦ ، مقال لميشيل عفلق بعنوان ثروة الحياة .

(٣) ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، الجزء الأول ، ص ٢٧٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما وانّ الشيوعيّة بظروفها التاريخيّة واصل نشأتها هذه تتناقض مع القوميّة العربيّة بتجاهلها لأمرين أساسيين في القوميّة العربيّة : التاريخ العربيّ المستقلّ ، والرسالة الخاصّة للامّة العربيّة [١]. وقد شكلّ هذا الفهم الخاصّ للاشتراكيّة لديه المجال الرحب لإعطاء الجماهير المحرومة حقّها : "إنّ الذي يظنّ الاشتراكيّة ديناً للشفقة مخطئٌ أيّما خطا ، وما نحن رهبانٌ نلوذ بالرحمة لنطمئنّ وجداناً أقلقه مرأى البؤس والشقاء حتّى نعظم في عيون أنفسنا وننام هادئي البال . إننّا في دفاعنا عن الجماهير المحرومة لا نمنحهم صدقةً بل نطلب لهم حقّاً ، ولا يهمنّا تخفيف البؤس إذا لم يكن ذلك لزيادة ثروة الحياة" [٢].

وبهذا الإطار كان صريحاً حين قال: "إذا سئلت عن تعريفٍ للاشتراكيّة فلن انشده في كتب ماركس ولينين وإنّما أجيب: "إنّها دين الحياة، وظفر الحياة على الموت" [٣].

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٠٨.

(٢) ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، الجزء الأول ، ١٩٨٥ ، ص ١٩.

(٣) المصدر السابق ، ص ١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التّيار الإسلاميّ:

تضافرت عوامل عدّةٌ في بلورة تيّار سياسيّ إسلاميّ ، فعمق التاريخ الإسلامي لسورية على امتداد القرون وتعاقب الدول والأجيال قد أكدّ لها هويتّها الإسلاميّة ، فمنذ صدر الإسلام كانت الموجات الأولى للفتح العربي الإسلامي قد اتّجهت إلى بلاد الشام ، وما أن استقر الأمر للأمويين في تسلّم الخلافة حتّى غدت دمشق العاصمة ، مركز الإشعاع الفكري والبناء الحضاري . ومنذ ذلك التاريخ ، والصبغة الإسلاميّة هي الغالبة على كلّ مظاهر الحياة في سورية.

كان من الطبيعي إذن أن يبرز تيّار يحمل الفكر السياسي الإسلامي إبّان تلك المرحلة والذي نما وتطوّر مع تعاقب الأحداث ليبلغ نضوجه في أواسط الأربعينات على يد جماعة الإخوان المسلمين فقد كانت الاهتمامات منصبة في بدايات فترة الانتداب على الناحيتين العلمية والاجتماعية في الفكر الإسلامي [١].برز هذا التيّار في اكثر من مظهر فقد احتلّ علماء الشريعة مكانة مرموقةً في المجتمع السوري ، استطاعوا من خلالها التأثير في الجماهير وتحريكها. كان في طليعة هؤلاء عزّ الدين القسّام (١٨٨٠-١٩٣٥) ، والذي كان بفكره السياسي الإسلامي الداعي للجهاد ضدّ الانتداب الفرنسي الدور البارز في إشعال الثورة في منطقة صهيون ليكون بذلك من أوائل المفكرّين والعلماء الداعين لمقاومة الانتداب[٢]. كما كان الشيخ كامل القصّاب (١٨٧٣-١٩٥٤) والذي تخرّج من الأزهر من أعلام الفكر السياسي الإسلامي ، حيث مارس نشاطه السياسي منذ أيّام الدولة العثمانيّة ليتابعه خلال مرحلة الانتداب

(١) الحبيب الجنحاني ، الحركات الإسلاميّة المعاصرة ، مثال سورية ، ص ١١٢ .

(٢) ادهم الجندي، تاريخ الثورات السوريّة في عهد الانتداب الفرنسي، دمشق، مطبعة الاتحاد،١٩٦٠ص٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفرنسي [١]، وهو الذي رفع شعار -لا حماية ولا وصاية ولا انتداب- ليكون شعاراً تردّده الجماهير في مواقفها السياسيّة [٢] . هذا إلى جانب العدد الكبير من العلماء والوعّاظ الذين تبنّوا الفكر الإسلامي ودعوا إليه[٣].

أمّا المساجد ، فقد كانت مظهراً من مظاهر حضور التيار الإسلامي حين اتّخذها المفكرّون والعلماء مراكزاً لالتقاء الجماهير ونشر الوعي الفكري والسياسي من خلالها ، خصوصاً المسجد الأموي بدمشق ، والذي غالباً ما كانت تنطلق منه المظاهرات والحركات الشعبيّة ضدّ الانتداب الفرنسي[٤]. والمناسبات الدينّية الإسلاميّة أكّدت هي الأخرى مدى التفاعل بين الجماهير وبين الفكر السياسي الإسلامي. فكان أن جاءت ذكرى المولد النبوي بعد اندلاع الثورة السوريّة عام ١٩٢٥ بشهرين ، فراها الوطنيّون فرصةً سانحةً للتعبير عمّا يختلج في صدور الناس وفي ضمائرهم فهياؤا للاحتفال على شكلٍ تقدّس فيه الذكرى بكلّ معانيها المتّفقة مع الأهداف السياسيّة التي تنشدها البلاد [٥]. يقول ظافر القاسمي : "وكان الاحتفال الذي حضرته الجماهير الغفيرة من كل حدبٍ وصوبٍ رغم انّه كان يوم ثلاثاء وبعد المغرب ولم يكن يوم جمعة ، فكان تعبيراً صارخاً في وجه سلطات الانتداب إنّ هذا

---

(١) المرجع نفسه ، ص ١٧٣ .

(٢) مقابلة مع زهير الشاويش في منزله في عمّان ، تشرين أول ١٩٩٤ .

(٣) انظر ، ادهم الجندي ، المرجع نفسه ، فهو غنيٌّ بكثير من التراجم للعلماء والأئمة الذين كان لهم دورٌ واضحٌ في حمل فكر التيّار الإسلامي .

(٤) أنور العش ، في طريق الحريّة ، مطبعة الاعتدال ، دمشق ، سنة ١٩٣٧ ، الجزء الثاني، ص ١٧ .

(٥) ظافر القاسمي ، وثائق جديدة عن الثورة السوريّة ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ص ٦٥ ، وسيشار إليه فيما بعد ، ظافر القاسمي وثائق جديدة عن الثورة السورية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البلد بلدٌ إسلاميٌ لا يصحّ في نظر الدين أن يحكمه غير أهله وحدهم" [١]. وتعالت في الاحتفال الهتافات التي تنادي بطرد الانتداب فكان منها [٢]:

فريقٌ يقول : لا اله إلاّ الله ، فيردّ عليه فريقٌ أخر : محمد رسول الله .

وفريق يقول : لا اله إلاّ الله ، فيرد عليه فريقٌ أخر : والفرنساوي عدو الله.

وفريقٌ يقول: يا غورو ارحل عنّا، فيردّ عليه فريق أخر:يا ساراي ارحل عنّا.

وفريقٌ يقول : دين محمد دين السيف .

وفريقٌ يقول : باريس مربط خيلنا.

ولم يكن دور الشعر بأقلّ من غيره في التعبير عن الدعوة لهذا التيّار فقد نهض الشعراء يصوغون القصائد التي تحمل الفكر السياسي الإسلامي ، جاء في قصيدة الشاعر محمدّ الهراوي والتي كانت بعنوان الوطن والدين [٣]:

فادع الشباب الناهضين وقل لهم ... صونوا أبرّ حمى وأكرم ديني

حلّوا محلّ الأجنبيّ بأرضكم ... واستأثروا فيها بكلّ معين

ودعوا التغالي في هوى مدنيّةٍ ... وذروا دعاوي الغرب في التمدين

وخذوا من الغرب الحذار فانّه ... أبداً على الشرق غير أمين

وتمسّكوا بالدين فهو وقايةٌ ... من فتنةٍ وصيانةٍ ليقين

وشريعة الإسلام عدّة أمّةٍ ... تبغي حياة العزّ والتمكين

---

(١) ظافر القاسمي ، وثائق جديدة ، عن الثورة السورية ، ص ٦٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٨ .

(٣) جريدة الجزيرة ، العدد ٣٧٩ ، ١٩٣٥/١٢/٤ ، ويشير الرقم الأول إلى رقم العدد ،والثاني إلى تاريخ نشره.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبتكوينها العام فإنّ حركة التيّار الإسلامي في سورية تلتقي في سندها التاريخي مع الحركات الإسلاميّة الأخرى ، فهي تتخذ من الدعوة الإسلاميّة نفسها نموذجاً يحتذى ثمّ تعتمد بفكرها على آراء كبار الأئمة والمصلحين المسلمين ، ولا سيما على الآراء التجديديّة التي صدع بها زعماء الحركة السلفيّة في القرن التاسع عشر وفي بداية القرن العشرين ، ولكنّها تعتمد في الوقت نفسه على مصلحين معاصرين عرفوا بعطائهم الفكري وبنضالهم السياسي في سبيل بناء مجتمع إسلامي جديدٍ من أمثال حسن البنّا [١].

أهمّ التنظيمات التي نشأت في ظلّ هذا التيّار :

١- الجمعيّة الغراء :

تأسّست هذه الجمعيّة في بداية العشرينات ، وجاء تأسيسها احتجاجاً على السياسة التربويّة الجديدة للانتداب الفرنسي ، وقد أنشأت عدداً من المدارس الإسلاميّة ، اشرف عليها محمدّ هاشم الحسيني ، وهي من الجمعيّات الإسلاميّة التي كان لها دورٌ بارزٌ في الحياة الاجتماعيّة والسياسيّة [٢].

٢- جمعيّة الهداية الإسلاميّة :

تأسّست هذه الجمعيّة في دمشق عام ١٩٣٠ ، اشتمل برنامج الجمعيّة ودستورها على عدّة مواد ، أكّدت المادّة الثانية منها عدم تدخلّ الجمعيّة في

---

(١) د. الحبيب الجنحاني ، المرجع نفسه ، ص ١٢٣ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السياسة[١]، لتكون غاية الجمعيّة "المحافظة على كلّ فضيلة ورد كلّ رذيلة وبثّ الأخلاق الإسلاميّة" [٢]. أقامت هذه الجمعيّة علاقاتٍ مع جماعة الإخوان المسلمين في مصر اثر زيارةٍ قام بها عضوان من جماعة الإخوان المسلمين في مصر لكل من سورية وفلسطين [٣].

٣- جمعيّة التمدّن الإسلاميّة:

تأسّست عام ١٩٣١ ، ضمّت الجمعيّة بين أفرادها فقهاء وخطباء ، وأطبّاء ومحامين ، ليبرز من قياداتها أسماء لامعة كان لها دورٌ فعّال في الحياة الاجتماعيّة والسياسيّة مثل احمد مظهر العظمة ومحمّد بهجة البيطار وحسن الشطي وغيرهم . أصدرت الجمعيّة مجلّة شهريّة باسمها وأسّست مدارس معترف بها رسميّاً [٤]. أمّا دستور الجمعيّة فعلاوة على تأكيده على التربية والأخلاق الإسلاميّة ، فانّ بعض موادّه احتوت إشاراتٍ واضحةً إلى البعد الفكري السياسي ، فالإسلام كما نصّت المادة الأولى شاملٌ للحياة الدنيا والآخرة ، لتؤكّد المادّة السادسة عالميّة الإسلام ووجوب العمل على إحياء مجده عن طريق تقدّم شعوبه [٥].

---

(١) جريدة الجزيرة ، ١٠٢ ، ١٩٣٤/١١/١٧ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) د. الحبيب الجنحاني ، الحركات الإسلاميّة المعاصرة ، مثال سورية ، ص ١١٥ .

(٤) د. الحبيب الجنحاني ، المرجع نفسه ، ص ١١٤ .

(٥) المرجع نفسه ، ص ١٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤- رابطة شباب محمّد :

تشكلّت في أواسط الثلاثينات عدّة جمعيّات في المدن السوريّة ، ففي حلب أسّس الشيخ عبد الوهّاب التنجي هو والشيخ عادل الدبّاس وفريد الموقع جمعيّة دار الأرقم. وتأسّست الرابطة الدينيّة في حمص والتي أسسّها دار الأنصار التي رأسها الدكتور عزّ الدين جوّالة ثمّ الدكتور حسن هويدي ، تمّ الاتّصال بين هذه الجمعيّات والاتفّاق على جعل هذه الجمعيّات جمعيّة واحدة أطلق عليها رابطة شباب محمدّ [١]. وفي هذا دلالةٌ واضحةٌ على تطوّر الفكر السياسي الإسلامي وتمايزه .

وقفت الرابطة مناهضةً للفكر القومي العلماني ، ففي مقال تحت عنوان شباب محمد رأت الرابطة : "أن الإسلام عقيدةٌ وعبادةٌ وأخلاقٌ ونظام حكمٍ" [٢]. "كما أنّ العرب لم يصبحوا أمه لها كيان إلا بعد بعثته عليه الصلاة والسلام . والرابطة الجامعة هي الرابطة الإسلاميّة" [٣].

٥- جماعة الإخوان المسلمين :

تطوّر فكر تلك الجمعيّات السالفة الذكر من اقتصارها على التوعية الدينية والتعليميّة والاجتماعيّة ، حتىّ شمل حركة معارضة منظمّة وفعّالة لمظاهر التحوّل الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، ليبلغ نضوجه بتشكيل جماعة الإخوان المسلمين في ١٩٤٥.

---

(١) حسني ادهم جرّار، الدكتور مصطفى السباعي قائد جيلٍ ورائد أمّةٍ، دار البشير، عمّان ١٩٩٤، ص٥٠. وسيشار إليه فيما بعد حسني جرار د. مصطفى السباعي ، قائد جيل ورائد أمة . وينبغي الإشارة هنا إن المصادر لم تسعف في تحديد السنوات التي تشكلت فيها الجمعيات المشار إليها.

(٢) الجزيرة ، ٦٣١ ، ١٩٣٧/٤/٢٧ .

(٣) المصدر نفسه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هناك ثمّة دلالات واضحة على التطابق الفكري ما بين جماعة الإخوان المسلمين في مصر حيث كان التأسيس الأوّل لها عام ١٩٢٨م على يد الشيخ حسن البنّا [١] (١٩٠٦-١٩٤٩) ، وبين جماعة الإخوان المسلمين في سورية ، مشكلّة بواقع الحال امتداداً لفكر جماعة الإخوان في مصر . من ابرز تلك الدلالات أنّ أوّل مراقب للإخوان المسلمين في سورية الدكتور مصطفى السباعي (١٩١٥-١٩٦٤) والمولود في حمص كان قد سافر إلى مصر عام ١٩٣٣ بهدف متابعة دراسته العليا في العلوم الشرعيّة في الأزهر ، وهناك اتّصل بالشيخ حسن البنّا مؤسّس جماعة الإخوان المسلمين وتعرّف عليه فاقتنع بفكره وأسلوبه [٢]، وانتظم في سلك تنظيم الجماعة في مصر [٣].

وفي السياق ذاته يأتي حضور الدكتور سعيد رمضان من الإخوان المسلمين في مصر بتكليف من الشيخ حسن البنّا ، للقاء الأوّل الذي عقدته الجمعيّات الإسلاميّة في سورية عام ١٩٤٢ في مدينة حلب وبدعوةٍ من الدكتور مصطفى السباعي بعد عودته من مصر بهدف توحيد تلك الجمعيّات لتحمل اسم وفكر جماعة الإخوان المسلمين [٤].

ومن هنا فانّ ما يصل إليه الباحث في الفكر السياسي لدى الإخوان المسلمين في مصر يصدق إلى حدّ بعيدٍ على الفكر السياسي للإخوان المسلمين في سورية.

---

(١) حسن البنّا ، مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنّا ، المؤسسة الإسلاميّة للطباعة والصحافة والنشر، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩١٨ ، ص ٥ .

(٢) حسني جرّار ، الدكتور مصطفى السباعي قائد جيل وراند أمّة ، ص ٤٧ .

(٣) سعيد حوّى ، هذه تجربتي وهذه شهادتي ، دار التوفيق النموذجيّة ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص ٣٥ .

(٤) حسني جرّار ، الدكتور مصطفى السباعي قائد جيل وراند أمّة ، ص ٥٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبقيت الاجتماعات واللقاءات تتوالى بعد اللقاء المشار إليه عام ١٩٤٢ ، حتىّ تمّ توحيد المراكز والجمعيّات الإسلاميّة عام ١٩٤٥ في تنظيم واحدٍ هو تنظيم جماعة الإخوان المسلمين ، واصبح الدكتور مصطفى السباعي أوّل مراقبٍ عام للإخوان المسلمين في سورية [١].

الفكر السياسي عند الإخوان المسلمين :

انطلق الإخوان المسلمون بفهمهم للإسلام على انّه عقيدةٌ وشريعةٌ ربانيّة ، بمعنى انّه جاء لتنظيم شؤون الناس في الحياة الدنيا ، لينالوا الفوز بالجنّة في الحياة الآخرة . وبهذا الفهم صاغ الإخوان المسلمون نظريّتهم السياسيّة التي بيّنت أنّ الإسلام: "نظام شاملٌ يتناول مظاهر الحياة جميعاً فهو دولة ووطن ، أو حكومة وأمّة، وهو خلق وثروةٌ ، أو كسبٌ وغنىً ، وهو ثقافةٌ وقانون أو علم وقضاء ، وهو جهادٌ ودعوةٌ أو جيشٌ وفكرةٌ ، كما هو عقيدةٌ صادقةٌ وعبادةٌ صحيحةٌ سواءٌ بسواءٍ" [٢].

وبجانب هذا الفهم لشموليّة المحتوى الإسلامي لكلّ جوانب الحياة ، فانّهم من جهة ثانية اعتقدوا بشموليّته لكلّ بني البشر . فهو دين أممي عالمي بمعنى انّه جاء للنّاس كافّة انطلاقاً من قول الله عزّ وجلّ : "يا أيّها الناس اتقّوا ربّكم الذي خلقكم من نفس واحدةٍ وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقّوا الله الذي تساءلون به والأرحام إنّ الله كان عليكم رقيباً" . فهي عالميّة لأنّها موجّهة إلى الناس

---

(١) حسني جرار ، د. مصطفى السباعي ، قائد جيل وراند أمة ، ص ٥٠ .

(٢) حسن البنّا ، مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا ، ص ٣٥٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كافّة الذين هم في حكمها اخوة : أصلهم واحد وأبوهم واحد ونسبهم واحد لا يتفاضلون إلا بالتقوى وبما يقدّم أحدهم للمجموع [١].

على انّه لم يكن للفكر الأممي العالمي لدى الإخوان المسلمين أن يحول دون اعتبار للروابط الأخرى ، فالوطنيّة يرى لها الإمام حسن البنّا منزلتها وحظهّا في الكفاح والنّضال ، وإنّها الحلقة الأولى في البناء النهضوي ليحتل العرب والعروبة المكان البارز والحظ الوافر، فالعرب هم أمّة الإسلام الأولى وشعبه المتخيّر ، وإذا ذلّ العرب ذلّ الإسلام ، ولن ينهض الإسلام بغير اجتماع كلمة الشعوب العربيّة ونهضتها [٢].

الإخوان المسلمون والحكم :

إقامة الدولة الإسلاميّة التي تقيم شرع الله في الأرض وتحكم به ، كانت من أهّم الدوافع التي قامت جماعة الإخوان المسلمين من اجلها ، يقول حسن البنّا : "وهذا الإسلام الذي يؤمن به الإخوان المسلمون يجعل الحكومة ركناً من أركانه ويعتمد على التنفيذ كما يعتمد على الإرشاد . وقد جعل النبي عليه الصلاة السلام الحكم عروةً من عرى الإسلام . والحم معدودّ في كتبنا الفقهيّة من العقائد والأصول لا من الفقهيّات والفروع . والمصلح الإسلامي إن رضي لنفسه أن يكون فقيهاً مرشداً يقرّر الأحكام ويرتّلُ التعاليم ويسرد الفروع والأصول ، وترك أهل التنفيذ يشرعون للأمّة ما لم يأذن به الله ويحملونها بقوّة التنفيذ على مخالفة أوامره ، فانّ النتيجة الطبيعّة أنّ

---

(١) حسن البنا ، مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنّا ، ص ٢٢٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صوت هذا المصلح سيكون صرخةً في وادٍ ونفخةً في رمادٍ كما يقولون" [١].

ولتحقيق ذلك حدّد الفكر السياسي لنظام الحكم أركاناً ثلاثةً هي [٢]:

١- مسؤوليّة الحاكم .

٢- وحدة الأمّة .

٣- احترام إرادة الأمّة .

لعل الفكر السياسي لدى الإخوان المسلمين أراد لهذه الأركان الثلاثة أن تكون بمثابة الضابط للعقد فيما بين الحاكم والأمة حيث أكّدت مبدأ سيادة الشعب الذي ارتبط به مبدأ آخر وهو مبدأ الشورى كأصيل إسلامي عن الديمقراطيّة المعاصرة [٣]. وانطلاقاً من هذا لم يعارض الإخوان المسلمون النظام البرلماني الغربيّ المعاصر كآلية أساسيّة لتحقيق مبدأ الشورى ، بل تعدّت نظرتهم لهذا النظام انّه لا يتعارض أصلاً مع الإسلام : "وعلى هذا فليس في قواعد هذا النظام النيابي ما يتنافى مع القواعد التي وضعها الإسلام لنظام الحكم ، وهو بهذا الاعتبار ليس بعيداً عن النظام الإسلامي ولا غريباً عنه" [٤]. وكما وجد الإخوان المسلمون أنّ النظام النيابي لا يتعارض مع الإسلام كان الحال نفسه بالنسبة لموقفهم من النظام الدستوري : "الواقع أيّها الإخوان ، أنّ الباحث حين ينظر إلى مبادئ الحكم الدستوري التي تتلخّص في المحافظة على الحريّة الشخصيّة بكلّ أنواعها ، وعلى الشورى واستمداد السلطة من الأمّة ، وعلى مسؤوليّة الحكّام أمام الشعب ومحاسبتهم على ما يعملون

---

(١) حسن البنّا ، مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنّا ، ص ١٣٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣١٨ .

(٣) د. الحبيب الجنحاني ، الحركات الإسلاميّة المعاصرة ، ص ١١٧.

(٤) حسن البنّا ، مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، ص ٣٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من أعمالٍ ، وبيان حدود كلّ سلطة من السلطات . هذه الأصول يتجلّى للباحث إنّها تنطبق كلّ الانطباق على تعاليم الإسلام ونظمه وقواعده في شكل الحكم . ولهذا يعتقد الإخوان المسلمون إنّ نظام الحكم الدستوري هو اقرب نظم الحكم القائمة في العالم كله إلى الإسلام وهم لا يعدلون به نظاماً آخر" (١).

أكّدت مثل هذه الآراء لدى الإخوان المسلمين تطوّراً متقدّماً في الفكر السياسي الإسلامي بانفتاحه على الفكر السياسي العالمي ، والاستفادة ممّا توصّل إليه فيما لا يتعارض مع أصول الإسلام ومبادئه . وهنا لا ينكر أنّ العديد من المصلحين الإسلاميّن منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر قد سبقوا إلى مثل تلك الدعوات في الانفتاح على الغرب والاستفادة من تجاربه . لكن كانت تلك الدعوات بمثابة صرخاتٍ فرديّةٍ لا تمثّل غير رأي صاحبها في اغلب الأحيان ، في حين أن ما دعا إليه الإخوان المسلمون في هذا اصدد ، يمثّل فكر تنظيمٍ سياسيّ جماعيّ .

وأجمل الإخوان المسلمون فكرهم السياسي بالشعار الذي نادوا به : "الله غايتنا، والرسول قدوتنا ، والقران دستورنا ، والجهاد سبيلنا ، والشهادة في سبيل الله أسمى أمانينا" (٢).

البرنامج السياسي عند الإخوان المسلمين :

انطلاقاً من فكرهم السياسي وضع الإخوان المسلمون لأنفسهم برنامجاً سياسيّاً اتّسم بالتدرجّ والمرحليّة للوصول إلى ما يريدون . يقول الدكتور مصطفى السباعي : "الإخوان

---

(١) حسن البنّا ، المصدر نفسه ، ص ١٣٨ .

(٢) حسن البنّا ، المصدر نفسه ، ص ١٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يعتقدون اعتقاداً جازماً أنّ في الإسلام كل عناصر النهاية المرجوّة ، وانّه جاء بمنهجٍ شاملٍ للإصلاح ، ودعوة الإخوان تستهدف خمسة أمورٍ :

أوّلاً : إصلاح الفرد .

ثانياً : إصلاح الأسرة .

ثالثاً : إصلاح المجتمع .

رابعاً : كفاح الاستعمار .

خامساً : توحيد العرب والمسلمين في كيان سياسي [١].

والكيان السياسي هذا المؤهل لتوحيد العرب والمسلمين هو الخلافة ، التي هي "رمز الوحدة الإسلاميّة ومظهر الارتباط بين أمم الإسلام وإنها شعيرة إسلاميّة يجب على المسلمين التفكير في أمرها والاهتمام بشأنها" [٢]. ولهذا يجعل الإخوان المسلمون فكرة الخلافة والعمل لإعادتها في راس مناهجهم وهم مع ذلك يعتقدون إنّها تحتاج إلى كثيرٍ من التمهيدات التي لا بدّ منها[٣].

التيّار الوطني القطري:

بقي الطابع العام للفكر السياسي في سورية بعيداً عن القطريّة وأشكالها حتّى أدّت سياسة الانتداب الفرنسيّة العدائيّة للشعب السوري ، إلى إيجاد حالة من الانكفاء على الذات [٤]، تبلور في ظلّها تيّار قطري جعل من الوطن –سورية – منطلقاً وغايةً في وقتٍ واحدٍ .

---

(١) حسني جرّار ، الدكتور مصطفى السباعي قائد جيل وراند أمّة ، ص ٥٣.

(٢) حسن البنّا ، المصدر نفسه ، ص ١٤٤.

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٤٤.

(٤) د. علي محافظة ، الفكر السياسي في فلسطين ، ص ٢٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عرف الفكر القطري الوطني مجموعةً من الزعماء والمفكّرين الذين صاغوا فكرهم السياسي في ظلّ استراتيجيّة الوحدة الوطنيّة ، كان أبرزهم إبراهيم هنانو الذي قال: "النصارى في بلادنا هم إخواننا في العروبة والوطنيّة لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، أنا أربأ بهم أن يعتبروا أنفسهم أقليّةً فهم أكثريةً مثلنا ونعيش في ضمانٍ مشتركٍ لا نحتاج معه إلى حمايةٍ أجنبيّة كما يدّعي المستعمرون" (١).

لكن الوطنيّة القطريّة لا تعني في فكر هذا التيّار الخصام والعداوة لما تحمله التيّارات الأخرى من فكرٍ إسلاميّ أو قوميّ ، بل هناك نقاط التقاطع والالتقاء فيما بين فكر هذا التيّار وأفكار التيّارات الأخرى . يقول الدكتور عبد الرحمن الشهبندر أحد زعماء هذا التيّار : "رابطة العروبة أقوى من أن تصاب في قوتها وروحها ما دام القرآن يجمعها"، ويقول : "ليس لسورية مجدٌ أكيدٌ وتاريخٌ حافلٌ إلاّ من بعد الفتح العربيّ ، مصر عربيّة كما هي سورية عربيّة ، ومن شرب من ماء النيل كمن شرب من مياه بردى" (٢). اتّسم هذا التيّار بسمتين أساسيّتين ، أولاهما انّه كان اسبق من غيره من التيّارات الأخرى في إفراز وتشكيل الأحزاب والتنظيمات، وثانيهما انّه وبتنظيمه الرئيسي -الكتلة الوطنيّة- استطاع أن يقود العمل الوطني والنضال السياسي .

---

(١) علي رضا ، قصة الكفاح الوطني ، حلب ١٩٧٧ ، بدون تحديد دار النشر ، ص ١٨٤ .

(٢) حسن الحكيم ، عبد الرحمن الشهبندر ، حياته وجهاده ، ص ١٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أهم التنظيمات القطريّة والوطنيّة:

أولاً: حزب الاتّحاد السوري:

كان هذا الحزب قد تشكلّ عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى برئاسة الأمير ميشيل لطف الله، واستمر خلال العهد الفيصلي ، وبحلول الانتداب بقي هو الحزب الوحيد الذي استطاع الاستمرار في نشاطاته ، ولكنّه لظروف الانتداب اضطرّ أن ينقل نشاطه إلى القاهرة[١].

من أبرز النشاطات التي قام بها الحزب والتي عكست توجّهاته السياسيّة دعوته لعقد مؤتمر عام في جنيف يضمّ جميع العناصر السياسيّة والأحزاب والجماعات على اختلافها داخل البلاد وخارجها في شباط ١٩٢١ ، بغية استغلال الفرصة السانحة لعرض القضيّة العربيّة السوريّة على مندوبي الدول في عصبة الأمم التي يصادف انعقاد مؤتمرها العام في شهر آب [٢].

عقد المؤتمر أولى جلساته في السابع والعشرين من آب ١٩٢١ ، برئاسة الأمير مشيل لطف الله رئيس حزب الاتّحاد السوري ، فأوضح أنّ غاية المؤتمر هي توحيد المساعي للأحزاب الاستقلاليّة وإسماع صوت البلاد ورفع قضيّتها إلى الرأي العام الدولي. استمرّ المؤتمر بعقد جلساته حتّى كانت جلسته الأخيرة بتاريخ الحادي والعشرين من أيلول ١٩٢١. أسفرت جلسات المؤتمر عن إصدار بيان عكس التوجّه السياسي لحزب الاتّحاد السوري ، واشتمل البيان على النقاط التالية [٣]:

١- الاعتراف بالاستقلال والسلطان القوميّ لسورية ولبنان وفلسطين.

---

(١) محي الدين السفرجلاني، تاريخ الثورة السورية ، دار اليقظة العربيّة للتأليف والنشر، ١٩٦١، ص ١١٢.

(٢) المصدر نفسه ، ص ١١٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- الاعتراف بحق هذه البلاد في أن تتّحد معاً بحكومةٍ مدنيّةٍ مسؤولةٍ أمام مجلسٍ نيابيّ ينتخبه الشعب ، وان تتّحد مع باقي البلاد العربيّة المستقلّة في شكل ولايات متحّدة .

٣- إعلان إلغاء الانتداب حالاً .

٤- إجلاء الجنود الفرنسيّة والإنكليزيّة عن سورية ولبنان وفلسطين.

٥- إلغاء تصريح وعد بلفور المتعلق بوطن قومي لليهود في فلسطين .

ثانياً: حزب الشعب :

هو أوّل حزب سياسي انشىء في سورية بعد الانتداب الفرنسي ، بعد إطلاق حريّة تشكيل الأحزاب [١]. ولقد بدا التفكير في تأسيس حزبٍ في البلاد السوريّة اثر الإفراج عن المعتقلين السياسيين في صباح الجمعة الثاني من تشرين أوّل ١٩٢٣ ، لذلك ما أن استقرّ مقامهم في دمشق حتّى قرّروا في بداية سنة ١٩٢٤ فتح صفحةٍ جديدةٍ لتنظيم العمل والسعي وراء تحقيق الأماني الوطنيّة بالوسائل المشروعة . ويقول حسن الحكيم : وكنّا نحن رفاق السجن والمظاهرات نجتمع ونتداول في أمور البلاد فيما بيننا واقترحنا في إحدى هذه الاجتماعات تأسيس حزب الشعب بزعامة الدكتور عبد الرحمن الشهبندر [٢]. وكان من أعضائه المؤسّسين بالإضافة إلى رئيسه فارس الخوري وحسن الحكيم ولطفي الحفّار وسعيد حيدر وفخري البارودي [٣].

---

(١) حسن الحكيم ، خبراتي في الحكم ، ص ٦.

(٢) د. سهيلة الريماوي ، الحياة الحزبيّة في سورية ، ص ٢٢.

(٣) نجيب الارمنازي ، سورية من الاحتلال حتّى الجلاء ، ص ٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البرنامج السياسي للحزب :

في الخامس من حزيران عام ١٩٢٥ افتتح الحزب رسمياً في أوبرا العبّاسيّة بدمشق في جمعٍ ضمّ ما يزيد على ألف شخصٍ أكثرهم من المؤيّدين . وبهذا الجمع أعلن فارس الخوري برنامج الحزب السياسي الذي احتوى على ما يلي [١]:

١- تحقيق السيادة القوميّة .

٢- وحدة البلاد السوريّة بحدودها الطبيعيّة.

٣- ضمان جميع الحريّات الشخصيّة.

٤- تدريب البلاد نحو سياسةٍ اجتماعيّةٍ ديمقراطيّةٍ مدنيّةٍ.

٥- حماية الصناعات الوطنيّة وإنماء الموارد الاقتصاديّة .

٦- توحيد نظام التربية والتعليم في البلاد وجعل التعليم الابتدائي إجبارياً .

٧- يسعى الحزب لتحقيق مبادئه بالطرق القانونيّة .

والذي ينظر في برنامج الحزب هذا ، يجد انّه اتّسم بسماتٍ ثلاثٍ هي :

١- انّه كان ذا صفةٍ عامّةٍ بغاياته وأهدافه ومدلولاته .

٢- تجنّب بواعث الصدام مع الانتداب الفرنسي .

٣- ظهر الميل غير المعلن للفكر السياسي الليبرالي الغربي .

وفي حفل التأسيس ، كان رئيس الحزب الدكتور عبد الرحمن الشهبندر قد ألقى خطاباً أكّد فيه على قدرة العرب على العمل المنظّم وانّهم على عكس ما يحمل عليهم من حملة مغرضةٍ تصوّرهم بالعاجزين عن التعاون والتنظيم . كما حاول في

---

(١) نجيب الارمنازي، سورية من الاحتلال إلى الجلاء ، ص ٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خطابه أن يؤكّد على ضرورة فهم روح العصر ومواكبة تطوّراته السياسيّة والفكريّة مثل الديمقراطيّة ، وحقّ تقرير المصير والتنظيم الدولي . وفي الوقت الذي أعلن فيه عن قناعته بانّ الشيوعيّة لا تلتئم مع الغريزة الشرقيّة ، قال بانّ الاشتراكيّة المعقولة لا تناقض بينها وبين عقيدة الشرقيّين . وفي الختام دعا إلى التأكيد على إحدى القيم السياسيّة وليست طارئةً عليهم . وهذا الفضل يعود للجزيرة العربيّة التي طبعت أبناءها على الحريّة . وضمنّ الخطاب دعوةً صريحةً بضرورة التعامل مع الانتداب بالحكمة والتفاهم والتدرّج في المطالب لانّ النجاح لا يتأتّى من مقاومة الطبيعة ومصارعتها بل من مجاراتها والتكيّف بحسبها [١].

ثالثاً: الكتلة الوطنيّة :

كان لتعاقب الأحداث وتطوّراتها منذ فرض الانتداب ولغاية انتهاء الثورة السوريّة الكبرى ، أن ساهمت في صقل تجربة الوطنيين السياسيّة ، كي يصبح هناك شعور عام بضرورة توحيد الجهود والطاقات لمواجهة سياسة الانتداب . هذا في الوقت الذي رأى فيه الوطنّيون أنّ سورية أصبحت بين تيّارات الطامعين بها من الهاشميّين والسعوديّين ، فكان هذا ممّا يحفز أيضاً بها لضرورة التكتّل وتوحيد الجهود ليكون لسورية كيانها السياسي كغيرها ، ما دام أنّ كلّ منطقة وكلّ إقليم من حولها يعمل إلى تشكيل كيان له [٢].

---

(١) انظر حسن الحكيم ، عبد الرحمن الشهبندر حياته وجهاده ، الدار المتّحدة للنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٥، ص ١٠٩-١١٥.

(٢) ذوقان قرقوط ، تطوّر الحركة الوطنيّة ، ص ٩٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اصدر المفوّض السامي بونسو Ponsot في السادس والعشرين من تمّوز ١٩٢٧ ، بياناً أوضح فيه تمسّك فرنسا بواجباتها الانتدابيّة على البلاد . فقطع بذلك الأمل لدى الوطنيّين بسياسة الحوار والتفاهم مع سلطات الانتداب التي لاحت عقب إنهاء الثورة السوريّة [١]. عندها تنادى الوطنيّون إلى عقد مؤتمر في بيروت في التاسع عشر من تشرين أوّل ١٩٢٧ ، للردّ على بيان المفوّض السامي بونسو ، فكان هذا المؤتمر إيذاناً بقرب ميلاد . الكتلة الوطنيّة كما كان إعلاناً بتمسّك المؤتمرين بوحدة العمل السياسي ، "فقد ضمّ مندوبين عن بيروت وطرابلس إلى جانب ممثّلين عن دمشق وحمص وحماة وحلب . واصدر بياناً مطوّلاً أرسله إلى الصحف السوريّة واللبنانيّة رئيس المؤتمر هاشم الأتاسي ، وناقش المؤتمر بإسهاب مطالب البلاد المتمثّلة في وحدة البلاد واستقلالها وتأليف مجلس تأسيسي وعقد معاهدة مع فرنسا ، وبيان المفوّض السامي بونسو ، بصيغة تسودها روح التساهل والاستعطاف" [٢].

الفكر السياسي عند الكتلة الوطنيّة :

بقي الوطنيّون يعملون تحت اسم الكتلة الوطنيّة دون أن يحمل هذا الاسم هيكلاً تنظيمياً أو فكراً سياسياً واضح المعالم ، حتّى تمّ إقرار القانون الأساسي للكتلة الوطنيّة في الرابع من تشرين الثاني ١٩٣٢ في مدينة حمص بسورية[٣].

---

(١) محمد حرب فرزات ، تاريخ الأحزاب في سورية، ص ٢٠٥ .

(٢) ذوقان قرقوط ، تطور الحركة الوطنية ، ص ١٠٣ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٠٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

احتوى القانون الأساسي ما يزيد على ثلاثين مادة ، عبّرت مواده الأربعة الأولى عن الفكر السياسي للكتلة ، فيما تناولت باقي المواد هيكليّة التنظيم وتشكيلات الهيئات الإداريّة والماليّة ، وتحديد الأعمال والصلاحيّات لكلّ منها[١] . والذي يعنينا هنا هو المواد الأربعة الأولى والتي جاءت تحت عنوان المبادئ العامّة [٢]على الشكل التالي :

"**المادّة الأولى : الكتلة الوطنيّة هيئة سياسيّة غايتها :**

(أ) تحرير البلاد السوريّة المنفصلة عن الدولة العثمانيّة من كلّ سلطةٍ أجنبيّةٍ وإيصالها إلى الاستقلال التام والسيادة الكاملة ، وجمع أراضيها المجزّاة في دولةٍ ذات حكومة واحدة على أن يبقى للبنان الحقّ في تقرير مصيره ضمن حدوده القديمة.

وهذا يعني في فكر الكتلة تأكيداً على وحدة أراضي سورية الطبيعية كافة سورية وفلسطين وشرق الأردن مع الإبقاء على الوضع الخاص الذي كان يتمتع به لبنان في العهد العثماني .

(ب) تأليف المساعي مع العمل القائم في الأقطار العربيّة الأخرى لتامين الاتّحاد بين هذه الأقطار ، على أن لا يحول هذا السعي دون الأهداف الواجب بلوغها في كلّ قطرٍ .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٦٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(ج) تامين الحريّة والمساواة في الحقوق والواجبات بين أفراد الشعب كافّة على اختلاف طوائفه ورفع مستوى الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة ، ونشر الثقافة وبث الأخلاق القوميّة بين جميع الطبقات مع إنمائها وتغذيتها.

وبالنظر في النقطتين (ب ، ج) يتبين أن الكتلة الوطنية أكدت أيضاً تبنيها للفكر القومي العربي والوحدوي ، والذي عبرت عنه بصيغة الاتحاد بني الأقطار العربية دون أن تفصل في صيغة وطبيعة هذا الاتحاد الذي دعت إليه . إلا أنها أدركت أن لكل قطر خصوصية مما يستدعي أن لا يحول هدف الوحدة العربية العام دون الاهتمام القطري الخاص .

المادّة الثانية : تعتبر الكتلة الوطنيّة أنّ الأمّة جمعاء بكلّ ما لديها من قوّة معنويّةٍ وماديّةٍ وقف على هذا الجهاد الوطني حتّى تبلغ أهدافها .

المادة الثالثة : من الواجب المحتّم جمع قوى الأمّة وتوجيه جهودها لتحقيق الآمال الوطنيّة ولذلك تعتبر الكتلة الوطنية تأليف الأحزاب السياسية مخالفاً لوحدة الجهود.

المادة الرابعة: لا يجوز مس ولا تعديل هذه المبادئ باعتبارها جوهرية في حياة الأمة وكيان الكتلة الوطنية وكل مخالفة لها تسقط صاحبها من حق الانتساب إليها.

وحين المقارنة بين المادة الثانية والثالثة والرابعة مع النقطة (ج) من المادة الأولى يبدو هناك نوع من التناقض والتعارض في فكر الكتلة الوطنية . ففي الوقت الذي دعت فيه النقطة (ج) إلى الحرية والمساواة بين أفراد الشعب كافة ، جاءت المواد الثانية والثالثة والرابعة مناقضة لمعاني الحرية ، فلا اقل من أن يسمح بتشكيل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأحزاب وحرية التفكير والنقد وإبداء وجهة النظر المخالفة ، وهذا ما رفضته الكتلة الوطنية . وبهذا فان الكتلة الوطنية حاولت احتكار الفكر السياسي والعمل بمقتضاه في وقتٍ كان من المتوقّع فيه تطوّراً في الفكر السياسي إفساح المجال للإبداع الفكري والحوار السياسي للوصول بالبلاد إلى أهدافها وغايتها ، فمقارنة بالأحزاب التي تشكّلت قبل الكتلة الوطنيّة كحزب الاتّحاد السوري وحزب الشعب ، يلاحظ إنّها كانت ذات برامج أكّدت على نظمٍ من شانها تفعيل القوى السياسيّة والجماهير الشعبيّة كالدعوة إلى حكومة برلمانيّة مثلاً .

كما وأنه لدى النظر في هذه المواد بمجملها العام ومناقشتها يبدو الفكر السياسي للكتلة الوطنيّة ضبابيّاً ويكتنفه شيءٌ من الغموض وميله للطرح العام ، ففي حين تناولت المادّة الأولى بنقاطها الثلاث أهداف بحاجة إلى إيضاح وتحديدٍ ، فالاستقلال والسيادة والحكومة والعمل مع الأقطار العربيّة الأخرى للوحدة العربية، والحريّة والمساواة للمواطنين . فبجانب إنّها مصطلحات لأهداف عامة ، تركت أيضاً دون تحديد وسائل واليات للوصول إليها حيث أن ممّا لا شكّ فيه أنّ معرفة الوسائل والآليات تسهم في فهم الفكر السياسي مجال البحث .

لعل الخلفيّات السياسية والفكرية للقائمين على تأسيس الكتلة الوطنيّة وتشكيلها لعبت دوراً أساسياً في صياغة فكرها السياسي . فمن خلال معرفة أعضاء المكتب الدائم للكتلة – القيادة العليا – الذي ضمّ "هاشم الأتاسي رئيساً وإبراهيم هنانو زعيماً وسعد الله الجابري نائباً للرئيس وجميل مردم وشكري القوتلي والدكتور عبد الرحمن الكيّالي وفارس الخوري أعضاءً" [١]، يتضح التنوّع بين الأعضاء ، حيث ضمّ

(١) نجيب الارمنازي ، سورية من الاحتلال إلى الجلاء ص ، ٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جماعةً من الإقطاعيين أمثال جميل مردم من دمشق وسعد الله الجابري من حلب وهاشم الأتاسي من حمص ، وأعضاءً من أصحاب الفكر مثل فارس الخوري ، وقادةً ممّن اشتهروا بثورتهم مثل إبراهيم هنانو قائد ثورة حلب[١] . الكيّالي عضو المكتب يعزّز القناعة ذاتها حين قال : "فمنّا من كانت تربيته تركيّة ، ومناّ من كانت تربيته فرنسيّة، ومنا من كانت تربيته أميركيّة ، ثمّ هناك ما انحدر فينا من وراثاتٍ عائليّةٍ ومحليّةٍ وقوميّةٍ" [٢].

الشباب الوطنيّ أو القمصان الحديديّة :

تشكّلت فرق الشباب الوطني – القمصان الحديديّة – في ظلّ الكتلة الوطنيّة ، فهي وجه من وجوهها وإفراز من افرازاتها ، وصاحب فكرتها هو الدكتور منير العجلاني في حين أنّ الذي قام برئاستها فخري البارودي [٣]، أكدّ الشباب الوطني التزامهم بالفكر القومي العربي كمنطلقٍ للنهوض والتحرير ، كان هذا ما ورد في نص المادّة الأولى من قانون الشباب الوطني "الشباب الوطني هيئة قوميّة عربيّة ، غايتها تحرير سورية الطبيعيّة ، والعمل في سبيل تقارب البلاد العربيّة واتّحادها"[٤]. وفي خطابه في مهرجان الشباب الوطني الأوّل الذي أقيم في الحادي والعشرين من أيّار ١٩٣٦ قال الدكتور احمد السمّان عضو اللجنة العليا "الشباب الوطني هيئة عليا أخذت على نفسها بثّ أفكارها في الحكومة وفي السياسة والاقتصاد لتبعث في

(١) د. سهيلة الريماوي ، الحياة الحزبيّة في سورية ، ص ٣٢ .
(٢) محمّد حرب فرزات ، تاريخ الأحزاب في سورية، ص ٢٢٣ .
(٣) أنور العش ، في طريق الحرية ، الجزء الثاني ، مطبعة الاعتدال ، ١٩٣٧ ، ص ٥٧ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٥٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سورية وفي البلاد العربيّة نهضة قوميّة واسعة مبنيّة على مبادئ العلم وعلى حاجات العصر الحديث . نحن نعلن أنّ سورية عربيّة بقدر عروبة أي جزءٍ من البلاد العربيّة ، ونحن من أخصام السياسة الإقليميّة التي تصرخ كالبوم هنا وهناك سورية للسوريّين ومصر للمصريّين والعراق للعراقيّين ولبنان للبنانيّين" [١].

وبهذا يكون الشباب الوطني قد بدا واضحاً في فكره القومي ، وهنا يبدو أنّ الخط القوميّ داخل الكتلة الوطنيّة هو الذي نزع لتشكيل هذه الفرق ، والتي سموّها بأسماء مشاهير وعظماء التاريخ العربي والإسلامي ، فكانت الفرق الحديديّة في دمشق مثلاً بأسماء "يوسف العظمة ، عمر بن الخطّاب ، صقر قريش ، احمد مريود، صلاح الدين الأيّوبي" [٢]. وفي هذا تأكيد على الهويّة القوميّة لدى الشباب الوطني. وربمّا كان هذا الفكر القوميّ هو الذي حدا ببعض من رأوا في الكتلة الوطنيّة إنّها برغم اقتصار عملها السياسي على سورية ، إلاّ إنّها كانت قوميّة التوجّه والفكر باعتبار أنّ الشباب الوطني هو جزء من افرازات الكتلة الوطنيّة وإنجازاتها [٣].

أمّا من جهة أخرى فانّه يمكننا القول أنّ هذا الشباب الوطني الحامل الفكر القومي العربيّ بدا متأثّراً بالفكر السياسي الغربي وحاول محاكاته . يقول صاحب فكرة الشباب الوطني الدكتور منير العجلاني وأمين السر العام للجنة العليا : مبدياً إعجابه وتأثّره بالثورة الفرنسيّة وأفكارها "لقد نسجت الجمهوريّة الفرنسيّة مثلها

---

(١) أنور العش ، في طريق الحرية ، الجزء الثاني ، ص ٨١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٨٧ .

(٣) مصطفى الشهابي ، القوميّة العربيّة ، ص ٢٥١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السامية أو إذا شئتم شعارها من ثلاث كلماتٍ كالوان رايتها وهي الحريّة والاخوّة والمساواة ، مُثلٌ حلوةٌ مختارة يا اخوتي ولكنّها كانت مثلنا منذ اكثر من ألف عام"(١).

رابعاً: الحزب القومي السوريّ الاجتماعيّ :

يبقى هذا الحزب ضمن إطار التيّار الإقليمي ، برغم محاولته إطلاق صفة القوميّة على نفسه . فالحدود الجغرافيّة التي جعل منها الحزب إطاراً ومنطلقاً لهويتّه الفكريّة، فإنّها وإن كانت تعدّت حدود الإقليم السوري إلى بعض الأقطار المجاورة كالعراق فإنها وبرغم ذلك أبقت على الفكر السياسي للحزب فكراً إقليميّاً ، يظهر هذا من جملة أدبيّات الحزب التي صاغها ووضعها انطون سعادة مؤسّس الحزب . وهو بهذا كان "ذا نمطٍ خاص مختلفٍ عن عامّة الأحزاب الأخرى لتكون أساس فكرته المناداة بقوميّةٍ سوريةٍ إقليميّةٍ" (٢).

أسّس انطون سعادة الحزب في السادس عشر من تشرين الثاني عام ١٩٣٢ في بيروت لأوّل مرّة من ستّة طلاّب في الجامعة الأمريكيّة في بيروت التي كان هو أستاذا للّغة الألمانيّة فيها ، تمّ انّه لمّا لم يستوثق من فهم اثنين منهم لمقاصده تظاهر بحلّ الحزب ثم تابع عمله مع الآخرين وقد بقي كذلك إلى حين عقد الاجتماع الحزبي العام الثاني وفيه ألقى زعيم الحزب في أوّل حزيران ١٩٣٥ خطبةً تعتبر

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٨٧ .

(٢) محمّد حرب فرزات ، تاريخ الأحزاب في سورية، ص ١٤١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أوّل شرح لمبادئ الإصلاحيّة ، لتشكلّ بمجموعها الفكر السياسي للحزب حيث نصّت المبادئ الأساسيّة الثمانية على ما يلي [١]:

١- سورية للسوريّين والسوريّون أمّة تامّة .

٢- القضيّة السوريّة هي قضيّة الأمّة السوريّة والوطن السوري .

٣- القضيّة السوريّة هي قضيّة قائمة بنفسها مستقلّة كلّ الاستقلال عن أيّة قضيّة أخرى .

٤- الأمّة السوريّة هي وحدة الشعب السوري المتولدّة من تاريخ طويلٍ يرجع إلى ما قبل الزمن التاريخي الجليّ .

٥- الوطن السوري هو البيئة الطبيعيّة التي نشأت فيها الأمّة السوريّة وهي ذات حدود جغرافيّة تميّزها عن سواها تمتدّ من جبال طوروس في الشمال الغربي ، وجبال البختياري في الشمال الشرقي إلى قناة السويس والبحر الأحمر في الجنوب شاملةً شبه جزيرة سيناء وخليج العقبة ، ومن البحر السوري في الغرب شاملةً جزيرة قبرص إلى قوس الصحراء العربيّة وخليج العجم في الشرق ويعبّر عنه بلفظ عام الهلال السوري الخصيب ونجمته قبرص .

٦- الأمّة السوريّة مجتمعٌ واحدٌ .

٧- تستمدّ النهضة السوريّة القوميّة الاجتماعيّة روحها من مواهب الأمّة السوريّة وتاريخها الثقافيّ السياسيّ القوميّ .

٨- مصلحة سورية فوق كلّ مصلحة" .

---

(١) انظون سعادة ، الدليل إلى العقيدة السوريّة القوميّة الاجتماعيّة ، ص ٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمّا المبادئ الإصلاحيّة الخمسة والتي كانت بمثابة البرنامج السياسي للحزب ، فقد جاءت كي تعمل على تحقيق المبادئ الأساسيّة ففي حين كانت الثلاثة الأولى منها عالجت علاقة الدين بالدولة والمجتمع ، "والتي دلّت على الخطورة التي أقامها واضع المبادئ للمشاكل الناجمة عن تعلقّ المؤسّسات الدينيّة المنافية للرابطة القوميّة" (١).

أمّا المبدأ الإصلاحي الرابع فيتعلقّ بالناحية الاقتصاديّة وينصّ على "إلغاء الإقطاع وتنظيم الاقتصاد القوميّ على أساس الإنتاج ، وإنصاف العمل وصيانة مصلحة الأمّة والدولة" (٢). أمّا المبدأ الخامس فقد دعا إلى "إعداد جيش قويّ يكون ذا قوّةٍ في تقرير مصير الأمّة والوطن" (٣).

هيمنت شخصيّة المؤسّس انطون سعادة على الحزب بكلّ أبعاده التنظيميّة والفكريّة ، ويظهر ذلك جلياً من طبيعة التشكيل التي تأسّس عليها الحزب حيث جاء "تأسّس الحزب السوري القومي الاجتماعي بموجب تعاقد بين الشارع صاحب الدعوة إلى القوميّة السوريّة وبين المقبلين على الدعوة ، على أن يكون واضع أسس النهضة السوريّة القوميّة ومبادئه أعضاء في الحزب يدافعون عن قضيّته ويؤيّدون الزعيم تأييداً مطلقاً في كلّ تشريعاته وإداراته الدستوريّة" (٤). وفي هذا السياق يأتي القسم الخاص الذي وضعه انطون سعادة لنفسه ، والقسم العام الذي وضعه للأعضاء(٥) ،

---

(١) محمد حرب فرزات ، تاريخ الأحزاب في سورية، ص ١٤٦.

(٢) انطون سعادة ، المصدر السابق ، ص ١٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٩ .

(٤) لبيب زويا ، الحزب السوري القومي الاجتماعي تحليل وتقييم ، ص ١٧٨ .

(٥) جاء القسم الخاص كما يلي : "أنا انطون سعادة اقسم بشرفي وحقيقتي ومعتقدي علت أن اقف نفس على أمتي السوريّة ووطني سورية عاملاً لحياتهما ورقيّهما وعلى أن أكون أميناً للمبادئ التي وضعتها وأصبحت قضيّة الحزب السوري القومي الاجتماعي ولغاية الحزب وأهدافه وأن أتولّى زعامة الحزب القومي السوري=

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكلاهما يؤكّد على الطبيعة الاستبداديّة لرئيس الحزب على الحزب والتي ألقت بظلالها على فكر الحزب بإطاره العام .

موقف الحزب من الدين والقومية العربيّة :

وقف الحزب من الدين والعروبة موقف العداء والمعارضة ، فقد أتى المبدأ الإصلاحي الأوّل ليقرّر فصل الدين عن الدولة ، لانّ الدين يستدعي ولاء فئاتٍ من الأمّة لسلطةٍ خارج البلاد كسلطة البابا والخليفة [١]. هذا ليكون العرب المسلمون بنظر سعادة فاتحون كغيرهم من الأمم التي مرّت بهذه البلاد ويرى نتيجةً لذلك أن ليس يقتضي الفتح تغيّر الهويّة السوريّة . وهو يرى أنّ اندماج القضيّة السوريّة القوميّة في القضيّة العربيّة كان بسبب وقوع بلادٍ عربيّةٍ غير سوريّةٍ تحت التسلّط التركي ممّا ساعد على تولّد فكرة إجماع العالم العربي المخضع لتركيّا على القيام بحركةٍ تحريرية مشتركة أدّت إلى فوضى بالنظريّات السياسيّة [٢]، ولهذا حمل سعادة حملةً عنيفةً على العروبة ودعاتها في مقالاته وخطبه ينعتها تارةً بالحزبيّة

=الاجتماعي وستعمل سلطة الزعامة وقوّتها وصلاحيّتها في سبيل فلاح الحزب وتحقيق قضيّته وأن لا استعمل سلطة الزعامة إلاّ من اجل قضيّة القوميّة الاجتماعيّة ومصلحة الأمّة على هذا اقسم أنا انطون سعادة" . في حين كان قسم العضويّة على النحو التالي : "أنا .... اقسم بشرفي ومعتقدي على أنّي انتمي إلى الحزب السوري القوميّ الاجتماعي بكلّ إخلاص وبكلّ عزيمة صادقةٍ وأن اتّخذ مبادئه القوميّة الاجتماعيّة إيماناً لي ولعائلتي وشعاراً لبيتي لان احتفظ بأسراره فلا أبوح بها لا بالقول ولا بالكتابة ولا بالرسم ولا بالحفر ولا بأيّة طريقة أو وسيلة لا تطوّعاً ولا تحت أيّ نوعٍ من أنواع الضغط وأن احفظ مبادئه ونظامه واخضع لها وأن احترم قراراته وأطيعها وأن وأؤيّد زعيمه وسلطته وأن لا أخون الحزب ولا أيّ فرع من فروعه ولا أحداً منهم وأن اقدّم كل مساعدةٍ أتمكّن منها إلى أيّ عضوٍ عاملٍ من أعضاء الحزب متى كان محتاجاً إليها وأن افعل واجباتي نحو الحزب بالضبط" . انظر انطون سعادة ، المصدر السابق ، ص ٥٦ .

(١) محمد فرزات ، تاريخ الأحزاب في سورية، ص ١٥٣ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٥١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإسلاميّة ليظهر تناقضها مع القوميّة ، ويصف العرب تارةً أخرى بالصحراويّين وبلادهم بالصحراء ليظهر اختلاف البيئة ، وتباين الوطن [١].

(١) المرجع نفسه ، ص ١٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

الفكر السياسي والقضايا القطرية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفكر السياسي والقضايا القطرية:

واجه الفكر السياسي في سورية، خلال حقبة الانتداب ، علاقة جدلية مع مجموعة من القضايا ذات السمة القطرية ، والتي احتلت درجة متقدمة في أولويات الفكر السياسي ، نظراً لتلك الظروف التاريخية التي عاشتها البلاد . وهذا مما يدفع بالباحث إلى استجلاء موقف الفكر السياسي منها . ولعل ابرز هذه القضايا القطرية قضيتان اثنتان هما : الانتداب ، والوحدة الوطنية .

أولاً : الموقف من الانتداب :

بدأت أطماع فرنسا تتجه علانية للسيطرة على سورية تحت اسم الانتداب منذ أن أوشكت الحرب العالمية الأولى على الانتهاء . وذلك تنفيذاً لما تم الاتفاق عليه فيما هو معروف باتفاقيات سايكس بيكو "**Sykes - picot Agreement**" وبما تم إقراره فيما بعد بمؤتمر سان ريمو "**San Remo**" وإزاء تلك التطورات التي كشفت عن النوايا الفرنسية لم يكن الفكر السياسي ساكناً ، بل بدا متحركاً متفاعلاً مع الحدث الجديد ليشكل بذلك تياراً عاماً رافضاً للانتداب وليظهر في المقابل اتجاه يقبل بالانتداب ويدعو إلية .

ولنا أن نقف عند كل واحد منهما على حدة :

١- الاتجاه الموالي للانتداب والمؤيد له :

سعت فرنسا ، منذ احتلالها سورية ولبنان ، إلى البحث عن قوى محلية تعتمد عليها في تنفيذ سياستها . ووجدت ، في زعامات الأسر الإقطاعية وأعيان المدن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والقيادات التقليدية ضالتها المنشودة [١] . وفي الحقيقة برز هذا الاتجاه منذ اللحظة الأولى للسيطرة الفرنسية على سورية. ونستطيع التأكيد هنا أن دعاة هذا الاتجاه وقادته غالباً ما كانوا يمثلون السلطة الحكومية الرسمية ، ويشغلون مراكز ومواقع فيها وذلك حين نجحت السلطة الفرنسية في حشد بعض المرتزقة ذوي المطامع الشخصية حولها ، لتنفيذ مآربها ولتجعلهم ستاراً تنفذ من ورائه خططها. فأسندت شؤون الحكم إلى من لا عهد لهم به ، فحققوا فيه مطامعهم المادية ، واستكانوا حتى لم يكن لهم هم إلا إرضاء رجال الانتداب ومن لهم صلة به ، وكان الرؤساء والوزراء كالهياكل أمام المفوض السامي الفرنسي الذي كان يتمتع بسلطة مطلقة [٢].

وفي مضمار الموالاة هذا أبدت بعض الأسر الإقطاعية وبعض القيادات الدينية تعاوناً مع الفرنسيين وكان يمثلها علاء الدين دروبي وعبد الرحمن اليوسف وعطا الأيوبي وبديع المؤيد وجميل الألشي والشيخ عبد القادر الخطيب وحقي العظم والشيخ تاج الدين الحسني والشيخ طاهر الأتاسي وراشد البرازي ومحمد علي العابد، ومن حلب صبحي بركات وغالب إبراهيم باشا ورشيد المدرس والشيخ حسين الأورفلي واسكندر سالم [٣] .

وشكلت هذه الفئات المتعاونة مع الانتداب بين عامي ١٩٢٨-١٩٣٦ أحزاباً سياسية كانت اقرب إلى التكتلات والتحالفات السياسية منها إلى الأحزاب بالمفهوم الحديث . ومن هذه الأحزاب : "حزب الإصلاح" الذي ألفه حقي العظم وضم عدداً

---

(١) د. علي محافظة ، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية ، ١٩١٩ -١٩٤٥ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ص ١٢٥.

(٢) محمد حرب فرزات ، تاريخ الأحزاب في سورية، ص ٨٣ .

(٣) د. علي محافظة ، المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من كبـار الموظفين ، بهدف الحصـول علـى اسـتقلال البـلاد ووحدتهـا علـى أسـاس دسـتوري نيـابي مـن خـلال التعـاون مـع السـلطة المنتدبـة ، ومنهـا: "حـزب الاتحـاد الوطنـي" ، برئاسـة سـعيد محاسـن ، وهـو الحـزب الـذي ضـم عـدداً مـن الموظفيـن والضبـاط المتقـاعدين ، وكـان "الحـزب الملكـي" ، أو حـزب الأمـة الملكـي، برئاسـة عارف باشا الأدلبي أحد كبار الضباط في العهـد العثمـاني ، يضـم كبـار الشـخصيات من الأسر الدمشقية المرموقة . وكـانت هـذه الأحـزاب المتعاونـة تطلـق علـى نفسـها صفات الاعتدال والواقعية وتطلق على خصومها من الوطنيين صفة التطرف.

واتحد الحـزب الملكـي وحـزب الاتحـاد الوطنـي وحـزب الوطنيين المعتدلين بزعامة "شاكر نعمـة" مـع حـزب الإصـلاح ، واختـارت هـذه الأحـزاب حقـي العظـم رئيساً لهذا الائتلاف الحزبي الذي أطلق عليه اسم "الأحزاب المتحدة" ، وأصدرت في الثاني والعشرين من تموز عام ١٩٢٩ ، برنامجاً سياسياً تضمن النقاط التالية [١]:

١- تشكيل حكومة قوية ومستقرة تستند إلى الأحزاب المتحدة .

٢- إبرام معاهدة مع السلطة المنتدبة .

٣- إدارة البلاد من قبل هذه الحكومة لمدة تتراوح بين السنة وثمانية عشـر شهراً يتم خلالها إصلاح الشؤون المالية والاقتصادية والإدارية .

٤- سن دستور يتفق ووجهة نظر السلطة المنتدبة .

٥- انتخاب مجلس نيابي تقدم له المعاهدة والدستور.

ولعله من خلال الوقوف عند بعض رمـوز هـذا الاتجـاه ، يمكـن الكشـف عـن مدى التأييد والولاء الذي أعطاه هذا الاتجّاه للانتداب .

---

(١) د. علي محافظة ، المرجع السابق ، ص ١٢٧ ، وكذلك انظر د. سهيلة الريماوي ، الحياة الحزبية في سورية ، ١٩٢٠-١٩٤٥ ، ص ٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حقي العظم :

ظهر حقي العظم كواحدٍ من اكبر دعاة الانتداب ومؤيديه ، من بين رجال الفكر والسيّاسة المسلمين السنة ، وكما يذكر عنه علي الطنطاوي انه أظهر هذا قبل ميسلون حيث كان يعلن بلسانه وقلمه انه كان يريد أن تحكم فرنسا سورية. ولما جاءت لجنة كنج كراين عام ١٩١٩ وقف برأيه ضد الشعب [١]وبمجيء الانتداب استمر بنهجه المؤيد له بكل وضوح وقوة ، فقد جاء بمقال له تحت عنوان "**بين التفاهم والتخاصم**" : "وقد سرني ما قرأته في رسالة لمكاتب المقطم البيروتي إذ قال: فكلمة الاستقلال التام المطلق التي كانت تنشرها أحياناً بعض جرائد بيروت المعارضة ، أصبحت اليوم لا اثر لها في الوجود ، واستعيض عنها بكلمة الانتداب الفرنساوي المؤدي إلى الحرية ، وهذا فألٌ حسن وخطوة مباركة من تلك الجرائد ، نذكر بالشكر لها ونبشر بسريان روح الرغبة في التعاضد مع أصحاب الحل والعقد من رجال الدولة المنتدبة ، وهذا ما كنت أدعو إليه منذ ست سنوات لعلمي أنه يستحيل علينا سلوك غيره ، ويستحيل أيضاً أن يكون لغير فرنسّا شّان في سورية . ويجب أن نعلم ، انه ليس للشرق مفر ولا مناص من الوقوع تحت سيطرة الغرب، الأدبية والمادية إلا إذا ترقوا أو تقدموا وتعلموا وساووا الأوروبي . وهذا لا يمكن إلا بالنشاط والهمة والجهاد ودخول البيوت من أبوابها ، ومحاسنه الدولة المنتدبة ومد يد الإخلاص لها [٢].

---

(١) على الطنطاوي ، المذكرات ، الجزء الأول ، ص ٨٦ .

(٢) جريدة سورية الجديدة ، العدد ، ٤١٢ ، ١٩٢٠/٨/٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبتاريخ ١٩٢١/٢/١٥ ، نفى حقي العظم الإشاعات التي ترددت حول زيارة وفد أوروبي مختلط لسورية، للإطلاع على أحوالها السياسية مؤكداً أن سورية دخلت رسمياً تحت الانتداب الفرنسي [١]. علماً بان الانتداب الفرنسي على سورية لم يعلن من قبل عصبة الأمم بشكل رسمي إلا عام ١٩٢٢ . وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على الولاء التام للانتداب الفرنسي والشغف به . يتمادى به الصلف إلى وصف الجندي الفرنسي بأحسن الأوصاف ، في حين كان وصفه للجندي السوري بأحط الصفات ، يقول ما نصه في إجابة على سؤال كيف ترون سلوك الجنود الفرنسيين مع الشعب؟ "حسن جداً وعلى غاية ما يمكن من الأدب والرقة اللتين عُرف بهما الأفرنسي وأنت – يقصد الصحفي– احسن شاهد على صحة ما أقول ، لأنك واحدّ من الشعب ومختلط به ليلاً ونهاراً ، ولا سيما انك صحفي من طبعك الميل إلى الوقوف على الأحوال العمومية في البلاد. وهنا لا بد لي أن أقول لك ، إن الحق علينا نحن السوريين في جميع أعمالنا ، والمثل العام يقول "دود الخل منه وفيه" ولا بأس من أن اضرب لك مثلاً على ذلك : نرى الجندي الفرنساوي يقابل السوري بكل بشاشة ويعامله احسن معاملة . وإذا ساقتك الأقدار إلى مقابلة أحد السوريين المندمجين في الجيش المختلط يتشامخ عليك ، وأنت ابن جنسه ، وتأله معك وأسمعك من قوارض الكلام ما يزهدك في الحياة ، لا لسبب سوى ما في قلبه من الغرور القتّال . أما الجندي الفرنساوي ، بخلاف السوري المار ذكره الذي يقف وقفة الاستهزاء والسخرية . فبربك قل لي على ماذا يدل ذلك؟ أليس على حسن أدب الأول وسوء تربية الثاني ، فعلينا قبل كل شيء ، أن نربي أنفسنا ، ونتأدب بآداب أولئك

---

(١) سورية الجديدة ، ٥٢٤ ، ١٩٢١/٢/١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذين كان الأمير فيصل ورجاله ينشرون عنهم بين الناس ما هو بعيد عن الحقيقة بعد السماء عن الأرض" [١].

وأمام هذه الصراحة المتناهية في الولاء لانتداب فرنسا والإعجاب بها يقف الباحث دون إبداء أي تعليق مكتفياً بتركها تعبر عن نفسها ، في مدى الانحدار والانهزام الذي وصل إليه أصحاب هذا الاتجاه .

علاء الدين الدروبي :

كان علاء الدين الدروبي وزيراً للداخلية في الوزارة التي كانت قائمة برئاسة هاشم الأتاسي ، حين دخول القوات الفرنسية أرض دمشق ، وبدا منذ تلك اللحظة أنه كان أحد رجال الانتداب ومؤيديه البارزين ، هذا ما يؤكده ساطع الحصري- الذي كان هو الآخر وزيراً للمعارف - في كتابه يوم ميسلون ، الذي تناول فيه تفاعلات الأزمة فيما بين الفرنسيين والحكومة السورية . ولما اتخذ قرار بخروج الوزراء من دمشق إلى الكسوة ، التزم به جميع أعضاء الوزارة ، ما عدا علاء الدين الدروبي ، مبرراً بقاءه في دمشق أنه أنفع للمصلحة العامة باعتباره وزيراً للداخلية . لكن سرعان ما انكشف زيف هذا التبرير حين تبين انه كان على علاقة سابقة في التفاهم مع الفرنسيين [٢].

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) ساطع الحصري ، يوم ميسلون ، ص ٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا ما أثبته الأيام الأولى للانتداب [١]، وكانت هذه العلاقة فيما بين الدروبي والفرنسيين وقد رشحته لرئاسة الوزراء من قبل الملك فيصل خلفاً لوزارة هاشم الأتاسي ، أملاً منه – الملك فيصل – في الاستفادة من هذه العلاقة . غير أن هذا الأمل لم يلبث أن تبدد بإصدار الدروبي عدة بيانات أكدت جميعها تأييد الانتداب ، وتحدثت عن الإيجابيات والفوائد التي سيجلبها الانتداب للبلاد . هذا في الوقت الذي اتسمت فيه تلك البيانات من جانب آخر بطابع القسوة والتهديد لكل من تسول له نفسه من أبناء الشعب السوري الوقوف ضد سياسة الانتداب والحكومة المتعاونة معه ، معلناً بذلك منهجه الدكتاتوري . ففي بيانه الصادر في الخامس من آب ١٩٢٠ ، ذكر مطالب الجنرال غورو وهي :

١- التصرف بسكة حديد رياق ابتغاء تسهيل النقليات .

٢- احتلال مدينة حلب احتلالاً عسكريًا كي لا تسقط بيد العدو .

٣- التصريح بقبول الانتداب الفرنسي باعتباره أمراً واقعاً .

٤- قبول تداول الورق السوري .

ليقول معلقاً بعد ذلك : "ولم تر الحكومة في ذلك ما يرمي إلى العبث باستقلال البلاد ، أو يشير إلى الحط من كرامة الأمة أو الهضم من حقوقها". ولأجل تنفيذ هذه السياسية طلب إلى رجال الأمن في البيان نفسه : "أن يسارعوا إلى الضرب على أيدي كل من يتصدى إلى العبث بالأمن ، والإقلاق بالراحة بيد من حديد" [٢].

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٧٣٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٧٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خطاب الدروبي بين يدي الجنرال غورو:

لم يترك الدروبي فرصة تمر دون استثمارها لتأييد الانتداب وإظهار حسناته ، ففي الوليمة التي أقامها هو وحكومته إكراماً للجنرال غورو بمناسبة زيارته لدمشق ، ألقى الدروبي خطاباً دلل فيه على مدى تأثره وإعجابه بالفكر السياسي الذي قامت عليه الثورة الفرنسية : "... إن تقاليد فرنسا الباهرة ، وماضيها المجيد وما صرح به زعماؤها منذ خاضت غمار الحرب ذوداً عن حوزة العدل ونصرة الحق على القوة، لا يغادر مجالاً للشك بان حكومتكم المبجلة لا ترغب كما ذكرتم استعمار سورية ، ولا تحاول استعبادها . وإنما تريد أن تعمل بمبادئها القويمة المأثورة عن إبطال ثورتها الكبرى ، الذين كتبوا حقوق الإنسان بدمائهم في تاريخ العالم ، وأن مؤتمر السلم الذي اختاركم للانتداب في هذه البلاد السورية ، إنما زاد في ضمانة حقوق الشعب السوري وصيانة حريته واحترام استقلاله . ولذلك فانتداب حكومتكم المعظمة لبلادنا ليس فيه ما نخشاه ، لان كرامتنا أصبحت مضمونة بصورة علنية.... ولقد كان رجال البلاد المتنورون على ثقة وطيدة بما لفرنسا من سلامة القصد، إلا أن أقلية صغيرة أكثرها غريب الدار كانت توسوس في صدور الجمهور كما لا يخفي عليكم ، بان فرنسا دولة مستعمرة وإنها تعمل على بسط ملكها من نفقة غيرها" [١] ولعله يقصد هنا الملك فيصل . وبعد فليس من قبيل الصدف أن تستقبل وزارة علاء الدين الدروبي، الجنرال غورو وتعلن تعاونها التام معه ، وان تتقدم موكبه عند دخوله دمشق كوكبة من الفرسان على رأسها نوري الشعلان شيخ قبيلة الرولة [٢] .

---

(١) المصدر السابق ص ٧٦ .

(٢) د. علي محافظة ، المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دفعت هذه المواقف الفكرية والعملية المؤيدة للانتداب بعلاء الدين الدروبي إلى أن يواجه نهايته بالحادثة المعروفة بحادثة خربة الغزالة [١].

وكذا كان الحال في جبل حوران "الدروز" فقد كان "**ليحيى الأطرش**" ، شيخ قرية عرى ، التي يعترف دروز جبل حوران لكبير آل الأطرش فيها بالزعامة ، صلاة مع السلطات الفرنسية ترجع إلى عام ١٩١٣ ، وعن طريقه توصلت إلى كسب الأعوان في الجبل فطالبوا ، عام ١٩١٩ بالانتداب الفرنسي . واختار الجنرال غورو حرسه الخاص من الدروز بمعرفة متعب الأطرش ، وتوثقت الصلات بين المفوضية السامية الفرنسية وقيادات الدروز الدينية والمدنية ، واختير سليم الأطرش، خليفة يحيى الأطرش ، حاكماً للجبل . وانعم عليه المفوض السامي بلقب أمير عند إنشاء دولة جبل الدروز المستقلة في الرابع والعشرين من تشرين أول ١٩٢٢[٢].

جاء في خطاب ألقاه سليم الأطرش ، في دار المفوضية العليا افصح فيه بشكل جلي عن الولاء للانتداب والتأييد له حيث قال : "حضرة صاحب الفخامة ، لي الشرف أن أبلغكم بصفتكم ممثلي الحكومة الفرنسية الفخيمة احترامـاتي القلبية بالأصالة عن نفسي وبالنيابة عن عموم سكان جبل الدروز الذين أمثلهم . ويسرني أن اعرض لديكم شدة تمسك الشعب الدرزي وثقته الخالصة بالحكومة الأفرنسية المظفرة ، وما لهم من المطامع والآمال بالمستقبل السعيد إن تناله بلادنا من الرقي والحضارة بمعاونة الدولة المنتدبة ومساعدتها . وإني حينما أضع يدي بيدكم لتقاضي عهود الولاء والمودة تأكدوا فخامتكم إن خمسين ألفاً من الدروز تصافحكم . وثق أن عدداً كهذا من الرجال الكاملي العدة والعدد هم على أتم الاستعداد للقيام عند اقل

---

(١) وتتلخص هذه الحادثة بأنه حين توجه علاء الدين الدروبي بالقطار مع بعض وزرائه إلى حوران، وحينما وصل القطار إلى خربة الغزالة في حوران، كان وجهاؤها قد تقدموا جمعاً حاشداً من أهالي حوران لانتظار وصول القطار. فظن علاء الدين الدروبي ومن معه أن هذا الجمع جاء لأجل استقبالهم ولكن ما أن توقف القطار حتى بدء الهجوم عليهم في حجرات القطار بإطلاق الرصاص ولقي علاء الدين الدروبي حتفه في هذه الحادثة. انظر تفاصيل هذه الحادثة في، محي الدين السفرجلاني تاريخ الثورة السورية، ص ٧٣ وما بعدها.

(٢) د. علي محافظة ، المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إشارة في سبيل إرادة الحكومة الأفرنسية . وحيّ الله الأمة الأفرنسية الكريمة رافعة لواء الحرية ومتعها بالنصر إلى الأبد" (١).

كان موقف أصحاب هذا الاتجاه قد وجد له سنداً في بعض الصحف السورية، التي وضعت نفسها هي الأخرى في المسار المؤيد للانتداب ، حين أخذت تشرح حسناته وتثني عليه . وتبين الفوائد التي ستجنيها البلاد جراء وقوعها تحت الانتداب. ومثال هذه الصحف جريدة "ألف باء" لصاحبها يوسف العيسى التي رأت أن الانتداب سيدفع بالبلاد قدماً نحو الديمقراطية فكتبت تحت عنوان "**التقاليد المتردمة**" : "إن اللبنانيين والسوريين قد اعتادوا على أن الوظائف العامة . والإدارة والرياسة ، إنما هي ارث لعائلات معينة وحكر عليها ، لا يستطيع أحد غيرهم أن يداينها . إلى أن جاء المندوب السامي ودفن طريقة الاختصاص والتعيين ، ودشن طريقة الانتخاب ، وأفهم الجميع أنه لا يوجد في العالم رجل لا يمكن الاستغناء عنه . إن التقاليد المتردمة لم تعد تصلح ، فلا عجب إذا قامت اليوم الدولة المنتدبة ودشنت أصول الديمقراطية دون أن يكون في عملها ما يدل على رفع ثقتها من أصدقائها" (٢).

وفي معرض تهيئتها للأجواء النفسية والسياسية لدى أبناء الشعب السوري للقناعة بالانتداب تقول الجريدة عشية زيارة غورو "**Gouroud**" للمرة الثانية لدمشق في ١٩٢٠/١٠/٢٤ : "نهار غد الأحد يدخل فخامة المندوب السامي الفرنساوي دمشق للمرة الثانية ، وقد لحظ القراء ولا شك أننا كلما أوجب الأمر لذكر اسم السيد الجنرال ، ندعوه بالمندوب السامي ، لاعتقادنا أن سورية متى ذكرت بعد سنين اسم

---

(١) سورية الجديدة ، العدد ٥٤٠ ، تاريخ ١٩٢١/٣/١٠.

(٢) جريدة ألف باء ، العدد ٣٠ ، تاريخ ١٩٢٠/١٠/٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غورو ، تذكر به الرجل الإداري لا الرجل العسكري ، لأنه سيترك في بلادنا من آثار الإصلاح ما تركه زميله ليوتي" **Lyauty** " في شمال أفريقيا . إن قلب الرجل لا يحمل حقداً ولا يحتفي بعداء ، ولا يسجل في مفكرته حوادث الماضي المكدرة: "... إن دمشق ستسير غداً في ركاب المندوب السامي ، فيقرا على وجوه مئات الألوف من أهلها آيات البشر والإخلاص ، ويرى قلوبهم محمولة على اكفهم تخاطبه بلا وسيط ولا ترجمان، وتعرض ما يلزمها وما يلزم مدينتها وما تطمع بالحصول عليه سورية بأجمعها . وهو سيقدر هذه الثقة وهذا الإخلاص حق قدرهما ويضمد كلوم الوطن" (١).

ولعل المتأمل في سطور وعبارات هذا المقال وكلماته ، يجد دون كبير عناء، كم هذه الجريدة تعمل جاهدة لإضفاء صورة حسنة على رجال الانتداب الفرنسي وعلى رأسهم غورو ، بما وصفتهم به من الصفات الإنسانية. رغم علمها -الجريدة- أن الصورة الأليمة للقتل والتدمير والاحتلال في ميسلون . لم تزل حية في أذهان الشعب السوري . والمتتبع لأعداد الجريدة يجد أنها لم تترك فرصة للإشادة بالانتداب، والحديث عن منجزاته التبشيرية .

لكن مما تجدر ملاحظته ، انه رغم اتجاه الجريدة هذا المؤيد للانتداب ، إلا انه لم يكن ليمنعها أن تنشر على صفحاتها بعض الآراء المعارضة للانتداب ، كقصيدة حليم موسى التي قال فيها (٢):

---

(١) جريدة ألف باء ، العدد ٤٦ ، تاريخ ١٩٢٠/١٠/٢٣ .

(٢) جريدة ألف باء ، العدد ٦٥٥ ، تاريخ ١٩٢٢/١١/٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويحكـــــم لا تبغضونـــــا عربـــــا

إنمـــــا اللـــــه احـــــب العربـــــا

يـــا بـــلادي أنـــت لـــي كـــل المنـــى

وبموتـــي فيـــك اقضـــي الأربـــا

غـــير أنـــي فـــي حيـــاتي بـــائس

ونصيبـــي فيـــك حـــظ الغربـــا

يشـــتكي قومـــي مـــن يـــوم إذا

مـــر خـــالوا مـــره عذبـــا

أنكـــروا الحـــاكم فيهـــم ســـيداً

فاتـــــاهم حاكمـــــاً منتدبـــــاً

فمتـــى يخـــرج فيهـــم مصطفـــى

يرغـــم الدهـــر إذا الدهـــر أبـــى

ليـــس يســـتندي الليـــالي حقـــه

إنمـــا يســـلبها مـــا سُـــلبا

جـــردوا الســـيف فكـــانوا جـــزراً

أوقـــدوا النـــار فكـــانوا الحطبـــا

وفي الاتجاه نفسه ، سارت جريدة سورية الجديدة ، وربما بصورة اعمق وأوسع في نشر المقالات والأفكار ، التي تتناول تحسين صورة الانتداب وضرورته.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا بل إن الأمر يتمادى بها حتى ترى طبيعة العلاقة فيما بين سورية والانتداب الفرنسي ، كعلاقة الطفل الذي ما زال بحاجة للرعاية والعناية بمن هو أكبر منه حتى ينمو ويكبر . فتحت عنوان "**نحن والانتداب**" ، وبعد شرحها المفصّل في مقدمته لتأكيد فكرة ، أن درجة الانتداب إنما تعتمد بالأصل على درجة رقي الأمة الموصى عليها تخلص للقول : "ولا شك بأننا اليوم كأطفال في بدء حياتنا ، لابد لنا من وصي يقودنا إلى سبيل الخير ، وينهض بنا من وهدة الذل : حتى نتمكن من الوقوف وحدنا كما تمكنت قبلنا اليونان ، وغيرها من الدول الصغيرة التي نشأت حديثاً ، فبرهنت على إدراكها وعهد إليها بأمرها ، فشروط الانتداب أذن تتوقف اليوم علينا اكثر مما تتوقف على الدولة المنتدبة . وعلينا أن ننظر إلى استعدادنا قبل أن ننظر إلى طول مدتها أو قصرها" (١).

إن مثل هذا الانبهار بالانتداب ، بان جعل من سورية وشعبها بمثابة الطفل القاصر أمام النضوج الفرنسي . إنما يكشف للباحث جملة إشارات تتجه جميعها نحو تأكيد القابلية للانتداب والشغف به .

وعلى غرار جريدة ألف باء التي استغلت زيارة غورو لدمشق فرصة سانحة للثناء على الانتداب والإطراء عليه ، فان جريدة سورية الجديدة لم تفوت هي الأخرى هذه الفرصة ، حيث قالت عقب الزيارة : "لم يكن الاستقبال الذي أقامه الدمشقيون بعد ظهر أمس لفخامة الجنرال ، سوى مرآة صافية تجلت عليها تلك العاطفة الجديدة بأجلى مظاهرها . لقد خرج جميع الدمشقيين على اختلاف مذاهبهم وطبقاتهم ليستقبلوا الزائر الكريم ويهتفوا له ... ليحيوا فرنسا بتحيتهم لممثلها الكبير

---

(١) سورية الجديدة ، ٤٣٢ ، ١٩٢٠/٩/١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في هذه البلاد. ليس هذا فقط يا فخامة الجنرال ، فقد كانت ليلة أمس من الليالي الزاهية التي أحييتها طرباً في شبيبة دمشق تحت أقواس الزينات المنصوبة ، ولم يكن في فرحهم شيء من التصنع والتظاهر" (١).

وهكذا تكون الصحافة قد لعبت دوراً بارزاً ، في تبني فكرة الاتجاه المؤيد للانتداب ، وشرح ما بدا لها من إيجابيات الانتداب . وهنا ينبغي الإشارة بالتأكيد على الدور الإعلامي المتقدم الذي كانت تمارسه الصحافة في التأثير على الجماهير بين وسائل الأخرى .

التيار الاستقلالي الرافض للانتداب :

لعله من المفيد هنا أن نستذكر الموقف الرافض للانتداب أثناء فترة الحكومة الفيصلية ١٩١٨-١٩٢٠ . لما لتلك الفترة من أهمية بما ألقته من ظلال فيما بعد على الفكر السياسي الرافض للانتداب . ففي ظل أجوائها المفعمة بروح الحرية والأمل بالمستقبل العربي الزاهر بقيادة سورية، نما الشعور بالوحدة والاستقلال.

تبنى ذلك تيار سياسي عريض رافض للانتداب ، بقيادة المؤتمر السوري العام ، والذي عبر عن رفضه للانتداب بأكثر من مناسبة . فكان مجيء اللجنة الأمريكية عام ١٩١٩ والمسماة "كنج كراين **King -Crane**" لتقصي الحقائق أولى هذه المناسبات . حيث اصدر المؤتمر بياناً وسلمة للجنة المذكورة ، أكد من خلاله مطالبته الواضحة والصريحة بالاستقلال التام لسورية، ورفضه القاطع للانتداب

---

(١) سورية الجديدة ، ٤٥٤ ، ١٩٢٠/١٠/٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خصوصاً الفرنسي منه ، وإن كان ولا بد ، فالمؤتمر يعتبر مسالة الانتداب الواردة في عهد جمعية الأمم عبارة عن مساعدة فنية واقتصادية لا تمس بالاستقلال السياسي التام . وحدد المؤتمر مطالبته هذه من الولايات المتحدة الأمريكية فان لم تتمكن من ذلك تكون هذه المساعدة من بريطانيا وبكلا الحالتين فإنها لا تزيد على عشرين عاما[١].

وبتفاعل الأزمة وتفاقمها بين الحكومة الفرنسية والحكومة الفيصلية في دمشق، كان المؤتمر السوري العام قد أصر على موقفة السياسي الرافض للانتداب. وحاول أن يستبق الأحداث التي وجدها تتسارع نحو فرض الانتداب ولو بالقوة العسكرية ، فما كان منه إزاء ذلك ، إلا أن أعلن الاستقلال في جلسته التي عقدها لهذه الغاية في السابع من آذار عام ١٩٢٠ . ويجد المتأمل في صيغة الإعلان انه جاء بعبارات قوية واضحة لا تحتمل أي معنى سوى الاستقلال التام ، والحفاظ عليه: "فنحن أعضاء المؤتمر رأينا بصفتنا الممثلين للامة السورية في جميع أنحاء القطر السوري تمثيلاً صحيحاً نتكلم بلسانها ونجهر بإرادتها ، وجوب الخروج من هذا الموقف الحرج استناداً على حقنا الطبيعي والشرعي في الحياة الحرة ، وعلى دماء شهدائنا المراقة وجهادنا المديد في هذا السبيل المقدس وعلى الوعود والعهود ، وعلى ما نشاهده كل يوم من عزم الأمة الثابت على المطالبة بحقها ووحدتها والوصول إلى ذلك بكل الوسائل . فأعلنا بإجماع الرأي استقلال بلادنا السورية بحدودها الطبيعية ومنها فلسطين استقلالاً تاما لا شائبة فيه ، وعلى الأساس المدني

---

(١) حسن الحكيم ، الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية ١٩١٥-١٩٤٦ ، دار صادر ، بيروت، ١٩٧٤ ، ص ٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النيابي وحفظ حقوق الأقلية ورفض مزاعم الصهيونيين في جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود" [١].

كما وأن الدستور الذي وضعه المؤتمر السوري العام ، كان بمثابة نقطة ارتكاز هامة للفكر السياسي الرافض للانتداب بعد زوال العهد الفيصلي . فقد جاءت مواد هذا الدستور بمضمونها ومحتواها العام ، معبرة عن حال دولة حرة مستقلة ، ذات كيان سياسي يملك إرادة نفسه ضمن حدوده السياسية ووحدته الوطنية [٢]. وكانت اللجنة المكلفة بوضع الدستور قد أصدرت من جهتها بياناً بخصوص الأسباب الموجبة لوضع الدستور ، تبين من خلاله التأكيد على حرية البلاد واستقلالها : "ليكون الدستور سلاحاً مدنياً تتقي به الأمة ، وهي في بداية استقلالها صدمات السياسة الاستعمارية ، التي يتذّرع دعاتها بوسائل واهية للاستئثار بالسلطة في بلادنا، تحت أسماء ، مختلفة كالوصاية والتدريب والانتداب والتهذيب أو الحماية وما شاكل ذلك . وليكون برهاناً جلياً لدى العالم المتمدن على أن السوري كما انه على جانب لا يستهان به من الرقي ، فهو على استعداد لان يخطو خطوات واسعة في سبيل إصلاح شؤونه وتنظيم إدارة بلاده بنفسه، من غير أن يحتاج إلى وصي أو ولي يقبض على زمام أموره ، ولا سيما قد جاهد الجهاد المجيد حتى رفع عن عاتقة نير الاستعباد ، وتاقت نفسه للحياة الحقيقية حياة الحرية والاستقلال [٣].

---

(١) المصدر السابق ص ١٤٢ .

(٢) د. خيرية قاسمية ، الحكومة العربية في دمشق ، ص ١١٠ .

(٣) حسن الحكيم، المصدر السابق، ص ٢١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبحلول الانتداب الفرنسي ، فان هذا التيار استطاع الحفاظ على نفسه وربما بصورة أوسع للاستمرار في الرفض والمقاومة ، عبر صور وأساليب متعددة ، لكنة لم يكن هذه المرة برعاية وقيادة مؤسسات الدولة ، كما هو الحال أثناء العهد الفيصلي، إنمّا كان من الطبيعي أن تتأهل الأحزاب والتنظيمات الشعبية والوطنية ، على اختلاف منطلقاتها الفكرية ومناهجها السياسية ، حيث القومي والإسلامي والوطني إلى غير ذلك من تيارات فكرية احتواها التيار العام الرافض للانتداب ، والذي ظهر من خلال عدة صور وأساليب كانت على النحو الآتي :

أولاً : النضال السياسي:

عرّف الدكتور عبد الرحمن الكيالي أحد ابرز زعماء الكتلة الوطنية ، النضال السياسي بأنه: "عمل يصدر عن الأفراد والجماعات المشتغلة في المسائل السياسية للوصول إلى غاية معينة ، تكون لمصلحة الحكومة أو الشعب أو الوطن أو لمصلحة جماعة ما ، سواء كانت هيئة قومية أم حزبياً سياسياً . وهو يقوم على أساسين : (١) المبادئ التي تبنى عليها الأعمال، (٢) الكيفية التي تسير عليها الأعمال[١] .

وفي الحقيقة أدرك التيار الاستقلالي ، بوقت مبكر قيمة النضال السياسي كصيغة عملية لمقاومة الانتداب والتصدي له ، وتحقيقاً لهذا، فان الفكر السياسي لهذا التيار كان قد دفع بالممارسة السياسية كي تسير باتجاهين اثنين ، الأول نحو فرنسا نفسها ، والآخر نحوا لعالم الخارجي ، ومؤسساته الدولية العالمية.

---

(١) د. عبد الرحمن الكيالي ، الجهاد السياسي ، حلب ، المكتبة العصرية ومطبعتها ، ص ١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولاً: النضال السياسي باتجاه فرنسا :

بدأ النضال السياسي يأخذ مجراه بهذا الاتجاه منذ عهد الجنرال غورو ، وإن بدا خلال ذلك العهد غير محدد ببرامج أو مؤطر بأهداف متكاملة . يتضح هذا من الرسالة التي بعث بها سلطان الأطرش إلى الجنرال غورو ، يطلب فيها إطلاق سراح أدهم خنجر ، وهو الشاب الذي قام بمحاولة لاغتيال غورو ، جاء في الرسالة: "مع الأسف لم يراع البند القائل أن فرنسا تحافظ على تقاليدنا وعوائدنا ، ومعلوم أن الضيف والقاصد هما في نظر عشائرنا واحد ، فرجال حكومتنا لم يراعوا هذا البند ، وسعادة المستشار "ترانكا" يؤيد إصراره . اطلب من حلمكم وعدلكم أن لا تجعلني مضغة في أفواه العرب ، وأن أتخصص بالإهانة عن أمثالي في سورية، وبعد هذا تروني اعترف بحكمكم ويقضي الواجب أداء الشكر لفخامتكم . غير مجهول أن موتي وإهانة ضيفي سيان في عوائد السوريين ، الرجل يطلب مني أن أتوسط له، عفواً من فخامتكم حلمكم إنقاذاً لشرفي ووطني" (١).

اظهر سلطان الأطرش بهذه الرسالة مرونة دبلوماسية واضحة ، في سبيل إجابة طلبة بإطلاق أدهم خنجر ، فهو لا يجد لديه مانعاً من الإطراء والثناء على حلم وعدل غورو ، بل يذهب إلى حد الاعتراف بحكم الانتداب . ليضمّن الرسالة مدى الخطورة المعنوية التي ستلحق به بسبب أنه لم يستطيع الحفاظ على من استجار واحتمى به .

"الدكتور عبد الرحمن الشهبندر" ، والذي كان يمثل زعامة سياسية متقدمة في البلاد إبان السنوات الأولى للانتداب ، مارس هو الأخر النضال السياسي من خلال

---

(١) محي الدين السفرجلاني ، تاريخ الثورة السورية ، ص ١١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرسائل أيضاً . فبينما كانت الثورة السورية في أوج اشتعالها ، انتهزها فرصة كي يوجه لوزارة الخارجية الفرنسية رسالة مطولة ، بين فيها أن العناصر الوطنية التي التفت حول حزب الشعب ، إنما كانت تطمح بالوصول بالبلاد إلى حقوقها المشروعة عبر الوسائل السياسية السلمية . لكن الأساليب الاستعمارية والوحشية ، التي مارسها رجال الانتداب قد دفعت بانفجار الثورة . ويؤكد الشهبندر أن هذه الأساليب الاستعمارية إنما ارتكزت في الأساس على قواعد سياسة الانتداب والتي رآها متمثلة فيما يلي :

١- جمع كل أنواع السلطة في يد المفوض السامي.

٢- خنق كل الأفكار الحرة .

٣- استغلال البلاد وأهلها من غير إبقاء على شيء .

واختتم رسالته بعبارة دعا فيها حكومة فرنسا أن تعمل بسياسة التفاهم ، لما لذلك من نفع للطرفين الفرنسي والسوري على حد سواء. يقول الشهبندر : "إن فرنسا لم تحافظ على نفوذها في هذه البقعة من الشرق بقوة السلاح ، وإنما تستطيع أن تفعل ذلك بانتهاجها سياسة المسالمة واعترافها بحقوق سورية المشروعة. وأستطيع أن أؤكد لكم أن أكثرية الشعب السوري العربي ، على استعداد للتفاهم مع فرنسا على قاعدة سيادة سورية القومية مع المحافظة على مصالح الفرنسيين وتفضلوا بالختام بقبول فائق احترامي" (١).

---

(١) محي الدين السفرجلاني ، تاريخ الثورة السورية ، ص ١٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سياسة اللقاءات والمفاوضات :

ما زال النضال السياسي يبحث لنفسه عن كل الوسائل الممكنة لأجل الوصول بالبلاد إلى حقوقها المشروعة في الاستقلال والوحدة . وفي الثاني والعشرين من كانون أول ١٩٢٤ ، وصل الجنرال العلماني" ساراي" **Sarail** إلى بيروت كمفوض سام جديد بدل الجنرال "فيغان" "**Weygand**" بناء على قرار الحكومة الفرنسية . وحاول هذا المفوض الجديد أن يظهر بمظهر السياسي البعيد عن العنف والمتفهم لظروف الشعب والبلاد وحقوقها . فأصدر في الخامس عشر من كانون ثاني ١٩٢٥ بلاغاً يقضي بإلغاء الأحكام العرفية ، وبالعفو عن خمسين محكوماً من الذين حكمتهم المحاكم الفرنسية العسكرية . وفي البلاغ نفسه أكد انه على استعداد لسماع الشكاوى من أي كان [١].

وباستجابة فورية لهذه المعطيات السياسية الجديدة تشكل وفد من رجال السياسة في دمشق لمقابلة المفوض السامي الجديد، والبحث معه حول مستقبل البلاد وظروفها بناء على ما أظهره من ميل في سياسة التفاهم والحوار . فكان أن وصل الوفد بيروت في السابع عشر من الشهر نفسه ، حاملاً معه عريضة للمفوض السامي موقعة بتواقيع العديد من رجالات دمشق ووجهائها . وكان أن احتوت هذه العريضة على ثلاثة عشر مطلباً للبلاد في السياسة والاقتصاد والاجتماع . وقد جاء في المطالب السياسية "نحن الموقعين أدناه من مختلف طبقات الشعب السوري العربي قد أنبنا عنا الوفد الحامل لهذه المطالب ليبلغها إلى المفوض السامي للجمهورية الفرنسية وليعرب له عن أماني الأمة التي تطلب تحقيقها وهي :

---

(١) نجيب الارمنازي ، سورية من الاحتلال حتى الجلاء ، ص ١١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١- نطلب أن تكون البلاد السورية بحدودها الطبيعية التي كانت عليها قبل الحرب العالمية بما فيها بلاد العلويين وجبل الدروز ولواء الإسكندرون والأراضي الملحقة بلبنان الصغير وطنا واحداً في اللغة والقومية .

٢- دعوة الجمعية التأسيسية ، وأن تنتخب انتخاباً حرّاً لتضع للبلاد قانونها الأساسي، وحل المجالس التمثيلية الحالية لأنها لا تنطبق على القواعد النيابية ، وحصر حق التشريع بالمجلس النيابي وإلغاء القوانين الاستثنائية الصادرة بشكل قرارات إفراديه .

٣- لما كانت سورية بلاداً معترفاً باستقلالها في العهود الدولية ، فنطلب تأييد قاعدة مسئولية الحكومة أمام البرلمان وإلغاء الإدارة العسكرية ومنع تدخل المستشارين الفرنسيين حتى في الأمور الجزئية .

٤- الحرية الشخصية حق طبيعي لكل فرد ، وهي مقدسة في نظر الشرائع العامة في جميع البلاد المتمدنة ، فليس ما يبرر عمل السلطة في تضيق نطاق هذه الحرية ، ولذلك نطلب احترام الحرية الشخصية بجميع أنواعها لأنها من الحقوق المقدسة .

٥- بما أن السلطات السابقة اعتقلت بعض الوطنيين وأبعدت آخرين بلا محاكمة أو إثبات استناداً إلى وشاية الجواسيس الذين يصمون الوطنيين بأنهم صنيعه الدول الأجنبية ، فنطلب وضع حد لهذه الأعمال المنافية للقوانين ، وإصدار عفو عام عن جميع المحكومين والمبعدين السياسيين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد أن جلس الوفد إلى المفوض السامي قال لهم : "يظهر لي أنكم تمثلون طبقات الشعب المختلفة وأراني سعيداً جداً بالتحدث إليكم فاعتقد أن لكم ثقة بي فآمل أن نتحد معاً على العمل لتحقيق المطالب التي تريدونها .

وإذا كان ما اتصل بي صحيحاً من المعلومات فإنكم تمثلون الفكر النير والعقيدة الحرة واعتقد أنكم تتمكنون من مساعدتي على جعل الثمرة ناضجة في بلادكم". وعندما دار البحث عن الوحدة أجابهم : "إن الوحدة في يدكم فاتحدوا بعضاً مع بعض عليها ثم طالبوني بتطبيقها" . فأجابوه أن الوفود بأسرها مجمعة على طلب تحقيقها ، وما عليه حتى يطمئن من قولهم إلا أن يقوم باستفتاء يؤكد له ما يقولون . فأعاد قوله : "وحدوا الصفوف أولاً وبعدئذٍ لكل حادث حديث"[١] .

وقد تألف في الوقت نفسه وفد من حلب للغرض ذاته برئاسة إحسان الجابري، وعندما وصل الوفد إلى بيروت وقابل المفوض السامي قدّموا إليه مطالبهم التي لا تختلف عما طلبته دمشق وجرت بين هذا الوفد وبين المفوض السامي مناقشات أكد لهم فيها أقواله لوفد دمشق .

مر الوفد الحلبي بدمشق وقد قضى فيها أياماً اتصل خلالها برجال دمشق وسياسييها ، واجمع الكل على وجوب توحيد العمل ، وعاد الوفد إلى حلب بعد أن أذاع البيان الآتي :

---

(١) محي الدين السفرجلاني ، تاريخ الثورة السورية ، ص ١٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"إن الوفد الحلبي لم يجذبه إلى دمشق عاصمة الأمويين ومصدر روح القومية والاستقلال، إلا توحيد العمل لتحقيق آمال الأمة وتنظيم الصفوف، كما طلب الجنرال ساراي. وقد لاقى في مقدمه كل حفاوة تجلى فيها عطف إخوانه رجال الوطنية. ثم اطلع على أعمالهم السديدة واتحد وإياهم في الفكرة والعمل فهو يحمل كل بشارة تقوي العزم ويهدي من أعماق قلبه الشكر إلى من جمع الكلمة ورفع شأن الشباب الناهض والمبادئ المقدسة"[١] .

النضال السياسي من خلال البرلمان:

استطاع الوطنيون- والذين مثلتهم الكتلة الوطنية فيما بعد - أن يقودوا العمل والنضال السياسي في البلاد ، منذ نهايات ١٩٢٧ بعد أن عقدوا مؤتمرهم في بيروت[٢].

ورأوا في النضال السياسي من خلال البرلمان وسيلة فعالة للعمل على تحقيق مطالب البلاد في الاستقلال والوحدة . وقرروا دخول مجلس النواب بناء على تصريح المفوض السامي "بونسوت" "Ponsot" في الخامس عشر من شباط ١٩٢٨ الذي وجه الدعوة لأجراء انتخابات لتأليف "جمعية تتولى سن الدستور بالحرية التامة على شرط التقيد بالصكوك والعهود التي تحدد حقوق فرنسا ومسؤولياتها" [٣].

---

(١) محي الدين السفرجلاني ، المصدر نفسه ، ص ١٢١.

(٢) محمد حرب فرزات ، تاريخ الأحزاب في سورية، ص ١٢٢.

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٢٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحاول بيان الوطنيين الذي أصدروه بناءً على هذا التصريح أن يأتي بالمبررات والحجج الداعمة لموقفهم بدخول مجلس النواب . جاء في البيان بعد استعراض للظروف التي مرت بالبلاد خلال السنوات الثماني التي خلت من الانتداب: "وبناء على ما تقدم رأينا من الواجب النظر فيه انه مملوء بالوعود ، برغم ما في الموقف من غموض وإبهام لا يأتلفان مع السخاء والحرية اللذين صرح بهما المفوض السامي في بيانه ، وبرغم أن الأوضاع الحاضرة ليست في حالة تبعث على الاطمئنان بسلامة الانتخابات ... معتبرين أن هذا المجلس إنما ينعقد لوضع دستور البلاد ومسجلين على فخامة المفوض السامي تصريحه الواضح بان الجمعية التي ستنشأ عن هذا الانتخاب لسن دستور البلاد النهائي بكمال الحرية المطلقة وأن الانتخابات ستجري في جو يضمن لكافة الأحزاب حرية الاقتراع والتصويت ، ورأينا أن الانتخاب حق سياسي تمارسه الأمم لتظهر إرادتها في تقرير شئونها الداخلية والخارجية ، فاستعمال هذا الحق لا يبطل الحقوق الأخرى ولا يناقض الميثاق القومي ولا يضعف من قوة المطالبة بتحقيقه تامّاً كاملاً ، وقررنا [١].

ووقع هذا البيان زعماء الكتلة الوطنية وهم "هاشم الأتاسي ، إبراهيم هنانو ، فارس الخوري ، الدكتور عبد الرحمن الكيالي ، حسني البرازي ، سعد الله الجابري، عفيف الصلح ، إحسان الشريف ، وصفي الأتاسي ، صلاح الدين الباقي ،

---

(١) ذوقان قرقوط ، المشرق العربي في مواجهة الاستعمار ، ص ٣٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مظهـــر رســـلان ، فـــوزي الغـــزي ، احمـــد اللحـــام ، لطفـــي الحفـــار ، شكري الجندي" (١).

هذا وليؤكد عبد الرحمن الكيالي علاوة على ما جاء في البيان من دوافع للمشاركة في الانتخابات باعتباره المشاركة : "واجباً وطنياً لا بد منه للدفاع عن حقوق البلاد" (٢).

اصطدم طموح الوطنين هذا وآمالهم منذ البداية بالنكث بالوعود والعهود التي قطعها المفوض السامي . فقد جرت الانتخابات في موعدها المعين في العشرين من كانون الأول ١٩٣١ للدرجة الأولى . لكنها جرت في ظل القوة الفرنسية الغاشمة واضطهاد الشعب وإرهاقه ومنع الاجتماعات لتعمل السلطة بعد ذلك على تزوير الانتخابات ونتائجها . وفاز النواب الموالون للسلطة الفرنسية في حلب . وفازت الكتلة الوطنية بسبعة عشر نائباً أكثرهم من نواب دمشق وحمص وحماه (٣).

اجتمع المجلس النيابي بتاريخ السابع من حزيران ١٩٣٢ ، على الرغم من أن الشعب لم يعترف به ، وكانت المظاهرات تعم البلاد احتجاجاً على كبت الحريات وتزوير إرادة الشعب (٤).

---

(١) عبد الرحمن الكيالي ، المراحل ، الجزء الأول ، ص ٦٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٩٠ .

(٣) علي رضا، قصة الكفاح الوطني في سورية عسكرياً وسياسياً، حلب١٩٧٧، بدون تحديد دار النشر ص٣٠٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٠٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وزارة التفاهم النزيه :

أطلق الدكتور عبد الرحمن الكيالي على الوزارة التي اشترك فيها اثنان من الوطنين ، اسم "وزارة التفاهم النزيه" [١]. فقد شكل حقي العظم وزارة جديدة في الرابع عشر من حزيران ١٩٣٢ أي بعد انعقاد مجلس النواب بأسبوع واحد واستلم فيها جميل مردم وزارتي المالية والزراعة ، في حين استلم مظهر رسلان وزارتي المعارف والعدلية[٢] .

والذي يبدو واضحاً أن دخول هذين الوزيرين الوزارة ، إنما كان بناءً على رأيهما الشخصي ولم يكن وفق قرار جماعي ، يتبين هذا مما أشار له الكيالي نفسه : "ومع كل ما عمله جميل مردم ، لم تكن الكتلة الوطنية راضية عن سياسته ، ولا عن إجراءاته ، ولعلمها بأنه عاجز عن أن يحقق كل ما تنتظره الأمة ، فإنها لم تتخذ تجاهه وتجاه رفيقة مظهر رسلان خطة عدائية ، لتحرج موقفها ، بل انتظرت حتى تنتهي التجربة التي خاطرا بها وحذرناهما من عواقبها"[٣] .

في التاسع عشر من نيسان ١٩٣٣ ، قدم جميل مردم ومظهر رسلان استقالتهما إلى رئيس الجمهورية [٤]. ومع اعتراف رجال الكتلة الوطنية بان الوزيرين لم يذكرا سبباً وطنياً دفعهما لتقديم الاستقالة ، إلا أن الكتلة الوطنية حاولت عبر بيان لها أن تتخذ منها أي – الاستقالة – موقفاً وطنيّاً . كان هذا فيما أبدت أوساط حزبية أخرى تحفظها على موقف الكتلة الوطنية . لتؤكد أن سبب الاستقالة

---

(١) عبد الرحمن الكيالي ، المراحل ، الجزء الثالث ، ص ١٧٩.

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٧٩.

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٧٩.

(٤) جريدة الجامعة العربية ، العدد ١٠٥٧ ، تاريخ ١٩٣٣/٤/٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شخصي ، ولا علاقة له بالوطن والوطنية ، وكان هذا ما حمله بيان شباب الوحدة العربية [١].

وبهذه المشاركة سواء بالمجلس الضعيف أو بالوزارة الأضعف ، يكون النضال السياسي الذي قادته الكتلة الوطنية قد نزل إلى أرض الواقع عاملاً بذلك على إيجاد نقاط الاختلاف وأثارتها في الرأي السياسي والمنبثق أصلاً عن تصور في الفكر السياسي بإطاره العام . بدا هذا الاختلاف والتغاير في الآراء السياسية عند رجال الكتلة وزعمائها. ففي الوقت الذي اظهر فيه زعيم الكتلة الوطنية إبراهيم هنانو سخطه على المجلس النيابي والطريقة التي جاء بها . فقد كان خطابه الذي ألقاه في التاسع والعشرين من تموز ١٩٣٢ في حلب بمناسبة ذكرى المولد النبوي ، معبراً عن موقفه من مجلس النواب حين قال: "إن هذا الشكل الحاضر الذي أرادوا إتحافنا به من مجلس نيابي وتوليد حكومة ، فأنا اعلم وانتم تعلمون أن هذا المجلس ليس له صفة تمثلنا، والعهد ليس ببعيد حيث سفكت دماء الشباب والتلاميذ، هذا المجلس لا يمثل غير القوة التي انتخبته. نحن الآن نعترف أن الوضع الحاضر في هذه البلاد هو غير شرعي، والمجلس يجب تهديمه، فان كنتم تحترمون أنفسكم وحقوقكم يجب عليكم إلا ترضخوا لمن اعتدى عليكم وعلى كرامتكم ، وإلا تقبلوا بمجلس لا يمثلكم ونحن ساعون لتهديم هذا المجلس النيابي المزيف مهما كلفنا الأمر"[٢].

وفي مقابل هذا الموقف نجد الدكتور عبد الرحمن الكيالي ، حاول أن يخفف من شدة الهجمة على مشاركة الوطنيين بالمجلس حين رأى انهم أحرزوا بعض

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) علي رضا ، قصة الكفاح الوطني ، ص ١٨٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المكتسبات : "أما الفوائد التي جناها الوطنيون ، مع انهم لم يكونوا الأكثرية ، ولا تمكنت مدينة الشهباء أن ترسل من تريده من المرشحين الوطنين ، فمنها : تمركز المعارضة ، ونشاط حركة المقاومة ، وتكون الزعامة ، وتقوية العقيدة ، لان الانكسار في معارك الجهاد ، من طبيعته إثارة الهمم وإذكاء الحمية ، وقدح زناد الفكر لفتق الحيل . وهو يبعث روح العمل ويزيد المناعة لتحمل الألم ، ويملا نفوس المجاهدين نفرة وكراهة للأجنبي وأعماله ، وكل ذلك ضروري بالنسبة للامة لأنه في الحقيقة من مقومات الجهاد وخليق بأي أمة كانت ، متى نشا فيها حب الوطن وكراهة الأجنبي والتضحية في سبيل الاستقلال ، أن تنال مبتغاها مهما طال الزمن"(١).

المعاهدة الفرنسية السورية عام ١٩٣٦ :

بعد النتيجة التي انتهت إليها الثورة السورية الكبرى تاركة الإحباط يملأ النفوس ويسطر عليها ، اصبح من الضروري لدى قادة العمل السياسي أن يعملوا على توسيع خط النضال السياسي وفتح الآفاق أمامه. وكانت بداية هذا التوجه، المؤتمر الذي عقده الوطنيون في بيروت في التاسع عشر من تشرين أول ١٩٢٧ لدراسة بيان المفوض السامي الجديد "بونسو" الصادر في السابع والعشرين من تموز من العام نفسه ، وكان هذا المؤتمر نهاية لمرحلة الكفاح المسلح وبداية لمرحلة النضال السلمي التي استمرت حتى حصول سورية على الاستقلال عام ١٩٤٦، كان من جملة المطالب التي حددها بيان المؤتمر إبرام معاهدة مع فرنسا.. ويلاحظ أن البيان صيغ بروح التساهل والرغبة في التعاون مع سلطات الانتداب، فقد جاء فيه:

---

(١) د. عبد الرحمن الكيالي ، المراحل ، الجزء الثالث ، ص ١٧٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"تتهموننا بأننا أعدائكم وان مصالح الانتداب مهددة مع إنكم أدرى الناس بالأمر الواقع بنياتنا الحسنة...إننا ليس أعداء فرنسا التي عرفناها بعلمها وحريتها ومدنيتها وثقافتها...إن الشعب السوري مستعد لمد يد الصداقة والمصافحة ونسيان الماضي المؤلم كلما وجد تحقيقاً بأمانيه ولسيادته الوطنية" (١). وكان إقدام الوطنيين على المشاركة في انتخابات المجلس النيابي أملاً منهم بإمكانية عقد معاهدة مع الحكومة الفرنسية تضمن استقلال البلاد ووحدتها، على غرار المعاهدة العراقية-البريطانية- لعام ١٩٣٠. كان هذا ما صرح به هاشم الأتاسي في الثاني من تشرين ثاني ١٩٣٢(٢).

وانطلاقاً من هذه القناعات كانت الكتلة الوطنية رفعت شعار سياسة التفاهم النزيه ساعية من خلاله لعقد معاهدة مع فرنسا . وما زالت الكتلة تعمل في هذا الاتجاه في ظل التسلط الفرنسي حتى بلغت حركة النضال في البلاد في مطلع عام ١٩٣٦ ذروتها في الشدة في سبيل الاستقلال والوحدة وبعد إن استمر إضراب دمشق خمسون يوماً احتجاجاً على أعمال العنف التي تقوم بها فرنسا، لم يجد المفوض السامي الفرنسي بدا من مفاوضة الوطنيين من اجل عقد معاهدة مع سورية ، فألف وزارة برئاسة عطا الأيوبي لتقوم بمهمة الوساطة بين سلطة الانتداب والوطنيين. كان من نتيجة هذه الوساطة أن وقع في بيروت اتفاقاً مع هاشم الأتاسي رئيس الكتلة الوطنية ينص على موافقة الحكومة الفرنسية على استقبال وفد رسمي للمفاوضة ، وقد تألف الوفد من : هاشم الأتاسي وفارس الخوري وجميل مردم بك وسعد الله الجابري عن الكتلة الوطنية ، والوزيرين مصطفى الشهابي وأدمون حمصي، وقد أضيف إليهم نعيم الأنطاكي كسكرتير واحمد اللحام كخبير عسكري ، وسافر الوفد

---

(١) أمين سعيد ، الثورة العربية الكبرى ، الجزر الثالث ، ص ٥٢٧ ، وما بعدها . وكذلك د. علي محافظة، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية ، ص ١٣٥ .

(٢) علي رضا ، قصة الكفاح الوطني ، ص ٣١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في الحادي والعشرين من آذار عام ١٩٣٦ إلى باريس ومكث فيها إلى شهر أيلول ١٩٣٦ حيث وقع في اليوم التاسع منه على المعاهدة [١]. وقد احتوت المعاهدة تسعة مواد واتفاقية عسكرية والحق بها بروتوكولات ومراسلات . وبهذا توج أصحاب هذا الاتجاه من الوطنيين جهودهم بإبرامهم لهذه المعاهدة مع فرنسا . التي رآها فارس الخوري أحد أعضاء الوفد أنها معجزة القرن العشرين [٢] . واخذ يشرح إيجابيات هذه المعاهدة ويؤكد وطنيتها [٣].

احدث توقيع المعاهدة مواقف متناقضة ومتغايرة بين المفكرين السياسيين ، فمنهم المؤيد ومنهم الرافض . ففي الوقت الذي بعث فيه الحزب الشيوعي رسالة تأييد إلى الكتلة الوطنية بتوقيعها للمعاهدة وداعماً لموقف الكتلة هذا ، حيث أكدت الرسالة على سلامة ما توصلت إليه المعاهدة بتحقيق أماني البلاد في الاستقلال والوحدة . وما جاء في الرسالة ، بعد توجيه التحية والاحترام لسكرتير الكتلة الوطنية عفيف الصلح قولها : "لا يخفاكم إن عقد المعاهدة السورية الفرنسية ، وتأليف الحكومة الوطنية كانا ضربة قاسية على الموظفين الإفرنسيين الفاشيست الموجودين في سورية ، وعلى امتيازاتهم وسيطرتهم المطلقة ومطامعهم الاستعمارية والشخصية"، وهكذا استمرت الرسالة في طعنها للفاشستيين حتى نهايتها والتي وقعها خالد بكداش . وفي الحقيقة كشفت هذه الرسالة أن الحزب الشيوعي وجد في توقيع المعاهدة فرصة للتحالف مع الكتلة الوطنية ولتحريض الحكومة الفرنسية ضد الفاشستية ، فكان مما طلبته من الكتلة الوطنية "القيام بمساع مشتركة هنا ، وحكومة

---

(١) دليل الجمهورية السوري ، يصدر سنوياً عن جريدة الأخبار والنظام بدمشق ، ١٩٣٩-١٩٤٠ ، مطبعة ألف باء ، دمشق .

(٢) خالد العظم ، مذكرات خالد العظم ، الجزء الثالث ، ص ٣٨ .

(٣) انظر تفصيل ذلك في أنور العش ، في كتابه في طريق الحرية من ذهاب الوفد إلى باريس حتى تصديق المعاهدة ، الجزء الثاني ، ص ١٢٧ - ١٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"بلوم" بوزارة الخارجية الفرنسية في باريس بتنظيف جهاز الإدارة الفرنسية في بلادنا من الموظفين الفاشيست واستبدالهم بعناصر مخلصة للعهد الجديد تتعاون بنزاهة مع الحكومة الوطنية لاجتياز دور الانتقال بسلام"(١).

عصبة العمل القومي ، كانت هي الأخرى قد دعمت الوفد المفاوض في باريس وأيدت مسعاه وهو ما زال في مرحلة المفاوضات . ففي خطاب له قال صبري العسلي أحد رجالات العصبة وقادتها بعد إن تناول الظروف الصعبة التي كانت البلاد تعيشها: "على ضوء هذه الحقائق الراهنة ونورها ذهب وفد الأمة الأمين ليعالج مع الفرنسيس القضية الوطنية ، وحدة واستقلالاً وعلى أساس تعاقد واضح صريح . نعم يريد الوفد تعاقداً مع فرنسا نكون معه مستقلين" (٢) .

أما عن خط المعارضة والذي تزعمه الدكتور عبد الرحمن الشهبندر فانه رأى إن هذه المعاهدة أضاعت الحقوق الوطنية في الاستقلال والوحدة ، فهو يقول بهذا الصدد : "إن اضعف المعاهدات التي عقدت أخيراً بين بعض البلدان في العالم العربي وبين أوروبا سواءً أفي النص أم التطبيق هي المعاهدة الفرنسية السورية، وقد زاد في البلاء المتولد عنها إن السيد جميل مردم بك رئيس وزراء سورية نفسه افرط في الثناء عليها عقيب إمضاءها حتى قال عنها إنها عروس الشرق ، وقال زميل له لم يبق لنا بعد الحصول عليها إلا إن تسلم لنا فرنسا بمرسيليا ... إن المعاهدة السورية الفرنسية ضربة قاسية في حد ذاتها لم يبق أحد من أهل النظر إلا عرف شرها المستطير والخطر الجسيم المنبعث عنها . وحسبنا إن نتذكر ما أصابنا

---

(١) انظر سجل رقم ٥ /٣٧/٤ ، القسم الخاص ، الأحزاب ، الحزب الشيوعي السوري بمركز الوثائق التاريخية بدمشق .

(٢) أنور العش ، في طريق الحرية ، الجزء الثاني ، ص ٤٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منها من الكوارث المباشرة وغير المباشرة منها لتقدير أضرارها ، فإذا أضفنا إليها هذه المهالك الجديدة أيقنا إنها أصبحت ضربة قاضية ، قد حصل التوسع الفرنسي بواسطتها على جميع مراميه القريبة والبعيدة ، فمثل هذه الحال حملتني وأنا في باريس على الابتعاد عن مقابلة السيد جميل مردم بك ، لا احتقاراً لشخصه الكريم بل خشية إن يظن أحد من ذوي الشأن من الأجانب إنني شريك له في اندفاعه واستسلامه بما لا يتفق مع الكرامة الوطنية" (١).

الجبهة الوطنية المتحدة كانت أبدت موقفها منذ سفر الوفد إلى باريس رابطة تأييدها ورفضها للمعاهدة بناءً على النتائج التي يتوصل إليها الوفد فتحت عنوان : **كلمة الجبهة الوطنية المتحدة عن أسس المعاهدة المنتظرة** قالت: وإننا بمناسبة عزم الوفد على السفر إلى فرنسا نصرح بان كل حل يكون ضامناً للاستقلال والسيادة والوحدة الشاملة للساحل والداخل ومعاهدة لا تمس هذه الأسس فان ذلك الحل يلاقي بلا ريب تأييداً من جميع الأوساط والطبقات كما إن كل حل ينافي هذه الأسس فان الأمة لا تقره ولا هو يقيدها بشيء ولا هو ملزم لها بأي حال كان (٢).

لكن ما هو الموقف الشعبي العام من المعاهدة ؟ كان الاستقبال الحافل الذي استقبل فيه الوفد المفاوض بعد عودته من باريس حيث استقبل استقبال الفاتحين قد عبر عن مدى التأييد الشعبي العارم للمعاهدة ولوفدها المفاوض رغم إن الشعب لم

---

(١) حسن الحكيم ، عبد الرحمن الشهبندر ، حياة وجهاده ، ص ٢١٤ .

(٢) انظر ملف رقم (٧) منظمات شباب الاتحاد الوطني . وثيقة مكتوبة بخط اليد ، بمركز الوثائق التاريخية بدمشق. لكن لم نعثر على أية إشارة لموقف الجبهة بعد توقيع المعاهدة سواءً بالتأييد أو الرفض .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يكن يعرف ما تتضمنه تماماً إذ أن نصوصها الرسمية لم تنشر إلا في نهاية تشرين الأول بعد إن تهيأ الشعب لقبولها [١].

ثانياً: النضال السياسي من خلال عصبة الأمم:

حاول رجال الفكر والسياسة الضغط على فرنسا من خلال عصبة الأمم ، مدللّين بذلك على إدراكهم لأهمية الرأي العام العالمي ، والدور الذي تضطلع به هذه المنظمة العالمية .

كان حزب الاتحاد السوري ، برئاسة الأمير ميشيل لطف الله ، أول من بادر لمثل هذا الأمر ، حيث وجه دعوة إلى عقد مؤتمر عام في جنيف ، يضم كل العناصر السياسية والأحزاب والجماعات على اختلافها داخل البلاد وخارجها، والذي أطلق عليه -المؤتمر السوري الفلسطيني- وذلك في السادس والعشرين من شهر شباط ١٩٢١.[٢] وما لبثت اللجنة التي شكلها الحزب للإعداد للمؤتمر برئاسة توفيق اليازجي ، أن تتشكل حتى قررت تأجيل المؤتمر إلى أوائل أيلول ١٩٢١ بغاية مزامنة انعقاد الهيئة العامة لعصبة الأمم . لما لذلك من مجال في التأثير على أعضاء هذه المنظمة ، وإبراز المطالب السورية في الاستقلال والحرية والوحدة .

بدا المؤتمر أعماله في السابع والعشرين من آب ١٩٢١ واستمر حتى الحادي والعشرين من أيلول ١٩٢١. وكان المؤتمر قد انتخب الأمير ميشيل لطف الله رئيساً له ورشيد رضا وتوفيق حماد وكيلي رئيس، والأمير شكيب أرسلان سكرتيراً

---

(١) محمد حرب فرزات ، تاريخ الأحزاب في سورية ، ص ١٣٥ .

(٢) محي الدين السفرجلاني ، تاريخ الثورة السورية ، ص ١١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عاماً[١]. وفي الجلسة الختامية ، اصدر المؤتمر بياناً باللغة الفرنسية ، قدمه إلى اللجنة المختصة في عصبة الأمم ، والى أعضاء المنظمة أكد على المطالبة بحقوق البلاد الأساسية والتي رآها المؤتمر متمثلة فيما يلي[٢]:

١- الاعتراف بالاستقلال والسلطان القومي لسورية ولبنان وفلسطين .

٢- الاعتراف بحق هذه البلاد في أن تتحد معاً بحكومة مدنية مسؤولة أمام مجلس نيابي ينتخبه الشعب وأن تتحد مع باقي البلاد العربية المستقلة في شكل ولايات متحدة .

٣- إعلان إلغاء الانتداب حالاً .

٤- جلاء الجنود الفرنسية والإنكليزية عن سورية ولبنان وفلسطين .

٥- إلغاء تصريح وعد بلفور المتعلق بوطن قومي لليهود في فلسطين .

وفي حفل التأبين الذي إقامته الكتلة الوطنية ، بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاة الزعيم إبراهيم هنانو . والذي توفي في تشرين ثاني ١٩٣٥ ، ابرق المجتمعون وهم يمثلون غالبية الأطياف والاتجاهات السياسية ، إلى عصبة الأمم برقية جاء فيها : "إن المؤتمر الوطني السوري ، المنعقد اليوم في دمشق ، يرفع احتجاجه الصارخ إلى جمعية الأمم ، على الحالة السيئة التي يقاسيها القطر السوري، تحت نظام الانتداب المفروض عليه ، ويعتبر أن التدابير العظيمة التي تتخذها هذه الجمعية للمحافظة على استقلال الحبشة ، يحق لسورية أن تكون مثلها واكثر منها ، فالشعب السوري اجدر الاستقلال من الحبش ومن غيره من الشعوب الأخرى التي نالت استقلالها ، خصوصاً بعد أن نالت جميع المقاطعات الأخرى في الإمبراطورية

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١١٥.

(٢) المصدر نفسه ، ص ١١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العثمانية استقلالاً ، وبقيت سورية وحدها تعاني عذاب الاستعمار الإنكليزي والفرنسي والصهيوني"[١] . وهناك الكثير من البرقيات والرسائل التي وصلت إلى عصبة الأمم سواءً من الهيئات الحزبية أو الشعبية تطالب بإلغاء الانتداب وإعطاء سورية حقها في الاستقلال والوحدة [٢].

الكفاح المسلح:

الصدمات الأولى:

بدأت عمليات المقاومة المسلحة ، لوجود الانتداب الفرنسي بوقت مبكر وقبل معركة ميسلون نفسها ، حيث شهدت المنطقة الساحلية وجبال العلويين التي وضع الانتداب الفرنسي سيطرته عليها عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى مباشرة ، حركات ثورية بقيادة الشيخ صالح العلي . وهو ابن الشيخ علي سلمان زعيم عشيرة البشارغة التي تنتمي للطائفة العلوية . وبدا على هذه المقاومة منذ لحظتها الأولى طابعها الوطني ، فقد ضم المؤتمر الذي عقده الشيخ صالح العلي بقريته المسماة "قرية الشيخ بدر" زعماء المنطقة الساحلية ووجهائها من سنين وعلويين ، وذلك

---

(١) د. عبد الرحمن الكيالي ، المراجل ، الجزء الثالث ، ص ٢٨٤ . وهناك العديد من البرقيات والرسائل التي وصلت إلى عصبة الأمم تطالب بإلغاء الانتداب وتحقيق الاستقلال .

(٢) انظر د. عبد الرحمن الكيالي، المراحل ، الجزء الرابع ، ص ٤٥ وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لأجل تدارس الأوضاع السياسية الجديدة وعلى ضوء ذلك قرر المؤتمرون بدء الثورة في الخامس عشر من كانون أول ١٩١٨ [١].

ونظمت الثورة تنظيماً عسكرياً أعطاها الصفة الثورية بحيث بدت هذه التنظيمات شاملة لجميع النواحي ، سواء منها الانضباط الثوري والتسلح والمحكمة الثورية ، والمراتب والرتب ، والقادة والرؤساء وديوان للمحاسبة ولم يترك ناحية تنظيم لم يعرها العناية التامة [٢].

وفي جبل صهيون تنادى الناس للثورة على الفرنسيين ، حيث عقد اجتماع برئاسة عمر البيطار ، وشارك فيه إبراهيم أبو سليمان الجندي ، وشحادة زكريا ، وعبد الرؤوف طيبة ، الحاج مصطفى الجبور ، وغيرهم من زعامات المنطقة حيث قرروا مناهضة المشاريع الاستعمارية ، وأرسلوا وفداً إلى حلب للاجتماع باركان الحكومة الفيصلية لمناقشة الأوضاع معاً . لكن الفرنسيين منعوا الوفد من لذهاب إلى حلب ، ليزيد ذلك في تأجيج روح الثورة ضد الفرنسيين .

وهكذا اتسعت ميادين الثورة متنقلة من مكان إلى مكان ، حاملة بذلك أسماء العديد من المعارك والتي اشتهرت غالباً بأسماء المواقع والأمكنة التي جرت فيها، مثل معركة الشيخ بدر الأولى والثانية ، وبزفتا ، وبابنّا ، ووادي ورور، وطرطوس[٣]. وغيرها الكثير من المعارك التي شكلت بمجملها العام ، ضغطاً متواصلاً على سلطة الانتداب ، مانعة إياها من اخذ مجال للاستقرار والهدوء ، كي

---

(١) عبد اللطيف اليونس ، ثورة الشيخ صالح العلي دار اليقظة العربية دمشق ص ١٠٥ .

(٢) منير الريس ، الكتاب الذهبي للثورات الوطنية في المشرق العربي ، الثورة السورية الكبرى ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ١٩٦٩ ، ص ٥٣ .

(٣) عبد اللطيف اليونس ، ثورة الشيخ صالح العلي ، ص ١٠٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا تتمكن من بسط برنامجها الانتدابي على أنحاء القطر كافة . وللخروج من حالة الاستنزاف هذه ، كانت سلطة الانتداب تقدمت بطلب هدنة لتلتقط بها أنفاسها ، وافقت الثورة بقيادة الشيخ صالح العلي على طلب الهدنة بناءً على أسس ثلاثة مثلت إلى حدٍ بعيد الإطار العام للفكر السياسي للثورة القائمة على الوحدة والاستقلال وكانت هذه الأسس هي [١]:

(١) الموافقة على ضم الساحل السوري إلى الحكومة العربية في سورية وجلاء القوات الفرنسية عنها .

(٢) إطلاق سراح الأسرى .

(٣) دفع التعويض إلى السكان عن الأضرار التي ألحقها الجيش الفرنسي بأملاكهم .

ولم يكن أمام سلطة الانتداب إلا الموافقة على ذلك ، عازمة على نكث الاتفاق حينما تحين الفرصة المناسبة . وهذا الذي حصل ، فبعد أن استعادت القوات الفرنسية استعدادها العسكري بدأت المعارك من جديد بملاحقة الثوار وضرب المدن والقرى . واصبح الوضع يميل لصالح الفرنسيين يوماً بعد يوم اضطر على أثره الشيخ صالح العلي لإعلان الاستسلام ، بعد أن أصدرت سلطات الانتداب ، عفواً خاصاً عنه وعن رجاله، وكان ذلك في شهر تموز ١٩٢١ [٢].

---

(١) علي رضا ، قصة الكفاح الوطني ، ص ٥٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٦١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثورة الشمال (ثورة إبراهيم هنانو) :

قائد هذه الثورة هو إبراهيم هنانو ، رئيس ديوان ولاية حلب ، وزعيم الكتلة الوطنية فيما بعد . ففي منتصف عام ١٩١٩ ، تقدم إلى رشيد طليع والي حلب آنذاك بطلب الموافقة على تشكيل فرق صغيرة من شانها أن تقوم بأعمال ثورية ضد الفرنسيين ، أشبه ما تكون بحروب العصابات. وعلى اثر ذلك بدأ هنانو اتصالاته التي أثمرت عن تشكيل لجان وفرق ثورية، تقودها قيادة جماعية تولى هو رئاستها. كان أهم الفرق العسكرية التي تشكل منها الجسم العسكري للثورة أربعة فرق هي[١]:

الأولى : في منطقة القصير بقيادة الشيخ يوسف السعدون .

الثانية : في منطقة كفر تخاريم بقيادة نجيب عويد .

الثالثة : في منطقة جبل الزاوية بقيادة مصطفى الحاج حسين .

الرابعة : في منطقة جبل صهيون بقيادة عمر البيطار .

كانت البداية الأولى لأعمال ثورة هنانو في التاسع عشر من نيسان ١٩٢٠ في مدينة حارم ، لتتوالى بعدها المعارك لمدة عام ونصف تقريباً .

ويمكننا الوقوف على الفكر السياسي للثورة من خلال الإطلاع على البيان الذي أذاعه هنانو في السادس عشر من أيلول ١٩٢٠ حيث أعلنت الثورة بشكل رسمي ، جاء في البيان :

"أيها العرب : ما بالكم ترضخون صاغرين لحكم المستعمر الجائر ، وانتم خير أمة أخرجت للناس ، أمة خلقت لتحكم بالعدل ، ولقد سلطت فرنسا جيوشها

---

(١) علي رضا ، المصدر نفسه ، ص ٤٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ناقضة العهود ونابذة الوعود وسودت وجه تاريخها ، مدعية بأنها جاءت لمساعدتنا وإرشادنا وحفظ كياننا واستقلالنا وما ادعاؤها هذا إلا كذب وزور وبهتان". أيها العرب : إن أبناء الشرق – في شرع المستعمر الفرنسي – أحط من البهائم يقتلون لتقام فوق أجسادهم عروش السفاهة في منتزهات الشانزلية في باريس، وانتم غافلون . لقد استولى على بلادكم وأجلى ملككم واقفل مؤتمركم ، وبدد جندكم واعتقل وجهاءكم ، وهتك أعراضكم ، واحرق قراكم ، وفرق شملكم ، وكل هذا وانتم بمواعيده تثقون ، ولولايته راضون ، ومن يتولهم منكم فانه منهم أفلا تتذكرون.

أيها العرب : إن المستعمر يتخذ الأديان الطاهرة شعاراً لمطامعه ، ويقول لإخوانكم المسيحيين انه جاء لينقذهم من الظلم في الوقت الذي يسحق فيه الملايين من النصارى في ألمانيا وروسيا والنمسا ، لأنه اشد الملحدين" [١].

والمتأمل لعبارات البيان ، يجد أنه خاطب الشعب السوري بـ " أيها العرب" ، ويبدو واضحاً أنه أراد بذلك التأكيد على الهوية العربية للشعب السوري ، وأنه جزء لا يتجزأ من أمته العربية . كما أن عبارات البيان ألمحت إلى الهوية الإسلامية للثورة ، حيث اعتبرت العرب خير أمة أخرجت للناس ، وهذا واضح انه اقتباس من القران الكريم ، وكذلك الحال حين أشار إلى الولاء وبين أن الذي يعطي ولاءه للمستعمر الفرنسي ، فانه منهم .ولم يكن في هذا مانعاً لدى البيان في تأكيد الوحدة الوطنية بين أبناء الوطن الواحد على هذا الأساس .

ويؤكد البيان وحدة الشرق عامة في مواجهة المستعمر الفرنسي واستكباره واستغلاله لخيرات هذا الشرق وموارده . وبهذا حاول البيان التوفيق بين دوائر

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٥١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الانتماء السياسي ، من وطنية وعربية ، وإسلامية وشرقية . لتتحد جميعاً في مقاومة الانتداب والتصدي له .

وكان نجيب عويّد أحد قادة الثورة ذا صراحةٍ اكثر بتأكيد الخط الإسلامي للثورة بفكرها السياسي . ففي روايته عن معركة كفر تخاريم يقول عويد : "عند دخول العدو كفر تخاريم تفرق أهل المدينة أو كثير منهم بالجبال والأودية . وكنت ترى منظراً يفتت الأكباد ، وتنفطر له ، من صراخ النساء وبكاء الأطفال، ولا ماء لهم ولا زاد . فلما أمسى المساء ناديت بملء صوتي في الثوار أين المروءة والشهامة والنجدة" فلبوني مسرعين قائلين ماذا تريد؟ فقلت : أريد جماعة يبيعون أنفسهم في سبيل الله رحمة بهؤلاء النساء ، فأجابوا : "حاضرون". ويستطرد حتى يقول أنه نادى أهل البلدة قائلاً : "يا أهل كفر تخاريم ها نحن المجاهدون ضربنا نطاقاً حول البلدة ، ولا نطلب منكم معونة سوى الدعاء والتكبير ، لان جمعنا يزيد على الثلاثة آلاف" [١].

معركة ميسلون :

بقيت معركة ميسلون نقطة مضيئة في التاريخ العربي المعاصر ، رغم نهايتها المؤلمة التي آلت إليها . ذلك إنها كانت صوتاً عربياً عالياً يجسد الرفض العربي لأي شكل من أشكال الهيمنة الأجنبية وسيطرتها . وعن دورها الأساس في تفعيل حركة الكفاح المسلح ضد الانتداب يتحدث ساطع الحصري قائلاً : "توهمت فرنسا أن ضربة ميسلون ستقضي على المقاومة العربية قضاءً مبرحاً . لم يخطر

---

(١) منير الريس ، المصدر السابق ، ص ٨١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ببالها قط ، أن هذه المقاومة ستزداد بعد ضربة ميسلون يوماً بعد يوم ، إلى أن تقصي فرنسة إقصاءً تاماً . فإذا كانت واقعة ميسلون بمنزلة الفصل الأخير من رواية المنافسة الدولية التي حامت حول سورية ، فإنها كانت في الوقت نفسه بمثابة الفصل الأول من منقبة المقاومة الوطنية القومية التي قامت في سورية ضد القوى الفرنسية. وقد توالت فصول هذه المنقبة بعد ميسلون بدون انقطاع ، ولن تنتهي إلا بعد إتمام مهمتها ، وإجلاء القوت الفرنسية عن جميع أقسام سورية ، ولو قدر لذلك أن يتم بعد مرور مدة لا تزيد على ربع قرن من ضربة ميسلون الغادرة" [١].

وباستطاعتنا ، استطلاع منطلقات الفكر السياسي الذي هيا الأجواء لهذه المعركة، من خلال البيان الذي أصدره يوسف العظمة وزير الحربية والذي كان متزعماً اتجاه الكفاح المسلح ضد التوجهات الفرنسية باحتلال دمشق ليفضي به الأمر إلى قيادة المعركة بنفسه فيما بعد واستشهاده فيها . فبعد أن تناول البيان التطورات التاريخية التي مرت بها علاقات العرب بالحلفاء حتى انتهت إلى الحشود الفرنسية الأخيرة وإنذارات غورو للحكومة حدد البيان الوجهة السياسية في نقاط أربع هي :

١- نحن لا نريد إلا السلام والمحافظة على استقلالنا وشرفنا الذي لا نتحمل أن تشوبه شائبة .

٢- نحن نبرأ من كل تهمة نوصم بها ويراد بها الإيهام بأننا نريد الإخلال بعلاقتنا مع حليفتنا وحلفائنا .

---

(١) ساطع الحصري ، يوم ميسلون ، ص ٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- نحن لا نرفض المفاوضات ، ومستعدون أن ندخل بها ، وها أن الوفد تحت رئاسة جلالة الملك مستعد للذهاب لمواصلتها ، ونحن نقبل كل حل لا يمس باستقلالنا وشرفنا ويكون مبيناً على أساس الحق والاستقلال.

٤- إننا مستعدون كل الاستعداد ، ومصممون كل التصميم ، على الدفاع عن شرفنا وحقوقنا ، بكل ما أعطانا الله من قوة.

فهذا هو الموقف الحاضر أيها السادة ، بسطناه لكم والله معنا إذ لا نريد إلا حقنا والدفاع عن كياننا" (١).

الثورة السورية الكبرى:

يستطيع الدارس لتاريخ الثورة السورية بقيادة سلطان الأطرش ، التأكد من أن هذه الثورة ، لم تكن وليدة حدث عفوي جاء بشكل مفاجئ لكنها في حقيقة الأمر ، كانت النتيجة الطبيعية لمجموع التفاعلات والمواقف التي عمل التيار الرافض للانتداب على صناعتها وتغذيتها . "فان ما قام به الوطنيون السوريون من تمهيد السبل للأعمال العظمي نحو الوطن والشعب ، وما أثاروه من الأبحاث خطباً ومقالات ، ومضابط واحتجاجات ، أمام العالم الأوروبي على اختلاف أنواعه وطبقاته رسمياً أو غير رسمي ، والمعلومات التي وضحت القضية السورية العربية أمام عصبة الأمم بأجلى بيان ، كل ذلك قد ألقى على القضية السورية ضوءاً كاشفاً عن مدى الظلم الذي أصاب الوطن . وَرَفَعَ مستوى الإدراك السياسي العام إلى الدرجة التي لم يعد منكوراً من قبل أحد ولا مجهولاً . فكل ذلك كان بمثابة أتون ،

---

(١) حسن الحكيم ، الوثائق التاريخية،، ص ٣٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هيأت أركانه وموارده، ولم يعد ينقص ذلك من الاندلاع إلا يد تولع فيه النار ، وتعمل الشرر من أبناء البلاد الأبرار[١].

ويدعم هذا الرأي ما صرح به سلطان الأطرش نفسه ، عن مدى تأثره بإبراهيم هنانو وثورته . فقد جاء في مذكراته ، وهو يتحدث عن لقائه به خلال زيارته لجبل الدروز في نيسان ١٩٢٢ : "لقد كان لقائي بهذا الزعيم الثائر مفيداً للغاية ، إذ أنه أطلعني خلال الفترة القصيرة التي مكثها عندنا على أخبار ثورته في الشمال . ووصف لي أهم معاركها وكيفية اتصالها بثورة المجاهد الكبير الشيخ صالح العلي ، التي نشبت في جبال العلويين . تأثرت بأحاديث هذا الرجل المقدام ، وأعجبت بصراحته ، وعظيم تقديره ووفائه لكل من شارك بثورته من الأفراد والجماعات ، وزادني إعجاباً به أيضاً لما لمسته من متانة أخلاقه وقوة إيمانه بحرية بلادة ، وسعة إطلاعه وعميق تفكيره وترديده القصائد الوطنية المؤثرة ، وتحليله المنطقي السليم للسياسة الدولية عامة والعربية خاصة . فقد أحاطني بأخبار الثورات والحركات التي قامت ضد الفرنسيين في إنطاكية ، ودير الزور ، والجزيرة الفراتية"[٢].

كما ويذكر سلطان الأطرش أن هذا العام نفسه ، قد شهد بداية الإعداد للثورة: "ففي الجبل كنا ، منذ عام ١٩٢٢ ، نعقد الاجتماعات السرية في بعض القرى والمزارع ، لنتداول في شؤون البلاد والتمهيد للثورة . وفي أعقاب عودتنا من

---

(١) محي الدين السفرجلاني ، تاريخ الثورة السورية ، ص ١٢٣ .

(٢) سلطان الأطرش ، مذكرات سلطان الأطرش ، الجزء الأول ، مطبعة الشرق العربية ، القدس ، ١٩٧٩، ص ٧٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأردن في الخامس من نيسان ١٩٢٣ ، استأنفنا اتصالاتنا بالعناصر الثورية المؤقتة، التي يمكن أن يتوسع هذا الجهاز القيادي كلما استملنا إلى جانبنا عناصر وطنية أخرى" (١).

وبدأت خيوط الاتصال لإعداد الثورة تنتقل خارج الجبل . فقد كانت دمشق بشخصياتها الوطنية منطلقاً للثورة، حيث بدأت الاجتماعات واللقاءات السرية تتم في بيت لآل الأطرش يقع في حي القزازين . وكان في مقدمة الشخصيات الوطنية التي تم الاتصال بها نسيب البكري ، الذي كانت له الجهود الواضحة في الإعداد للثورة والقيام بها (٢). كذلك كان الدكتور عبد الرحمن الشهبندر زعيم ومؤسس حزب الشعب من الذين تم الاتصال بهم سراً في أوائل شهر أيار ١٩٢٥ . وكانت اللقاءات به تتم في بيت قاسم الهيماني صاحب جريدة الفيحاء بدمشق (٣). وهناك ذكر لكثير من أسماء الشخصيات السياسية التي تم الاتصال بها والتي أيدت الثورة وعملت معها، سواءً في دمشق أو غيرها من المدن والأنحاء السورية المختلفة .

الطابع التنظيمي للثورة:

أخذت الثورة طابعها التنظيمي منذ بداياتها الأولى ، فكان مؤتمر ريمة الفخور بجانب تأكيده على هدف الثورة العام وهو الاستقلال التام للبلاد ، قد رسم الخطوط

---

(١) سلطان الأطرش ، المذكرات ، الجزء الأول ، ص ١١٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١١٥ .

(٣) مذكرات الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، ص ١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرئيسية لنظام جهازها القيادي، وشؤونها الإدارية والسياسية والمالية . متخذاً بذلك القرارات التالية [١]:

١- متابعة الثورة حتى تنال البلاد استقلالها التام .

٢- تسمية سلطان الأطرش قائداً عاماً للثورة .

٣- تولية الدكتور عبد الرحمن شهبندر إدارة الشؤون السياسية للثورة وتسميته ناطقاً رسمياً لها .

٤- تشكيل أركان قيادة الثورة من السادة احمد عامر ، فضل الله هنيدي محمد عز الدين ، عقلة القطامي ، سليمان نصار ، حسين مرشد ، يوسف العيسي، علي عبيد ، قاسم أبو خير ، وعلي الملحم .

٥- الدعوة إلى حمل السلاح والانضمام إلى جيش الثورة ، في بيان عام تذيعه قيادة الثور على الشعب السوري .

وعلى ضوء ذلك كانت مناطق الثورة قد شكلت لنفسها المؤسسات التنظيمية ووضعت لها أطرها الهيكلية . فعلى سبيل المثال ، كانت منطقة الغوطة قد عاشت وضعاً تنظيماً متقدماً . فقد كان رؤساء الثوار فيها عقدوا اجتماعاً في أوائل شباط ١٩٢٦ ، وقرروا فيه عدة قرارات تنظيمية منها [٢]:

١- يؤلف من مجموع عصابات الغوطة وضواحي دمشق وحدة تامة ، توزع على المناطق الحربية بحسب الضرورة الحربية وأحوال المنطقة .

---

(١) مذكرات ، سلطان اللاطرش ، الجزء الأول ، ص ١٧٥.

(٢) مذكرات القائد سعيد العاص ، ١٨٨٩-١٩٣٦ ، صفحة من الأيام الحمراء ، ص ٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- يؤلف مجلس عام يسمى المجلس الوطني للجنة الثورة السورية في الغوطة وضواحي دمشق ، ينتخب أعضاؤه من قبل رؤساء الثوار بتفويض خطي . وصلاحيته ووظيفته توضح في نظام تأليفه ومضبطة انتخاب أعضائه .

٣- يحمل رجال كل عصابة شارة خاصة بهم تميزهم عن سواهم ولا يجوز لأي مجاهد كان أن يترك عصابته المسجل فيها ويلتحق بغيرها .

٤- يلاحق المجلس الوطني ملاحقة شديدة الذين يعتدون على الأهلين ويدعون أنهم من الثوار ويعاقبهم اشد عقاب ويطرد من صفوف المجاهدين، المجاهد الذي يأتي بعمل يخرج به عن غرض الثورة النبيل.

٥- المناطق الحربية تبين وتحدد في نظام توزيعها.

وقد حددوا هذه المناطق الحربية بسبع مناطق ، لكل منها حدودها المميزة لها عن سواها . وتنفيذاً للبند الثاني ، كان الرؤساء انتخبوا أعضاء مجلسهم الذي تشكل من عشرة أعضاء هم : زكي الحلبي ، شوكت العائدي ، نزيه المؤيد زكي الدروبي، محمود حمدي السمان ، فائق العسلي ، احمد الحصني ، جميل شاكر صبري ، فريد إسماعيل قلعجي ، محمد الشيخ على ديبوه .

وتم انتخاب نسيب البكري رئيساً للمجلس ، في حين عهد إلى فائق العسلي بأمانة السر [١].

---

(١) ظافر القاسمي ، وثائق الثورة السورية ، ص ١٠٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما قسم المجلس إلى ثلاث لجان هي [١]:

١- اللجنة المالية .

٢- لجنة الحركات الحربية .

٣- لجنة الدعاية والاستخبارات .

وكانت الجلسة الأولى للمجلس في الأول من آذار ١٩٢٦ [٢].

الفكر السياسي للثورة :

وقعت المعركة الأولى للثورة ، في الحادي والعشرين من تموز ١٩٢٥ ، في منطقة الكفر ، قرب السويداء عاصمة جبل الدروز ، وأطلق عليها اسم الموقع نفسه "معركة الكفر"[٣] مؤذنة بذلك باندلاع الثورة ، والتي استمرت حوالي السنتين . ولا يهمنا هنا تتبع أحداث الثورة وسير معاركها وتطوراتها ، بقدر ما يعنينا الوقوف عند الإطار العام لفكر الثورة السياسي ، ولعل أهم ما يمكن الاعتماد عليه بهذا الصدد هو بيانات الثورة وتصريحات زعمائها وقادتها .

والمطالع لهذه البيانات والتصريحات ، يتبين له أن الفكر السياسي للثورة، جعل الوطن الرابطة الأوسع التي تجمع داخلها أبناء الشعب كافة ، دون اعتبار للدين أو المذهب أو العرق . واتخذت من الفكرة القائلة "الدين لله والوطن للجميع" ، شعاراً لها . فقد كانت معظم البيانات والتصريحات قد تضمنت هذه العبارة أو معناها . جاء

---

(١) مذكرات ، سعيد العاص ، ص ٢٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤١٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في بيان الثورة الأول ، الذي قرر مؤتمر ريمة الفخور أذاعته باسم قائد الثورة العام سلطان الأطرش : "إلى السلاح إلى السلاح ، يا أحفاد العرب الأمجاد ، هذا يوم ينفع المجاهدين جهادهم ، والعاملين في سبيل الحرية والاستقلال عملهم . هذا يوم انتباه الأمم والشعوب فلننهض من رقادنا ، ولنبدد ظلام التحكم الأجنبي عن سماء بلادنا . لقد مضي علينا عشرات السنين ونحن نجاهد في سبيل الحرية والاستقلال فلنستأنف جهادنا المشروع بالسيف بعد أن سكت القلم ولا يضيع حق وراءه مطالب أيها السوريون ، لقد أثبتت التجارب أن الحق يؤخذ ولا يعطى ، فلنأخذ حقنا بحد السيف ، ولنطلب الموت توهب لنا الحياة" (١).

وما فتئ البيان ، يصدّر عباراته بـ "أيها الوطنيون" ، حتى وصل لتحديد مطالب الثورة حيث قال : "إلى السلاح أيها الوطنيون ولنغسل إهانة الأمة بدم النجدة والبطولة . إن حربنا اليوم هي حرب مقدسة ومطالبنا هي :

١- وحدة البلاد السورية ساحلها وداخلها والاعتراف بدولة سورية عربية واحدة مستقلة استقلالاً تاماً .

٢- قيام حكومة شعبية ، تجمع المجلس التأسيسي لوضع قانون أساسي على مبدأ سيادة الأمة سيادة مطلقة .

٣- سحب القوى المحتلة من البلاد السورية ، وتأليف جيش محلي لصيانة الأمن .

---

(١) مذكرات سلطان الأطرش ، ص ٣٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤- تأييد مبدأ الثورة الفرنسية وحقوق الإنسان في الحرية والمساواة والإخاء . إلى السلاح ، والله معنا ، والإنسانية معنا ولتحيا سورية حرة مستقلة.

وبهذا البيان الأول للثورة ، فإنها تكون تحت المنحى الوطني العلماني في هويتها السياسية . ففي المطلب الرابع هناك تأييد واضح لفكر الثورة الفرنسية العلماني، وتأثرها به.

والبيان الثاني جاء ، تحت عنوان "الاستقلال يؤخذ ولا يعطى ، الحرية والمساواة والإيخاء". مؤكداً بهذا ما جاء به البيان الأول ، لكنه جاء بتفصيل اكثر حول التآخي الوطني ومحاربة الوطنية : "يا بني الوطن ليس لكم بعد اليوم على اختلاف المذاهب والفئات إلا عدو واحد ، هو الحكم العسكري الجائر ، والاستعمار الأجنبي فانفروا إلى إنقاذ البلاد من أوضاعها السيئة، وارفعوا علم الاتحاد والتضامن والنصيحة ، إن حركتنا اليوم هي حركة مقدسة غرضها المطالبة بالحرية والاستقلال وضمان حقوق البلاد على مبدأ سياسة الأمة ، فليتحد الدرزي ، والسني والعلوي والشيعي والمسيحي اتحاداً وثيقاً وليؤلف بين قلوبنا الإخاء ومحبة الوطن ولتكن إرادتنا إرادة حديدية واحدة" [١].

وكان المنشور الثالث ، قد حمل العنوان نفسه الذي كان للمنشور الثاني، قد وجه خطابه هذه المرة إلى سلطة الانتداب وأعوانها ، مؤكداً الاستمرار في النهج السياسي الوطني ، رافضاً دعوة السلطة لإلقاء السلاح . وقد جاء فيه : "تدعوننا إلى

---

(١) ذوقان قرقوط ، المشرق العربي في مواجهة الاستعمار ص ٢٣٢ . ولم تحدد المصادر تاريخ إذاعة هذا البيان.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلقاء السلاح وإن نتقلد بدلاً منه المحراث ، إننا ما جمعنا السلاح إلا دفاعاً عن المحراث الذي هو فخرنا . إننا نريد أن نحمل المحراث لنحصد منه الخير لنا ولأولادنا. ولكن إذا كانت ثمرة أتعابنا تذهب إلى بطون رجال أمثال من غرمونا آلاف القروش لفقد هرة في السويداء ، وصفعوا أشرافنا وأخيارنا لاستنزاف أموالهم. فان السلاح يكون خير ضامن لهذا المحراث" [١]. وقد وقع هذين المنشورين سلطان الأطرش نفسه القائد العام للثورة السورية .

ورداً على الثورة حاولت فرنسا إثارة النعرات الطائفية ، واستطاعت التأثير على بعض الطوائف المسيحية ، بان استمالتهم لجانبها ، ووزعت عليهم السلاح كي يدفعوا عن أنفسهم خطر المسلمين وإمعاناً منها في سياستها الطائفية هذه وترسيخها نجد أن السلطة عمدت إلى سحب قواتها في الحي المسيحي بدمشق أملاً في أن يهاجم الثوار هذا الحي ويعتدوا على المسيحيين فيبدأ السلب والنهب والقتل وتثور الفتنة بين المسلمين والمسيحيين وأن تؤكد للمسيحيين انهم لا يستطيعوا أن يعيشوا مع المسلمين إلا بوجود دولة أجنبية وأن السوريين غير مؤهلين للاستقلال ويعلق حسن الحكيم على هذه المحاولة بقوله : "ولكن طاش سهمها وخاب أملها فان رجال الثورة وعلى رأسهم حسن الخراط ما أن رأوا انسحاب القوة من الحي المسيحي حتى توجهوا إلى هذا الحي كي يطمئنوا مواطنيهم المسيحيين وانهم هم وإياهم أبناء وطن واحد ولا يمكن أن يمسوهم بسوء" [٢].

---

(١) ذوقان قرقوط ، المرجع نفسه ، ص ٢٣٤ .

(٢) حسن الحكيم ، مذكراتي ، ١٩٢٠-١٩٥٨ ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٦٥ ، الجزء الأول ، ص ٢٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما انه في ظل هذه السياسة الطائفية التي تنتهجها فرنسا كانت الثورة وجهت منشورين أحدهما وجهته للطوائف المسيحية ، والأخر لزعماء ووجهاء السنة والشيعة والعلويين والدروز . لكن الذي وقعها هو زيد الأطرش باسم القائد العام سلطان الأطرش . أكدت المنشورات على الخط الوطني للثورة ، دون الالتفات للدين أو المذهب ، ففي حين جاء في المنشور الموجه للطوائف المسيحية ، تحت عنوان "الدين لله والوطن للجميع" : "إلى إخواننا المسيحيين في قضائي حاصبيا وراشيا المحترمين أعزهم الله . بلغنا من المواطنين الأعزاء أن بعضكم داخلهم خوف من وجود الحملة الوطنية في جوارهم ، فاخذوا ينزحون توهماً منهم أن الثورة الوطنية قد تصيبهم بالأذى . فساءنا هذا الخبر وألمنا جد الألم ، لأنهم إخوان لنا لا فرق بينهم وبين أي كان من الطوائف الأخرى . وثانياً لان عملهم هذا يؤذي شعورنا لما فيه من عدم الثقة بما أسلفناه من البيانات التي أوضحنا حقيقة الثورة الوطنية لقد اضطررنا بسبب موقفكم هذا إلى مخاطبتكم بصفتكم الطائفية ، على حين إننا لم نفعل ذلك من قبل تنزيهاً للثورة الوطنية من شوائب النزعات البعيدة عن الروح القومية . ولكننا رأينا بعض السذج لم يدركوا الأغراض النبيلة التي ترمي إليها ثورتنا هذه ، فأسرعنا ببيانها هذا تطميناً لهم وإننا نرجو أن نثبت لكم عن قريب أن المبدأ الرئيسي الذي تستند إليه حركتنا القومية هو ما صدرنا به هذا الكلام : "الدين لله والوطن للجميع"[١].

كان المنشور الآخر والموجه لوجهاء السنة والشيعة والعلويين والدروز ، قد جاء فيه بعد أن تناول التأكيد على المنطلقات الوطنية للثورة: "ولقد أسرعنا بالكتابة

---

(١) سلطان الأطرش ، المصدر السابق ، ص ٢١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إليكم لعلمنا أن تجريدكم من السلاح وتوزيعه على إخوانكم الآخرين ، قد يوقظ في نفوسكم شعوراً غير صالح تجاههم ويحملكم على النفور منهم والريبة فيهم وبالتالي قد ينشا عن هذه الحالة حوادث تضر بالوطن وتؤذي القضية الشريفة والأغراض التي يسعى إليها رجال الثورة الوطنية"(١).

وإذا ما اتجه البحث صوب بيانات وآراء رجال الثورة وقادتها خارج جبل الدروز ، فانه سيجدها أكدت الفكرة نفسها ، بتأطير الثورة بالإطار الوطني ، وعدم نزوعها لأية رابطة سوى الرابطة الوطنية . يتضح هذا جلياً من رسالة من حسن الخراط أحد ابرز قادة الثورة ورجالها في دمشق والغوطة ، إلى المندوب السامي الجنرال ساراي حيث جاء : " ... أما سياسياً فإني كللت شرف العرب بما هو أهله ، واستحسن فعلي العالم كله ، لحسن إدارة رجالي ومحافظتهم على إخواننا المسيحيين والأجانب خصوصاً ، وعلى الضعفاء عموماً ، وأما أنت فقد نحرت شرف فرنسا وصوبت قنابلك إلى قلبها ، أنت ممثل فرنسا وأنا حارس دمشق . كان بودك أن تجعلها دينية إسلامية وتفرق بيننا وبين إخواننا ولكن الله أبى . فضيعت رشدك وخربت الأحياء الإسلامية على رؤوس أهلها أملاً أن أقابلك بالمثل ، وقد فاتك إننا عرب ونحافظ على الجار" (٢).

وفي بيانه الموجه إلى مسيحيي منطقة الضنية ، كان سعيد العاص، أحد قادة الثورة في الشمال ، افصح الفكر ذاته حين أعلن : "إلى إخواننا في الوطن مسيحي الضنية : إن خطتنا في هذه الثورة هي أن الدين لله والوطن للجميع وأن المصلحة

---

(١) محي الدين السفرجلاني ، المصدر السابق .

(٢) حسن الحكيم ، الوثائق التاريخية ، ص ١٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوطنية فوق كل مصلحة ، وباستطاعتي أن أؤمنكم على أموالكم وأعراضكم فيما إذا عدتم لأشغالكم وخدمة وطنكم كإخوانكم المسلمين فلكم ما لهم وعليكم ما عليهم ، واعلموا إننا إخوان في القومية واللغة والتقاليد والجنس والعادات ، ولكم دينكم ولنا ديننا ولا فرق بيننا وبينكم ونحن منكم وانتم منا" (١).

ثانياً : الوحدة الوطنية :

سياسة الانتداب الطائفية واستغلال الأقليات:

لعله مما ينبغي الوقوف عنده قبل الخوض في موضوع الوحدة الوطنية ، هو مناقشة السياسة الطائفية للانتداب الفرنسي وانعكاسها على مطلب الوحدة الوطنية :

فقد أكدت سلطة الانتداب الفرنسية منذ أيامها الأولى ، أن سياستها قائمة على الطائفية واستغلالها ، لأجل تسهيل التحكم بشؤون البلاد والسيطرة عليها، وهذا في الحقيقة استمرار للسياسة الغربية عامة والفرنسية خاصة التي كانت تتدخل في شؤون الدولة العثمانية الداخلية بحجة حماية الأقليات فيها .

ففي الثالث من آب ١٩٢٠ ، اصدر المفوض السامي قراراً يقضي بفصل الأقضية الأربعة – بعلبك والبقاع وحاصبيا وراشيا– عن سورية وضمها إلى لبنان، وفي الأول من أيلول ١٩٢٠ اصدر قراراً آخر بفصل حلب عن دمشق وإنشاء دولة العلويين . وأعطى لواء الإسكندرونه عام ١٩٢٤ نظاماً مالياً وإدارياً خاصاً به وذلك تمهيداً لسلخه وتسليمه نهائياً إلى تركيا في التاسع والعشرين من تشرين ثاني ١٩٣٨(٢).

---

(١) مذكرات سعيد العاص ، ص ٢٣ .

(٢) انظر حسن الحكيم ، الوثائق التاريخية، ص ٢٥٠ وما بعدها. وبالنسبة لتسليم لواء الاسكندرونه إلى =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما بالنسبة لجبل الدروز فقد حاولت المفوضية الفرنسية أن تأتي المبادرة هذه المرة من رجالها التابعين لها من دعاة الانفصال في جبل الدروز . ولهذه الغاية -الانفصال- عقد الموالون للانتداب الفرنسي مؤتمراً أطلق عليه المؤتمر العام بالسويداء في العشرين من كانون أول ١٩٢٠ ، اتخذوا فيه قراراً باستقلال حكومة جبل الدروز استقلالاً داخلياً ، وقبولها بالانتداب الفرنسي [١].

وفي الرابع من آذار ١٩٢١ ، تم الاتفاق بين المسيو روبير دي كاي Rebert De Caix مندوباً عن الجنرال غورو ، وبين زعماء جبل الدروز على التوقيع على النظام الأساسي لاستقلال جبل الدروز ، وكان على راس زعماء الجبل

= فقد شكل سخطاً عاماً لدى الأوساط السياسية السورية تزعمته عصبة العمل القومي التي أصدرت بياناً بتاريخ في الرابع من كانون أول ١٩٣٧، بياناً بهذا الخصوص بعنوان "اسكندرون الشهيد" جاء فيه : في هذا اليوم الذي تريد فيه القوة الغاشمة اغتصاب لواء اسكندرون باب جزيرة العرب الشمالي ، يقف العرب واجمين من الألم ساخطين من الضعف الذي يجعلهم ألعوبة بيد الطامعين مؤمنين أن الدفاع عن حماهم لا يكون إلا بلغة القوة واليأس عوضاً عن لغة الرجاء والاحتجاج ، تابع البيان قوله حتى قال وعصبة العمل تعلن للذين استغلوا تبلبل الأقطار العربية فقاموا ينشئون في كل قطر منها أوضاع استعمارية تحت ستار تأمين الحقوق والمصالح. إن العرب إذا اكتفوا اليوم بالاحتجاج يرسلونه عن حرقة واسى فلا يعني ذلك انهم مستسلمون للقضاء ولكنهم ساعون إلى يوم قريب يكون لهم فيه من القوة ما يمكنهم من الهزء بالأعيب السياسة الاستعمارية ، وتهديم ما إقامته في بلادهم من أحوال شاذة واستعادة السيادة الكاملة التي لا حياة لهم دونها ، انظر جريدة العروبة ، العدد ٢٩ ، سنة الرابع من كانون أول ١٩٣٧.

هذا فيما انحت جريدة الجزيرة باللائمة على جميل مردم بك الذي قام بزيارة إلى تركيا حين كان رئيساً للوزارة وكما تقول الجريدة فانه أثناء وجوده في الفندق اتصل به رشدي آراس وزير الخارجية التركي وابلغه بان مصطفى كمال اتاتورك يريد مقابلته فاستعد جميل مردم لهذه المقابلة وذهب في الحال ووجد اتاتورك في حفلة غناء وموسيقى فسأله إلا تجيد الغناء فبدأ مردم يغني معهم وقبل نهاية السهرة ابلغه اتاتورك بأنه لا يستطيع أن يتنازل عن الاسكندرونه لان له فيه ذكريات وانشأ فيه جيشه ولذلك لا يرضى أن تكون الدولة المنتدب يتبع لها لواء الاسكندرونا . انظر جريدة الجزيرة العدد ٧٥٥ ، تاريخ ١٩٣٩/٣/١٥ . وهنا من الممكن إثارة السؤال عن مدى تأثر الجريدة بإذاعتها لهذا الخبر بموقفها المعارض من الكتلة الوطنية وزعمائها آنذاك وعلى رأسهم جميل مردم بك ، حيث كانت الجريدة من أنصار د. عبد الرحمن الشاهبندر الذي اشتد خلافه مع الكتلة الوطنية منذ توقيعها لمعاهدة ١٩٣٦ مع فرنسا . لكن يمكن القول أن التيار العام في الأوساط السياسية الحزبية والشعبية كان ينادي بإعادة لواء الاسكندرونا إلى سورية .

(١) حنا أبي راشد ، جبل الدروز ، ص ١٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الزعيم الروحي للطائفة الدرزية محمود أبو فخر . احتوى النظام خمسة عشر بنداً ، ليحتل موضوع الاستقلال والانفصال البند الأول منها حيث جاء فيه : "تتشكل في جبل الدروز ، حكومة وطنية مستقلة ، استقلالاً إدارياً واسعاً تحت الانتداب الفرنسي. إنما حدود هذه الحكومة الجديدة تعينها لجنة ، ثم تقررها الدولة المنتدبة". هذا لتأتي البنود الباقية شرحاً وتفصيلاً لهذا الاستقلال، فقد جاء البند التاسع منها يقول: "تتعهد الدولة المنتدبة، بعدم إجبار حكومة جبل الدروز، على الدخول في الوحدة المحتمل حصولها ، فيما بعد بين البلاد السورية ، إلا فيما يختص بالمسائل الاقتصادية العائدة منفعتها على الحكومة الدرزية، وسائر المقاطعات السورية" [١]. ليدل هذا على مدى الإمعان لدى أولئك الزعماء في النفور من الوحدة وترسيخ التجزئة. حيث أن هذا البند أشبه ما يكون بإجراء وقائي ضد أي تفكير مستقبلي بالوحدة.

وتنفيذاً لهذا التوجه فقد تألفت الحكومة الدرزية في الخامس والعشرين من نيسان سنة ١٩٢١ بعد أن نالت اعتراف سلطة الانتداب بها ، حيث استلم سليم الأطرش أمراً من سلطة الانتداب يخوله حق تشكيل الحكومة ، وبناءً عليه كان قد أرسل دعوته لعموم زعماء الجبل يرجو منهم الحضور إلى السويداء . وبناءً على أجابه زعماء الجبل له ، تقرر عقد اجتماع في الأول من أيار ١٩٢١ ، والذي تمخض عن انتخاب سليم الأطرش حاكماً للجبل ، وان يقسّم الجبل إلى ثلاثة عشر مقاطعة ، وتأليف مجلس نيابي منتخب من الشعب على أن يكون عن كل منطقة مندوبان[٢].

---

(١) حنا أبى راشد ، جبل الدروز ، ص ٢٢٠ .

(٢) حنا أبي راشد جبل الدروز ، ص ١٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي السادس من أيار سنة ١٩٢١ تم انتخاب مجلس النواب . والذي قرر أن يتخذ علماً خاصاً للجبل ، وقد رمز هذا العلم إلى أمور دينية عند الدروز ، فقد تألف العلم من خمسة ألوان ، رمزاً إلى سلمان الفارسي ورفاقه الأربعة ، وهم: المقداد ابن الأسود، عمار ابن ياسر ، هاني ابن مسعود ، بهاء الدين ، الذي بشر بالمبادئ الدرزية في لبنان. كما أن العلم جُعلت ألوانه ، من فوق إلى تحت : الأخضر فالأحمر فالأصفر فالأزرق فالأبيض وفي جانبه الأيسر ثلاثة عشرة نجمة إشارة إلى ثلاثة عشر ناحية وفي زاويته العليا علم فرنسا رمزاً إلى الانتداب [١] ، وهكذا استمرت حكومة جبل الدروز الموالية للانتداب بتأسيس المؤسسات وتعيين المسؤولين، لأجل أن تعطي نفسها الصبغة الحكومية الكاملة. وفي المقابل كانت تحاول دعم نهجها هذا الموالي للانتداب بان قام رجالاتها بنشر المنشورات والبيانات التي تؤكد صحة توجهاتهم فيما أتخذوه من قرارات في الانفصال والولاء للانتداب [٢].

وكذلك كان الحال في الطوائف الأخرى ، حين وجدت فرنسا ضالتها باستجابة بعض أبناء هذه الطوائف للسياسة الطائفية التي تدعوا إليها فرنسا . فنشأ هناك اتجاهات كانت تنادي بصراحة بالانفصال عن الوطن الأم ، وان تكون تحت حماية الانتداب الفرنسي . يظهر هذا من مجموعة العرائض التي رفعها أصحابها سواءً إلى المفوض السامي أو إلى الجهات الرسمية في الحكومة الفرنسية في باريس.

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٣٨ .

(٢) انظر منشور متعب الأطرش المطول في حنا أبي راشد ، جبل الدروز ، ١٩٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالطائفة المسيحية شهدت بين صفوفها دعوات واضحة في هذا الاتجاه ، نجد منها العريضة التي رفعها كهنة ووجوه "إهدن" إلى المفوض السامي ، فبعد الثناء والإطراء على الحكومة الفرنسية طالبوا بالآتي :

١- توسيع نطاق جبل لبنان توسيعاً موافقاً لحدوده الطبيعية .

٢- توسيع امتيازاته بما يناسب أهله وطبائعهم .

٣- حماية وإدارة الجمهورية الفرنسية .

وحملت هذه العريضة عشرين توقيعاً [١].

للمطلب نفسه رفعت عريضة إلى المفوضية الفرنسية في بيروت ، حملت تواقيع مختار الكاثوليك ، وعضو مجلس إدارة براشية ، ووكيل مترو بوليتان الروم الكاثوليك، والذين قالوا في عريضتهم: "ترفع صوتنا مستغيثين باسم العدل ايعادتنا إلى النقطة التي حذفتنا منها تركيا من الخريطة القديمة واعتبار قضانا من ضمن لبنان الكبير تحت حماية فرنسا" [٢].

من جانبه فقد عبر شكري غانم رئيس الجمعية اللبنانية في باريس ونائب رئيس المؤتمر العربي الأول الذي عقد في باريس سنة ١٩١٣ ، عن سعادته وامتنانه للجنرال غورو بمناسبة ضمه الأقضية الأربع للبنان ، وإنشاء لبنان الكبير [٣].

وحين ذهب وفد المفاوضات إلى باريس عام ١٩٣٦ ، لأجل عقد المعاهدة أصر هؤلاء على موقفهم الطائفي ، كشف عن هذا الرسالة التي بعث بها مطران

---

(١) د. ذوقان قرقوط ، المشرق العربي في مواجهة الاستعمار ، ص ١٤٧ . والكتاب يحتوي على مجموعة من الوثائق تحدثت عن مطالبات الطوائف هذه.

(٢) د. ذوقان قرقوط ، المشرق العربي ، ص ١٤٨ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٥١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموارنة إلى وزارة الخارجية الفرنسية بخصوص تكليف أحد تجار دمشق الموارنة خليل معتوق بتمثيل الأقليات المسيحية في المفاوضات الجارية ، وقد جاء بالرسالة : "جناب الوزير : لما وقع الاختيار على تأليف الوفد السوري المفوض بالمفاوضة مع الحكومة الفرنسية لوضع أسس المعاهدة السورية لم يجر البحث في انتداب ممثل للاقليات يرافق الوفد لباريس ويعمل بالاتفاق معه . ونحن مع أننا نثق تمام الثقة بعطف الحكومة الفرنسية ، والوفد السوري على الأقليات ، ورأينا أيضاً أن نوفد لباريس بالاتفاق مع أخينا بطريرك الروم الكاثوليك كيرلس مغبغب ، حضرة ولدنا السيد خليل معتوق ، للاشتراك بالبحث في هذه القضية . فنرجو من سعادتكم أن تعتمدوه فيما يبسطه لكم بشأن الأقليات ، وذلك بالاتفاق مع وكيلنا البطريركي بباريس المنسيور الفعالي" (١).

وفي الاتجاه نفسه ، كان في الطائفة العلوية من هم دعاة للانفصال والولاء للانتداب . تمثل هذا الاتجاه في اسر إقطاعية وزعامات وشخصيات دينية ، من مثل عبد الواحد هارون وإسحاق نصري واحمد الحامد وإبراهيم الكنج والشيخ شهاب ناصر وجابر العباس . ولما طرحت مسألة ضم منطقة العلويين إلى الوطن الأم في المعاهدة السورية الفرنسية في عام ١٩٣٦ ، حاربت هذه الفئة عملية الضم وبعثت مذكرة إلى وزير الحربية الفرنسي إدوارد دلاديبه "Edouard Daladier" في الحادي عشر حزيران سنة ١٩٣٦ ، وقعها إبراهيم الكنج ، رئيس المجلس التمثيلي في حكومة اللاذقية ، والسادة صقر خير بك ومحمد سليمان الأحمد ومحمد جنيد ويوسف الحامد وعزيز هواش ، وجاء في هذه المذكرة : "إن العلويين الذين يشكلون

---

(١) عبد الرحمن الكيالي المراحل ، الجزء الثالث ، ص ١٨٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأكثرية الساحقة من سكان حكومة اللاذقية يرفضون الرفض الجازم رجوعهم إلى النير الإسلامي السوري . ويذكرون فخامتكم ورجال الانتداب الأفرنسي على اختلاف الأحزاب بتعهدات المفوضين السامين باحترام الاستقلال العلوي ، وعدم أحداث أي تغيير فيه إلا بعد اخذ رأي العلويين وموافقتهم . وهذه التعهدات تقيد في نظرنا ، على الأقل ، كل حكومة إفرنسية بل تقيد شرف فرنسا وكرامتها" [١].

وبسياسة فرنسا الطائفية هذه ، وبقابلية بعض أبناء الطوائف لها تكونت دولة لبنان الكبير بأكثرية مسيحية ، وتكونت دولتان سنيتان في دمشق وحلب ودولة علوية في منطقة اللاذقية ودولة درزية في جبل حوران ، وفُصل لواء الأسكندرون ودير الزور بإدارة خاصة .

الوطنيون والوحدة الوطنية :

إزاء هذه السياسة الطائفية نهض الزعماء الوطنيون يحملون مطلب الوحدة الوطنية ، ويدعون الجماهير إليها، ويصدرون البيانات للعمل على تعميق الوعي السياسي بمقاومة سياسة الانتداب الرامية إلى تجزئة البلاد وتقطيعها . فحينما اصدر

---

(١) د. علي محافظة ، موقف فرنسا وألمانيا وإيطالي من الوحدة العربية ، ص ١٢٦ . لكن هذا لا يعني أن هذه الطوائف لم يكن بينها اتجاهات تتبنى الوحدة الوطنية وتدعو إليها جاعلة من الوطن جامعة لكل الأجناس والمذاهب ، يبدو هذا واضحاً في كثير من البيانات والتصريحات التي كانت تصدر عن قادة وتجمعات هذه الأقليات . فهذا الشيخ على ديب أحد وجهاء وشيوخ الطائفة العلوية يؤكد عام ١٩٣٩ على الشعار نفسه الذي كانت الثورة السورية قد رفعته عام ١٩٢٥ "الدين لله والوطن للجميع" وتناول بمقال له شرح الآية القرآنية الكريمة : "وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عن الله اتقاكم" ليخلص من خلال شرحه إلى أن جميع الأنبياء والمرسلين كانوا اخوة ونادوا بالإصلاح . ويقول موجهاً كلامة لكل أبناء الشعب السوري وطوائفه الشيعة والدروز والعلويين والمسيحيين والعرب وغير العرب: "إذا جاء المستعمر ببضاعة التفرقة قولوا له "الدين لله والوطن للجميع". (انظر جريدة الجزيرة ، ٧٦٢ ، ١٩٣٩/٣/٢٣).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المفوض السامي "دي جوفنيل" de Jouvenel قراراً في الثالث والعشرين من كانون أول ١٩٢٥ ، يقضي بإجراء انتخابات المجالس التمثيلية في مناطق كحلب وحمص وحماة ، ويستثني دمشق وحوران بحجة أن الأوضاع الأمنية لا تسمح بإجراء الانتخابات فيها [١] . كان هذا الأسلوب دافعاً للمفكرين والعاملين في الحقل السياسي أن ينتبهوا لما يراد من وراء ذلك بتمزيق البلاد والشعب ، وبناءً عليه اصدروا بياناً في حلب طالبوا فيه الشعب مقاطعة الانتخابات ومما جاء في البيان : "في هذا الوقت العصيب وبينما الأمة تسعى لتحقيق وحدتها السياسية وسيادتها القومية التي أجمعت البلاد على المطالبة بها ، عمدت المفوضية الفرنسية إلى إجراء الانتخابات للمجالس التمثيلية في حلب وفي بعض الألوية كل على حدة مهملة الركن الأعظم والاهم منها، لتكون هذه المجالس آلة لتجزئة البلاد وتفريقها . فالحلبيون المخلصون لوطنهم يترفعون عن أن يكونوا سبباً لهذه التجزئة المميتة فاجمعوا ، بالاتفاق على عدم الاشتراك في هذه الانتخابات" [٢]. وقد وقع البيان عدد من الزعماء منهم :

= وكان الضابط الأرمني جورج الحايك مثالاً لطلاب الوحدة ودعاتها ، فقد كان يرد على الاتجاهات الأرمنية المطالبة بالانفصال والالتحاق بفرنسا مناقشاً إياها ومفنداً دعواها يقول في إحدى مقالاته: "إن على الأرمن أن يعرفوا حقيقة كانوا يجهلونها وهي أن العرب المسلمين غير متعصبين ، ولا يحملون في قلوبهم أي حقد لمن يختلف عنهم في الدين ، وهذه طريقة ورثوها من أجدادهم العرب الفاتحين ، الذين كانوا يقيمون حكمهم على أسس الرحمة ، واحترام عقائد وحقوق الأقليات والطوائف التي لا تدين بالدين الإسلامي ، وهي السياسة نفسها التي كان يتبعها صلاح الدين الأيوبي الملك العادل العظيم . قد يكون العرب على خطأ أو صواب بتصرفهم مع الفرنسيين ، وقد يكون للفرنسيين بحكم الانتداب أن إرادتهم على السورين ، ولكن الأرمن ما داموا يقيمون في الوطن السوري فعليهم أن يتضامنوا مع أبناء هذا الوطن ويكونوا يداً واحدة" ، انظر د. عبد الرحمن الكيالي ، المراحل ، الجزء الثالث ، ص ٣٢١.

ويمكن القول هنا ، أن هذه المواقف مثلت مع الكثير غيرها ، نهجاً واضحاً في الدعوة للوحدة الوطنية عند الأقليات ، مشكلة بذلك رداً عملياً على سياسة لتجزئة التي مارستها سلطة الانتداب الفرنسي . وانتهجها بعض دعاة الانفصال.

(١) محي الدين السفرجلاني ، تاريخ الثورة السورية ، ص ٣٣٢.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٤٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إبراهيم هنانو ، سعد الله الجابري ، عبد الرحمن الكيالي ، وغيرهم . كما كانوا قد رفعوا للمفوض السامي برقية بهذا الخصوص أكدوا له فيها أن مثل هذا الإجراء : يفسح المجال للدسائس الرامية إلى الانفصال عن الوحدة السورية . وكان أئمة المساجد والعلماء في طليعة الدعاة للوحدة ورفض سياسة التجزئة فللسبب نفسه – قرار المفوض السامي المشار إليه – وقف الشيخ طاهر الكيالي خطيباً في المسجد الأموي بحلب يدعو الناس للوحدة ورص الصفوف ، في سبيل مقاومة سياسة الانتداب الهادفة إلى إقامة كيان هزيل في كل مدينة للحيلولة دون قيام الكيان السياسي الواحد القوي [١].

وفي خطاب له ضم حشداً من الوطنيين ، قال شكري القوتلي : "إن الأمة السورية تطالب بان تشمل الوحدة جميع الأجزاء السورية بما فيها جبل الدروز والعلويين والبلاد الملحقة لبنان الصغير على أن يكون له الخيار في الانضمام إلى الوحدة في ما بعد . وقد كنا نود أن يكون بلبنان في صميم الوحدة السورية ، ولو أن بعض ساكنيه يعلن في كل سانحة تمسكه في لبنانيته . وبهذه المناسبة نعلن إلى هذا الفريق بأننا في طلب الوحدة عمليون نتوخى تحقيق شرائط الحياة ولا نرمي إلى الشكل ، بل إلى الأساس ، ولئن شاء هذا الفريق اللبناني جعل لبنانه الكبير اكبر وان يحل في القاموس لفظ لبنان عوضاً عن سورية ، وان تكون عاصمة هذه البلاد بيروت أو طرابلس أو بكركي لما ضارنا ذلك ، ولقبلناه راضين مطمئنين" [٢].

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٣٤١ .

(٢) جريدة الجامعة العربية ، العدد ١٥٥ ، ١٩٣٣/٤/٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجماهير الشعبية عبرت بدورها عن تفاعلها الرافض لسياسة التجزئة ، تبين هذا من خلال مئات البرقيات والعرائض التي كان يرفعها أهالي المدن السورية التي ألحقت بلبنان الكبير ، إلى المفوضية الفرنسية ووزارة الخارجية الفرنسية وعصبة الأمم . والتي مثلت السواد الأعظم من أبناء الشعب السوري بقطاعاته المختلفة(١).

الصحافة تتبنى الوحدة الوطنية:

ساهمت الصحافة السورية في عهد الانتداب ، بالدعوة للوحدة الوطنية من خلال ما كان يطرحه المفكرون السياسيون على صفحاتها من قضايا تعالج موضوع الوحدة الوطنية وضروريتها ومسوغاتها الرامية لنهضة البلاد ، يصدق هذا حتى على بعض الصحف التي كانت سياستها وفكرها يقومان على تأييد الانتداب . فهذه صحيفة "ألف باء" مثلاً كانت من اكثر الصحف التي حملت هم الوحدة والدعوة إليها. فلا تكاد تمر فرصة مناسبة إلا وتفرد صفحاتها للحديث عن الوحدة الوطنية وضرورة قيامها ، وحتى بلغ الأمر بصاحبها يوسف العيسى أن دعا لاتخاذ يوم للوحدة الوطنية يكون عيداً وطنياً عند الجميع يسمو فوق كل الأعياد (٢). ومن خلال معالجة الجريدة لموضوع طبيعة تكوين العَلَمْ السوري ، فإنها حاولت أن تجعل منه راية وحدة وطنية ، يتفيأ ظلالها جميع أبناء الشعب السوري تقول الجريدة : "فنحن نقترح أن تؤخذ الراية الفرنسية المثلثة الألوان، ويضاف على بياضها صورة النجمة والهلال ، ويجعل من ذلك علماً سورية عاماً . وإننا نرمي باقتراحنا هذا إلى أمرين : أولهما الاعتراف بضرورة الانتداب الفرنسي لرقي سورية المتحدة ، والثاني إرضاء

---

(١) انظر د. ذوقان قرقوط ، المشرق العربي في مواجهة الاستعمار ، ص ٤٢١ وما بعدها.

(٢) ألف باء ، ٧٧ ، ١٩٢٠/١١/٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شعائر الأكثرية السورية ، اعني إخواننا المسلمين . لان شعار النجمة والهلال قد صار له عندهم صبغة دينية مع الزمان ، حتى غدا الناس لا يعترفون به علماً خاصاً بتركيا ، بل هو عندهم شبه رمز للكيان الإسلامي . دليلنا ، إننا اعتدنا أن نقول الهلال والصليب ، والصليب والهلال. فإذا جمعنا بين راية الحكومة المنتدبة ، والرمز الذي اختارته الأمة الإسلامية لا نكون قد ارتكبنا شططا" [١].

تصدت جريدة الجزيرة لصاحبها تيسير ظبيان ، ذات الميل الإسلامي هي الأخرى للمناداة بالوحدة الوطنية والدعوة إليها . لكنها بجانب تركيزها على الدعوة للوحدة الوطنية لسورية الداخلية، فإنها كانت باستمرار تدعوا إلى عودة لبنان إلى سورية ووحدته معاً يقول أحد كتاب الجريدة بهذا الصدد : "لامنا بعض الوطنيين ، لأننا نشرنا صفحة عرضنا فيها لتاريخ التجزئة ، وكيف أن رجال الكنيسة المارونية في لبنان هم الذين نادوا بها ، لمآرب لا نريد نمتدحها ولا أن نذمها . ولكنها مآرب تختلف على كل حال عن أغراض هذا الشعب السوري المجاهد في سبيل حريته السياسية والفكرية . قال لي صديق لبناني : إن استسلام اللبنانيين -ويقصد بهم دائماً دعاة الانفصال- إلى فرنسا هو الذي يحملهم على التمسك بانفصال لبنان ، فإذا تمردوا قليلاً على فرنسا لم يعد ثمة ما يمنعهم من الاتحاد مع إخوانهم السوريين. ويخلص الكاتب في المقال نفسه إلى قوله : ".... إن الحل الطبيعي أمام اللبنانيين هو أن يرجعوا إلى أمهم وأمنا سورية التي نحمل نحن وحدنا أبناء الداخل اسمها بيننا هذا

---

(١) ألف باء ، ٢١٣ ، ١٩٢١/٥/٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاسم ملك لنا ولهم على السواء وهم ليسوا أتباع في الأمة السورية ، ولكن ليكونوا قادة الفكر والسياسية" [١].

الوحدة الوطنية في برامج التنظيمات :

كان الفصل الثاني قد تناول التيارات الفكرية والأحزاب السياسية الناشئة في ظلها. ونقف هنا لنرى أن برامج هذه الأحزاب قد أعطت الوحدة الوطنية درجة متقدمة في أولويات فكرها السياسي إبان تلك المرحلة . فكان حزب الاتحاد السوري، وهو الحزب الوحيد الذي استطاع الحفاظ على استمراره ، منذ العهد الفيصلي إلى عهد الانتداب . تمحور برنامجه ومطالباته السياسية حول حق البلاد في أن تتحد معاً بحكومة مدنية مسؤولة أمام مجلس نيابي ينتخبه الشعب [٢]. وأكد برنامج أول حزب تأسس في عهد الانتداب وهو حزب الشعب على أن الوحدة الوطنية لأجزاء البلاد تشكل لدى الحزب استراتيجية ثابتة . ومما يجدر ذكره في هذا الصدد أن مؤسس هذا الحزب الدكتور عبد الرحمن الشهبندر ، كان هو الذي طرح الشعار السياسي المعروف آنذاك "لئن نغرق متحدين خيرٌ لنا من أن نعوم متفرقين" [٣].

أما الكتلة الوطنية ، فقد جعلت الوحدة الوطنية غايتها الأولى في برنامجها السياسي : تحرير البلاد السورية المنفصلة عن الدولة العثمانية من كل سلطة أجنبية وإيصالها إلى الاستقلال التام والسيادة الكاملة . وجمع أراضيها المجزأة في دولة

---

(١) جريدة الجزيرة ، ١٩٠ ، ١٩٣٥/٣/٢٧ .

(٢) محمد حرب فرزات ، تاريخ الأحزاب في سورية، ص ١٣٢ .

(٣) حسن الحكيم ، د. عبد الرحمن الشهبندر ، حياة وعصره ، ص ١٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذات حكومة واحدة ، على أن يبقى للبنان الحق في تقرير مصيره ضمن حدوده القديمة. وكانت البيانات الصادرة عن الكتلة ، خلال فترة قيادتها للعمل السياسي وسيطرتها عليه ١٩٢٨-١٩٣٩ ، تعبر عن الفكر السياسي نفسه بخصوص الوحدة الوطنية ، فبعد مقابلة أحد الوفود العلوية لرئيس الكتلة الوطنية هاشم الأتاسي ، أصدرت الكتلة في السابع عشر من آذار ١٩٣٦ بياناً ، أكدت فيه بصراحة ووضوح اتخاذها الرابطة الوطنية آصرة تجمع ضمن إطارها أبناء الشعب السوري كافة ، ومما جاء في البيان : "لا يسع الكتلة الوطنية ، بعد أن تقدم ممثلو إخوانها العلويين ، وزعماء عشائرهم ، وممثلو الطوائف المسيحية الشقيقة بوضع ثقتهم بها ، وتضامنهم معها بمطالب البلاد المشروعة ، إلا أن تقدم شكرها الجزيل على هذه الثقة الغالية التي لها قيمتها في صميم قلب الأمة السورية ، وإلا أن تبادل العلويين وإخوانهم المسيحيين من سكان العلويين ثقة بثقة ، وولاء بولاء ، وحباً بحب وإخاء بإخاء ، وتضامناً بتضامن ، وتكاتفاً ، مقروناً بحفظ حق العلويين والمسيحيين المقدس ، والذي هو جزء لا يتجزأ، وفلذة لا تنفك ولا تنفصل عن حق سورية بالحياة الحرة . أيها العلوي النبيل : إن أخاك السوري يمد لك يده مصافحاً ويعاهدك باسم الوطن المقدس على التآخي ، والتآزر ، والتعاضد ليصون حقك كاملاً ، ولتكون ساعده في تحقيق رسالة العرب وبنيان صرحهم . ولتعش سورية حرة موحدة" (١).

والمتأمل لبرنامج الحزب القومي السوري الاجتماعي ، يجد أن الرابطة الوطنية كانت مبرر وجوده وغايته التي من اجلها يعمل . أكدت هذا مبادئ الحزب الثمانية ، التي اعتبرت أن سورية للسوريين ، وأن السوريين أمة تامة وهي مجتمع

---

(١) عبد الرحمن الكيالي ، المراحل الجزء الرابع ص ٢٦٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واحد ، يعيش في الوطن السوري الذي هو البيئة الطبيعية لنشوء الأمة السورية ، بما اتسم به من حدود جغرافية متميزة عما سواها [١]. انطلق انطون سعادة مؤسس الحزب من هذه المبادئ والقناعات ليقول : "إن فكرة الجامعة الدينية السياسية منافية للقومية عموماً ، وللقومية السورية خصوصاً . فتمسك السوريين المسيحيين بالجامعة الدينية يجعل منهم مجموعاً ذا مصلحة متضاربة مع مصالح مجاميع دينية أخرى ضمن الوطن ، ويعرّض مصالحهم للذوبان في مصالح الأقوام التي تربطهم بها رابطة الدين . وكذلك تشبث السوريين المحمديين بالجامعة الدينية يعرض مصالحهم للتضارب مع مصالح أبناء وطنهم الذين هم من غير دينهم ، وللتلاشي في مصالح الجامعة الكبرى المعرض أساساً لتقلبات أغلبية العصبيات كما تلاشت في العهد العباسي والعهد التركي"[٢]. أما بالنسبة لبرامج الأحزاب والتنظيمات الإسلامية والقومية والشيوعية ، فان الوحدة الوطنية ونبذ الطائفية فيها كانت بمثابة تحصل الحاصل كونها تنطلق بغاياتها الوحدوية أصلاً إلى ما هو ابعد من الحدود الإقليمية والقطرية.

---

(١) أنطون سعادة ، الدليل إلى العقيدة السورية ، ص ٣٢ .

(٢) أنطون سعادة ، المصدر نفسه ، ص ٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع

علاقة الفكر السياسي بالنظريات السياسية الغربية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البدايات الأولى للاتصال بالغرب والتأثر به:

لعله من المهم أن نعود بالذاكرة إلى البدايات الأولى للاتصال بالغرب ، والتأثر بفكره السياسي . ذلك أن ما شهدته حقبة الانتداب من تفاعل مع النظريات السياسية المعاصرة لم يكن وليد ساعته بل هو في الحقيقة استمرار للذي بدأ منذ مطلع القرن السابع عشر عن طريق الإرساليات الدينية والتبشيرية [١]. وكان للتنافس الذي تم بين البعثات التبشيرية للطوائف المختلفة ، أن دفع بهؤلاء المبشرين أن يساهموا في حركة إحياء الأدب العربي وما ارتبط به من حركة فكرية لم تلبث أن تحولت من الأدب إلى السياسة [٢].

كانت المدارس هي إحدى أهم الوسائل العلمية للإرساليات التبشيرية كمؤسسات تعمل من خلالها هذه الإرساليات . ومن هنا يظهر الإهتمام الشديد عند كل الطوائف المسيحية التبشيرية بإنشاء مدارس لها ، ما لبث أن تحول بعضها إلى جامعات تعمل على الهدف التبشيري نفسه . كما هو الحال بالنسبة للجامعة الأمريكية في بيروت ، حيث كان الدكتور دانيال بلس قد قدم إلى سورية مرسلاً للتبشير سنة ١٨٥٦ ، وقام بتشكيل لجنة لتأسيس جامعة في بيروت . والتي وعمدت سنة ١٨٨٢ إلى جعل اللغة الإنجليزية لغة التدريس بدل العربية . ويعلق الدكتور عبد الكريم غرايبة على ذلك بقوله : "ومن أظرف الأمور أن يشعر المسؤولون بأن العربية صالحة كلغة تدريس يوم لم يكن فيها كتاب علمي واحد ، ولما أن تمت ترجمة وطبع

---

(١) جورج أنطونيوس ، يقظة العرب ، ص ٨٦ . وما بعدها .

(٢) د. محمود صالح منسي ، حركة اليقظة الفكرية في الشرق الأسيوي ، دار الاتحاد العربي للطباعة ، القاهرة ، ص ٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكتب العلمية الأساسية إلى العربية ادعوا بأنها غير صالحة ، وربما وجدنا السبب الحقيقي في الدوائر التبشيرية الاستعمارية في الغرب التي كان من أهدافها تشجيع العربية في فترة ومحاربتها في فترة أخرى"[١].

وطبيعة البحث هنا لا تسمح لنا بمعالجة ومتابعة موضوع التبشير والنشاط الإرسالي كمظهر من مظاهر التغلغل الغربي ، وتبيان أثره الثقافي في الفكر السياسي في سورية . إلا أنه يمكن القول أن هذا النشاط الإرسالي الغربي افرز فئات مؤهلة ومستعدة للعمل في خدمة القنصليات الأوروبية ، وعمليات التبادل التجارية الأوروبية الناشطة ، بين أوروبا ، وأسواق المشرق العربي الذي كان في ذلك الحين تحت الحكم العثماني[٢] .

لكن حتى إذا ما حل الانتداب الفرنسي فان هذا التيار اتسع نطاقه وارتفع صوته ، عبر صحف ومجلات كان في طليعتها مجلة "الحديث" التي رأس تحريرها سامي الكيالي وصدر العدد الأول منها في الأول من كانون ثاني ١٩٢٧م والذي حددت افتتاحيته الخط الفكري للمجلة الداعي للانفتاح على الغرب والإقتداء به ، فبعد التأكيد على أن الشرق عامة يشهد حركة انقلاب فكري منذ منتصف القرن التاسع يقول مقال الافتتاحية الذي حدد سياسة المجلة ونزعتها الفكرية : "فما أحوج سورية الكبرى وما أحوج شبابها المستنير وقادة الفكر فيها ، ما أحوجهم أن يدخلوا الميدان بقلب ثابت وبنفس قوية ليدلوا برأيهم الواضح غير الملتوي في هذا الانقلاب الفكري

---

(١) د. عبد الكريم غرايبة ، سورية في القرن التاسع عشر ، جامعة الدول العربية ، معهد الدراسات العربية العالمية ، دار الجيل للطباعة ، القاهرة ص ١٧٣ .

(٢) د. وجيه كوثراني ، الاتجاهات الاجتماعية - السياسية ، ص ٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي يهز الشرق من أقصاه إلى أقصاه . والأمة السورية اليوم تشهد عن كثب ما يمثل على مسرح العالم الشرقي من التطورات، ويرى شبابها هذا النضال القوي القائم بين القديم والحديث ، ويعلمون أن للقديم أنصاراً وللحديث أنصاراً ، وأن كل فريق يعمل على تأييد مذهبه وتسفيه مذهب خصمه بدون هوادة أو لين ، بل بعنف يدفع إلى خصام غير محمود . تشهد الأمة السورية كل ذلك وهي دون الأحجام والأقدام ، لا تدري أتحافظ على قديمها أم تنكره لتقيم على أنقاضه حياة جديدة ؟! .. هي تفكر بهذا .. وقد تفكر طويلاً.. وقد ينتهي بها هذا التفكير إلى مستقبل مريع لا ندري أوله من آخره .. لذلك فقد وجب على الشباب المستنير أن يخرجوا عن صمتهم ، وأن يتناولوا هذه الأبحاث بالدرس والتحليل لنصل إلى نتيجة مرجوة ومضمونة العواقب"[١] ، وبهذا الاتجاه فقد كرست المجلة مواضيع أعدادها لتزيين الفكر الغربي وما وصل إليه من نظم في السياسة والاجتماع وعبرت عن ذلك بقولها: "وراء هذه الفكرة تصدر مجلة الحديث التي ستكون صحيفة الشباب المفكر في كل قطر شرقي ينطق أبناءه بالضاد ، ومرآة ينعكس على صفحاتها ما يجول بخواطر أنصار الجديد من الآراء الحديثة في كل فن ومطلب : فالأدب والتاريخ والاجتماع ، وفي العلم والفن والاقتصاد وفيما يعلي شأن المرأة التي لا تزال في دور الأمية [٢] . وفي سبيل ذلك اتخذت المجلة أساليب عدة في طرحها الفكري ، من أهمها المقارنة شبة الدائمة في أعدادها بين العلم والدين ، لتؤكد بذلك أن إتباع الأديان عموماً يقفون حائلاً دون التفكير العلمي ، تقول المجلة بهذا الصدد : "تحب

---

(١) مجلة الحديث ، العدد الأول ، السنة الأولى ، كانون الثاني ١٩٢٧ . ص ١.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن نفكر في الأمر تفكيراً علمياً مجرداً من الهوى مبرأ من الغرض، لا يتأثر بالعصبية الجنسية ولا الدينية فنرى أن الأمر قد سار في الشرق والغرب على أسلوب واحد . فلم يكد الإسلام ينتصر ويستقر في الأرض ويظفر بالسلطان السياسي وفرغ من الحرب والفتوح ، حتى كره الجديد أو قل حتى كره خلفاؤه الجديد واكثروا الحرص على القديم واستغلوا ميل العامة إلى القديم وحرصهم عليه ، واتخذوا هذا الاستغلال وسيلة إلى الحكم والتسلط ، فأنكروا كل جديد وحاربوه، وعلى هذا النحو سارت المسيحية في أوروبا . ولكن هنا وقفة يجب أن نقفها لنكون منصفين . فالحق أن ليس في طبيعة الإسلام ولا في طبيعة المسيحية ما يدعو إلى الاضطهاد ولا إلى محاربة الجديد ولا إلى مناهضة حرية الرأي. ولك أن تقرأ القرآن والأناجيل وتمعن في القراءة ، ولك أن تبحث وتمعن في البحث فلن تجد نصاً أو شبه نص ينكر التجديد ويدعوا إلى مناهضته أو يأخذ العقول بالجمود أو يحظر عليها حرية الرأي قليلاً أو كثيراً" [١]. كذلك جعلت من أساليبها أن اتخذت من الفكر الغربي وآراء مفكريه مثل "سبينوزا وفرويد وجان جاك رسو" وغيرهم مادة ثرية لها في سبيل الاتصال بالفكر الغربي والدعوى إليه فتحت عنوان النهضة الجبارة : كتب أحد كتاب المجلة في مقال له يقول "الآن وفي تلك الساعة الهادئة من الليل المرتشح بردائه المهيب، الليل الأخرس والصامت كالقبر اجلس إلى مكتبي لأكتب إلى صديق نفسي ، والذي دفعه الحنق على العتيق الخائر ، وحمل الفأس والمعول ليهدم ما شاده المحافظون الأغبياء من صروح براقة جوفاء . ذلك هو الحديث ينبثق من أفق الثقافة الحقة كالفجر ، فطوبى لأولئك الذين يشهدون النور فيتقدمون إلى السير في سناه ،

(١) مجلة الحديث ، العدد الأول ، السنة الأولى، كانون ثاني ، ١٩٢٧ . ص ٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والويل لأولئك الذين يتعامون عنه مفضلين الخبء في الظلمات القاتمة ، والسير في الطرقات المعوجة الوعرة ، المحفوفة بالأشواك ، يعتقد المخرفون من أنصار القديم أن المحافظة على النهج الذي سلكه أدباء العرب الأقدمين أمر واجب برغم ذلك التطور الاجتماعي الذي وصلت حالة العالم إليه في القرن العشرين . ويكرهون أوروبا لاعتقادهم أن حضارة أهلها قد نفثت في حياة الشرقيين الجميلة التي ترتع في بحبوحة الطهر روح فسق وخلاعة" [١].

وإذا استعرضنا بعض العناوين التي جاءت في إعداد المجلة فسوف نجد أنها كانت تعكس باستمرار غاية المجلة ورسالتها فعلى سبيل المثال كان من عناوينها' ضمت أفكار" "بر واشنغتون بوالدته"[٢] "صيحة في آذان الشباب"[٣] "بين العلم والدين"[٤] وهذا عنوان شبه دائم كما أسلفنا "العظماء وحرية الفكر"[٥] حقوق المرأة السياسية في فرنسا"[٦] "هل في سورية نهضة علمية"[٧] "الاشتراكية ونقابات العمال"[٨] "التحول الاجتماعي في الشرق ونصيب سورية منه"[٩] .

جريدة سورية الجديدة تبنت هي الأخرى الدعوة للانفتاح على الفكر الغربي العلمانية فيه، منذ الأيام الأولى للانتداب . فتحت عنوان المدارس العلمانية تقول الجريدة في أحد أعدادها: "لقد اكتفينا في عدد الأمس بالإشارة إلى هذا الموضوع بعبارة وجيزة صغيرة خوفاً من أن يكون القراء على غير استعداد لقرائتها فيرموننا بالكفر والابتعاد عن الدين. إننا نريد أن نقول أن التعصب الديني هو علة الكبرى

---

(١) مجلة الحديث ، العدد ٣ ، تاريخ آذار ١٩٢٧.

(٢) مجلة الحديث، العدد ١، كانون ثاني ١٩٢٧. (٣) مجلة الحديث ، العدد ٢ ، شباط ١٩٢٧ .

(٤) مجلة الحديث ، العدد ٢ ، شباط ١٩٢٧ . (٥) مجلة الحديث ، العدد ٤ ، نيسان ١٩٢٧.

(٦) مجلة الحديث ، العدد ٣ ، آذار ١٩٢٧ . (٧) مجلة الحديث ، العدد ٨ ، آب ١٩٢٧ .

(٨) مجلة الحديث ، العدد ٩ ، ايلول ١٩٢٧ . (٩) مجلة الحديث ، العدد ٩ ، ايلول ١٩٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وان مدارسنا إذا لم تنشئ طلبتها على التعاليم الحرة لا تتمكن من مداواة هذا الداء الوبيل الذي كاد أن يقضي على حياتنا الاجتماعية ومن يبحث في فلسفة رقي الأمم ونجاحها يتأكد تماماً أن أسباب النجاح هي المدرسة الحرة التي تزرع في صدور طلبتها بذور التساهل والمحبة والسلام . فانتشار المدارس الحرة في البلاد دليل على نجاحها ورقيها لأنه لم تتحرر أمة لن تتحرر مدرستها وعندنا أن الانقلابات السياسية العظيمة والانتصارات في الحروب وكل ذلك لا يؤثر شيئاً في رقي الأمم إذا لم تنشأ الأمة على التعابير الحرة. فإذا كنا نريد أن تخلص من هذه التعصبات المنتشرة بين المسلمين وبين المسيحيين علينا بتحرير مدارسنا لتتحرر عقول الناشئة الجديدة من مثل هذه الترهات علينا بهدم المدرسة التي تقوي فينا النعرة الإسلامية والنعرة الارثوذوكسية والنعرة الكاثولوكية وإلا فالتعصب سيتأصل فينا يوماً بعد يوم والأمة تبقى على ما هي عليه" [١].

وفي ظل ثقافة الانفتاح على الفكر الغربي تعززت الدعوة لتبني نظرياته السياسية والتفاعل معها . وكانت أهم النظرات التي تفاعل الفكر السياسي معها هي:

أولاً: الديمقراطية :

فيما ترى معظم المصادر والمراجع ، أن الديمقراطية ما استطاعت لغاية الآن أن تأخذ لنفسها تعريفاً محدداً يعبر عن ماهيتها ومعناها ، رغم أن الكثير من الأنظمة السياسية ، خصوصاً المعاصرة منها حاولت أن تتلبس بالديمقراطية وتلتصق بها.

---

(١) جريدة سورية الجديدة ، العدد ٤٨٥ ، تاريخ ١٩٢٠/١٠/٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعل هذا هو السبب في جعل المفاهيم الديمقراطية مرنة ومطاطة يتعامل معها كل نظام بالطريقة التي تتلاءم مع طبيعته ومكوناته الفكرية . لكن مع هذا فلعل التعريف القائل بأن الديمقراطية هي : "حكم الشعب بالشعب وللشعب" ، يكون اكثر التعاريف شمولاً لمعاني الديمقرطية ومدلولاتها . وذلك بمعنى أن تكون السلطة في أيدي جميع فئات الشعب بدون أن تستحوذ عليها فئة واحدة أو طبقة معينة ، وأن يستهدف الحكم خير الشعب ورفاهيته بتحقيق العدالة الاجتماعية والنهوض بالمستوى الاقتصادي[١].

وفي سبيل تحقيق ذلك اتخذت الديمقراطية من النظم البرلمانية النيابية وسيلة عملية لها . والتي تعني أن يساهم جميع أفراد الشعب ، أو قسم كبير منهم في ممارسة القوة المسيطرة النهائية وذلك عن طريق ممثلين عنهم ينتخبونهم دورياً [٢].

وفي الوطن العربي استطاعت المبادئ والأفكار الديمقراطية أن تتسرب إليه أثناء اليقظة الفكرية العامة . وكونت تياراً سياسياً يدعو إلى تطبيقها ، فكان الإقتداء بالغرب المسيطر سياسياً وعسكرياً واقتصادياً وثقافياً هو القاعدة لقد كان حقاً تقليد المغلوب للغالب في كل شيء ولا عجب أن طالب المفكرون السياسيون ببناء دولهم على قواعد الحكم الدستوري النيابي المؤسس على تعدد الأحزاب والحريات العامة والفردية . واستناداً إلى المفهوم الغربي للديمقراطية[٣] . ويستطيع الباحث في هذا المجال أن يسجل تقدماً للفكر السياسي في بلاد الشام على ما سواه في الوطن

---

(١) د. أنور احمد رسلان ، الديمقراطية بين الفكر الفردي والفكر اشتراكي ، دار النهضة العربية القاهرة ، ١٩٧١ ، ص ٣٣ .

(٢) جون ستيورت مل ، الحكومات البرلمانية ترجمة إميل الغوري ، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر ، دمشق ، ص ٤٦ .

(٣) د. علي محافظة الفكر السياسي في فلسطين ص . ١٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العربي. يشهد لهذا ما قام به مفكرو بلاد الشام من دور مميز في المساهمات الفكرية والعملية في ما عرف بالحركة الإصلاحية في الدولة العثمانية . والتي كان من أهم نتائجها إعلان دستور للبلاد عام ١٨٧٦م وهي السنة نفسها التي استلم فيها السلطان عبد الحميد الحكم (١).

كان من نتيجة العمل بالدستور ، أن انتخب مجلس نيابي -مجلس المبعوثان- واجتمع هذا المجلس واخذ يمارس صلاحياته . وكان من أعضائه العرب يوسف ضياء الخالدي عن القدس ، ونافع الجابري عن حلب ، وخالد الأتاسي عن حمص ، وحسين بيهم ، ونقولا نقاش عن بيروت ، ونوفل نوفل عن طرابلس الشام ، والأمير أمين أرسلان عن جبل لبنان ، وكان السلطان عبد الحميد قد حضر حفل افتتاح ذلك المجلس النيابي (٢).

إن مشاركة مثل هؤلاء النواب العرب من بلاد الشام ، رغم قلة عددهم ذات دلالات واضحة كما سلفت الإشارة إليه ، بان لعبوا دوراً متقدماً بالمناداة بالفكر السياسي الديمقراطي . وهذا ما أكده عبد الحميد الزهراوي حين قال: "ولا تحسبن أن مفكري الأمة من سورية وغيرها من البلاد العربية كانوا متأخرين عن هذه الحركة الفكرية السياسية التي إنبجست يوماً من الأيام دفعة واحدة ، كلا بل كان منهم عدد كبير مع الجيش القلمي والسيفي ، في كل مواطن هذا الجهاد السياسي في أوروبا ومصر والروملّي وأستانة وسائر الولايات" (٣).

---

(١) سليمان البستاني ، الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده ص ، ٢٧ .

(٢) محمد عزة دروزة ، نشأة الحركة العربية الحديثة ، الجزء الثالث ، ص ١٦٧ .

(٣) عبد الحميد الزهراوي ، الإرث الفكري ، ص ٢١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وشهد المجلس النيابي الذي تم انتخابه سنة ١٩٠٨ بعد إعادة العمل بالدستور تطوراً في هذا الاتجاه . حيث كان ما يقارب ربع أعضاء المجلس من العرب ومن بلاد الشام على وجه الخصوص [١].

الديمقراطية في العهد الفيصلي :

المؤتمر السوري ١٩١٩- ١٩٢٠ :

افتتح الأمير فيصل هذا المؤتمر في السابع من حزيران ١٩١٩م في قاعة النادي العربي بدمشق ، وفي هذه الجلسة حدّد دور المؤتمر بما يلي : "تمثيل البلاد أمام اللجنة الأمريكية وعرض أمانيها ، وفي سن قانونها الأساسي"[٢]. واستمرت اجتماعات المؤتمر ، وفي جلسته التي عقدها في العشرين من تموز ١٩١٩م ، أصدر قراره الجماعي الذي يطالب بالاستقلال التام الناجز . كما اعد المؤتمر قراره المؤلف من عشرة بنود وقدمه إلى لجنة الاستفتاء الدولية مبيناً فيه مطالب الشعب السوري [٣].

ويمكننا تحديد قيام الحياة النيابية التمثيلية في سورية بنشأة المؤتمر السوري ، حيث ظهر في قراراته الاهتمام بالمشاكل على الصعيدين الداخلي والخارجي ، وعالج مختلف الموضوعات التي تهم الشعب السوري ، بل كثيراً ما انعكست الأحوال التي تمر بها سورية على الجلسات ، فكانت صورة حقيقة للأحداث الجارية،

---

(١) زين نور الدين زين ، نشؤ القومية العربية ، ص ٥٨ .

(٢) انظر د. خيرية قاسمية ، الحكومة العربية في دمشق ، ص ١١١-١١٢ .

(٣) حسن الحكيم ، الوثائق التاريخية ، ص ٩١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ففي جلسة المؤتمر المنعقدة في الثاني والعشرين من تشرين الثاني ١٩١٩م ، عرض الحاكم العسكري العام الوضع الراهن في سورية بعد أن دخلها الجيش العربي بمساعدة الحلفاء ، وأشار إلى أن الأمير فيصل ذهب إلى مؤتمر الصلح للدفاع عن حقوق البلاد [١].

كما أن تسرب الأخبار عن تقسيم الأراضي السورية بناء على اتفاقية سايكس بيكو، جعلت المؤتمر يتخذ موقفاً واضحاً يستنكر فيه ما يخطط للبلاد وأعطى الأمة التي يمثلها حق الدفاع عن وحدتها واستقلالها . ثم ذكّر الأمير فيصل بان الحكومة يجب أن تكون وطنية ولمجلس الأمة حق المراقبة عليها ضمن القانون الأساسي ، وجاء في ختام الخطاب الذي وجهه المؤتمر للأمير فيصل المطالبة بتشكيل حكومة مسؤولة أمام الأمة [٢].

الدستور :

من أهم الأمور التي قام لأجلها المؤتمر السوري هي وضع دستور -قانون أساسي- للبلاد. ويعطي هذا العمل صفة المجلس التأسيسي للمؤتمر . وقد وضع الدستور بشكل يختلف تماماً عن الدساتير التي وضعت فيما بعد لسورية ، فكان ملكياً ديمقراطياً يأخذ بنظام المجلسين -مجلس النواب ومجلس الشيوخ- . كما انه نظم

---

(١) جريدة العاصمة ، ٨٩ ، ١٩١٩/١٠/٢٧ .

(٢) المصدر نفسه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طريقة الحكم على قاعدة الاستقلال الإداري ، أو اللامركزية الواسعة وطرح أربع نقاط رئيسية هي[١] :

١- شكل الحكم : ملكي مقيد .

٢- نظام الحكم: برلماني والسلطة التنفيذية فيه مسؤولة أمام السلطة التشريعية.

٣- تتألف المملكة من مقاطعات تتمتع باستقلال واسع محلي ، ولكل مقاطعة مجلس نيابي يقوم بأعباء المقاطعة وليس له أن يسن قانوناً يخالف نص القانون الأساسي .

٤- يتضمن المشروع فصلاً في الحياة العامة والحقوق الشخصية .

ولعل أهم ما قام به المؤتمر انه استطاع أن يظهر بمظهر الممثل للشعب السوري، خاصة وانه شهد بدايات الحياة الحزبية البرلمانية ، حيث ضم تشكيلاً لحزبين هامين هما الحزب الحر المعتدل ، وحزب الاستقلال العربي ، الذي يطالب باستقلال البلاد العربية مع تكوين اتحاد فيما بينها ، وحزب الاتحاد السوري [٢].

وبهذا يظهر جلياً الدور الذي مارسه المفكرون السياسيون نظرياً وعملياً ، في تهيئة الأجواء الفكرية للديمقراطية والدعوة إليها . حتى إذا ما كانت مرحلة الانتداب، كان التوجه الديمقراطي يشكل سمة عامة للفكر السياسي ودعاته.

---

(١) ناهد عبد الكريم ، المجالس النيابية في سورية ودورها في السياسية الداخلية والخارجية ، ١٩٢٠ - ١٩٤٣ ، ص ٢٧ ، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ العربي الحديث باشراف الدكتور احمد طربين بقسم التاريخ في كلة الاداب في جامعة دمشق ، سنة ١٩٨٣ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الديمقراطية والحريات العامة في عهد الانتداب:

شنت مجلة الثقافة المشار إليها سابقاً حملة إعلامية ضد من رأتهم دعاة للانغلاق وكبت الحريات بالتزامهم بالماضي والتراث . فانسجاماً مع خطها الفكري الداعي للإقتداء بالغرب والانفتاح عليه ، جعلت من الكلام حول الحريات العامة والديمقراطية الغربية، موضوعات لها . تتناولها بالدرس والتحليل ، محاولة بذلك إبراز إيجابياتها وحسناتها ، لتقارن فيما بينها وبين حال الشرق ، فتحت عنوان حرية الرأي في الشرق كتبت تقول : "إن صح ما أقره علماء الاجتماع المعاصرون من أن للجماعات في تطورها ، كما للأفراد في حياتها ، مراحل لا بد من قطعها ومناطق لا مندوحة عن اجتيازها ، في الانتقال من حال إلى حال ، فأبناء القطر السوري وكثير غيره من أقطار الشرق العربي يجتازون اليوم في بعض وجوه تفكيرهم وإبداء آرائهم وكثير من أوضاعهم الاجتماعية ، مراحل قطعها أبناء الغرب في أواخر القرون الوسطى التي انقضت منذ خمسمائة عام تقريباً . وهي حقيقة يحتاج التصريح بها لشيء من الجرأة ، وعلى الأخص إذا كان قائلها من هؤلاء الذين درسوا في جامعات الغرب . لأن أكثر هؤلاء قد اتهموا في جميع أقطار الشرق العربي بتهمة -حبك الشيء يعمي ويصم- ، لا لأنهم احبوا ما رأوه في الغرب فأعماهم ذلك عن الحقائق ، بل لأن أخصامهم من ذوي الأفكار المتجمدة وجدوا في العداء السياسي القائم بين الشرق والغرب تلمة إنحدروا منها للوصول إلى أغراضهم في تصغير شأن أخصامهم والنيل منهم فكان لهم ما أرادوا في شعب لم تزل العاطفة الهوجاء لا تقيم فيه على الغالب للعقل حساباً أو وزناً . وتتابع المجلة مقالها الطويل هذا حتى تقول : "ولعل اصح صور الشبه وأبرزها في المقابلة بين ما كان عليه الغرب في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أواخر القرون الوسطى هي حرية الرأي ومظاهرها . فيعتقد الكثيرون ممن لم يفرقوا بعد بين الحق والواقع في أقطار الشرق العربي ، أن الناس أحرار في إبداء آرائهم وبسط ما يجول في خواطرهم للناس ، ويستدلون على ذلك بما جاء مثلاً في المادة السادسة عشرة من الدستور السوري ، وما ورد في غيره من المواد في دستاتير الأقطار العربية الأخرى ، التي تنص كلها إن حرية الرأي مكفولة ، وأن لكل شخص حق الأعراب عن رأيه . وهي نصوص يكتفي الباحث بقليل من التحليل والاستقصاء، حتى يعرف إنها تخالف الواقع ولا تتفق معه ، فهي رماد يذر في أعين البسطاء من الناس ليخفي عنهم تأثير العرف القديم والتقاليد البالية التي ما برح الحاكم المطلق في أقدار الكتّاب والأدباء والمفكرين والمسيطر الأول على إبداء الرأي وإعلان ما يهجس في نفوسهم ويجول في خواطرهم من آراء وعقائد" [١].

لكن في مقابل ذلك فقد كان للدكتور عبد الرحمن الشهبندر رأي أخر في الفهم والممارسة الديمقراطية . فهو يقول: "أما إذا كان القطر العربي متمتع باستقلاله التام فخير ما يناله أن تتاح له يد مستبدة عادلة ، تنقله من الفوضى التي تتخبط بها أكثر الأمم الحاضرة ، خصوصاً من كان مثلنا حديث عهد بالشؤون الدستورية ، ولم يتجهز بعد أبناءه بالتربية التي تؤهلهم بمثل هذا الحكم الدقيق . بيد أن ومن واجب الأمم التي لا تزال تكافح من أجل إستقلالها أن تصرّ على إقامة مؤسسات برلمانية تامة" [٢] .

---

(١) مجلة الثقافة ، السنة الأولى ، عدد حزيران ، ١٩٣٣ .

(٢) د. عبد الرحمن الشهبدر ، القضايا الاجتماعية الكبرى في العالم العربي ، ص ٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبهذا ربما أعطى المجلسان البرلمانيان ، الجمعية التأسيسية – المجلس التأسيسي– سنة ١٩٢٨م، والمجلس الذي تشكل سنة ١٩٣٦م ربما أعطى هذان المجلسان مجالاً للوقوف على مدى التوجه الديمقراطي لدى الفكر السياسي، في الفهم والممارسة.

المجلس التأسيسي لعام ١٩٢٨ والدستور :

أطلق على مجلس عام ١٩٢٨م ، المجلس التأسيسي ، تمييزاً له عن غيره من المجالس التمثيلية والاستشارية وقد سمي بالمجلس التأسيسي لأنه كان تأسيسياً للمجالس اللاحقة التي أتت بعده . وتركزت جهوده على الأسس الرئيسية، وأهمها قضية الدستور ، إلا انه ومنذ أن افتتح المجلس جلسته الأولى في التاسع من حزيران ١٩٢٨ ، كانت نذر الخلاف بين السلطة المنتدبة والمجلس واضحة ، فقد ألقى المفوض السامي بونسو خطاباً لمح فيه بتهديدات فرنسا في حال خروج المجلس عن إرادتها وصلاحيتها ، وأشار إلى رغبة فرنسا في أن تعيش سورية حياة دستورية ، لذلك فقد لازم انعقاده حذر فرنسي شديد(١).

وبالرغم من أن حياة هذه المجلس كانت قصيرة لم تتجاوز الشهرين حيث افتتح في التاسع من حزيران ١٩٢٨ وعطل عمله في آب من العام نفسه ، إلا انه

---

(١) وجيه الحفار ، الدستور والحكم في الجمهورية السورية ، ص ٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حفل بالمواقف التي أكدت الرغبة الشعبية في المصادقة على القرارات التي تحقق مصالح الأمة [١] .

رئاسة المجلس ولجانه :

وقبل أن يتصدى المجلس لبحث المواضيع المطروحة عليه ، تم إجراء انتخابات رئاسة المجلس واللجان ، وأسفرت عن نتائج مرضية لصالح الوطنين، حيث استلم هاشم الأتاسي منصب الرئاسة بأغلبية ثمان وأربعين صوتاً مقابل ثمانية عشر صوتاً نالها منافسة محمد اليحيى أكبر الأعضاء سناً . وفاز إبراهيم هنانو برئاسة لجنة وضع الدستور يساعده فوزي الغزي . كما انتخب عدد من الوطنين برئاسة لجان أخرى وبدا وكأنهم يسيطرون على المجلس[٢] .

الدستور:

كانت الغاية الأولى التي تشكل لأجلها المجلس ، هي سن دستور للبلاد . فبعد أن تم توزيع اللجان ، تفرغت لجنة وضع الدستور المكونة من سبعة وعشرين عضو [٣] لعملها ، تم تخصيص الجلسة الثالثة في الثاني عشر من حزيران لسن الدستور، وفيها عرف النائب فوزي الغزي طبيعة هذا الدستور "بأنه حلقة من سلسلة

---

(١) ناهد عبد الكريم ، المجالس النيابية في سورية ، ص ٥٧ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٥٨ .

(٣) وجيه الحفار ، الدستور والحكم ، ص ٥١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مطاليب أجمعت الأمة عليها" [١]. كما قدمت اللجنة تقريراً عن الأسباب الموجبة لوضع الدستور ، جاء فيه أنها وضعت نصب أعينها في كل أبحاثها ودروسها ، حالة البلاد وما تصبو إليه من استقلال ووحدة وما تتطلبه من حياة ديمقراطية تتفق مع رقيها وحضارتها ، أو تلائم رغبات أهلها على اختلاف مذاهبهم ومشار بهم ، وإنها قد تذرعت بما يلائم ذلك من الأسس والمبادئ دون إفراط في الحريات الشخصية ، ولا تفريط في حقوق الإفراط والجماعات مع حفظ التوازن بين الأمة والحكومة والقوانين التشريعية والتنفيذية [٢].

وبما أن اللجنة السورية النيابية كانت تضم زعماء الحركة الوطنية فقد اعتبر الدستور أداة صالحة لإدارة البلاد والنهوض بها وتنظيم العلاقات بين الدولة والأفراد[٣] . واحتوى الدستور على -١١٥- مادة موزعة على ثلاثة أبواب تتعلق بالأحكام الأساسية ، وبالسلطات والمحكمة العليا ، وكان أهم تلك المواد تلك التي ضمت صلاحيات الدولة وحقوقها ، ففي المادة -٢٩- التاسعة والعشرون جاء "الأمة مصدر السلطات" فتحققت بذلك أول أمنية من أماني البلاد المرتكزة على إرادة الشعب . ثم دعمتها المادة الثانية التي تنص على وحدة البلاد كاملة . وأكدت توجهها الديمقراطي في المادة الثالثة التي أعلنت أن الجمهورية السورية جمهورية نيابية ، واعتبر الوزراء مسؤولين منفردين ومجتمعين أمام السلطة التشريعية ، أي أنها

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٥٧ .

(٢) وجيه الحفار ، المصدر السابق ، ص ٥٠-٥١ .

(٣) وجيه الحفار ، المصدر السابق ، ص ٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أخضعت السلطة التنفيذية لإرادة الشعب . أما باقي المواد فقد بحثت في حقوق الأفراد وفي صلاحيات المجلس النيابي [١].

وبإقرار المادة الثالثة للنظام الجمهوري ، يكون الاتجاه الجمهوري داخل الكتلة الوطنية قد استطاع السيطرة على الاتجاه الذي نادى بالنظام الملكي . وفي الحقيقة أن نظام الحكم والشكل الذي يكون عليه كان أحد المواضيع التي أبدى الفكر السياسي فيها اهتماماً ، وإن كان ضئيلاً ، ففيما رأى أصحاب الاتجاه الداعي لتأييد النظام الجمهوري أن مبرراتهم تقوم على ما يلي وهي كما وردت بمقال للدكتور منير العجلاني [٢]:

١- لا يوجد مرشح جدي يجتمع حوله السوريون مثل فيصل ، وفيصل لم يرشح نفسه وهو الآن في العراق.

٢- الحذر من الملوك، فسمعة الملوك في سورية ليست محمودة ولا حسنة.

٣- وهناك مثال فرنسا والجمهوريات الحديثة ، اعتنقت الجمهورية فلماذا لا تكون سورية هي كذلك . أنها لا تقلد الدول الأوروبية فهناك دول ملكية كإنجلترا وبلجيكا . وسورية لم تقلد واحدة منها . ولكن نجاح الحكم الجمهوري في طائفة من الدول حملها على البحث فيه ، وقد انتهت من بحثها إلى أنها ليس هناك ما يمنعها من اتخاذه أسلوباً لحكمها الوطني.

---

(١) انظر مواد الدستور كاملة في الملحق رقم ١ .

(٢) جريدة الجزيرة ، ٣٨٨ ، ١٩٣٥/١/١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤- هو أن الملك ليس كما يزعم البعض ، الرمز الذي لا تتم وحدة إلا إذا اجتمع حول شخصيته القوية . فالوطن هو الحرم المقدس الذي تجتمع حوله القلوب.

٥- أساليب الحكم الجمهوري موافقة للدين الإسلامي ، وإذا رجعنا إلى الشروط التي رآها الماوردي واجبة على الخليفة في إصدار قرار فإنها تتلخص في ثلاثة أمور :

أ- أن يدعو الرجال العقلاء للمناقشة للقضايا التي فيها نفع للشعب.

ب- أن يقرر ما يوافق قناعات العقلاء.

جـ- أن يمتنع عن إتمام عمل ليست غايته النفع العام .

وبهذا يرى المؤيدون للنظام الجمهوري انه لا يخالف الدين على حسب ما يزعم المؤيدون للنظام الملكي .

أما الذين تبنوا الدعوة للنظام الملكي فقد استندت مبرراتهم إلى ما يلي [١]:

١- إن الإمام أو الأمير في نظر الشرق وفي عرف الإسلام ليس بالعامل المأجور لمدة ثلاث أو أربعة سنوات . لأنه في النص الشرعي لا يعزل الإمام أو الأمير إلا إذا هدم الشرع ، وذلك خشية من وقوع الفتن والدسائس بين الناس عند العزل.

٢- إن الحكم الجمهوري لا يلتئم بوجه من الوجوه مع روحية أهل البلاد ، ويخالف كل المخالفة عاداتها المألوفة وتقاليدها التاريخية وعقائدها الدينية بالنظر لما أجمعت عله الأمة الإسلامية من عهد الخلفاء الراشدين إلى يومنا هذا .

---

(١) انظر د. ذوقان قرقوط ، المشرق العربي في مواجهة الاستعمار ، ص ٣٠٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- إن هذا النوع من الحكم يسبب دوماً عند تجدد الانتخابات حدوث الاضطراب في البلاد والمزاحمات بين الأفراد والجماعات على كرسي رئاسة الجمهورية ، مما يخلق الضغائن في النفوس ويكوّن العداوات بين الطوائف حتى وبين العائلات فتصبح الكلمة في البلاد متفرقة والبغضاء سائدة .

٤- إن الأكثرية الساحقة في البلاد مسلمة ، ولا يتعرّف الإسلام على شكل للحكم سوى الحكم الملكي ، حيث يجمع الملك بنفسه السلطتين الزمنية والروحية ويصدر المراسيم للقضاة والمفتين والأئمة والخطباء ، وتتلى باسمه في أيام الجمع والعيدين الخطب . وأما إذا كان الحكم جمهورياً فكيف تكون الحالة حينئذٍ؟ على أن الشرقيين عامة ، والعرب خاصة ، ومنهم السوريون ، سوف لا تجتمع كلمتهم إلا على الملك الذي يحكم بالشورى.

ومما ينبغي الإشارة إليه هنا ، أن هذا الخلاف جاء في ظل الأطماع الإقليمية بعرش سورية من قبل الهاشميين والسعوديين ، فقد اظهر كل من الطرفين أطماعه في عرش سورية . فمنذ استقرار الأمير عبد الله في شرقي الأردن ، قام بنشاط سياسي واسع في حوران وجبل الدروز لضمهما إلى إمارته تمهيداً لتحرير بقية البلاد السورية من الاحتلال الفرنسي ، واتصل بأعيان حوران والجبل من اجل هذه الغاية. ولم تتردد حكومة شرقي الأردن في مد يد العون للثوار السوريين في عامي ١٩٢٥-١٩٢٦ ، واشتد النشاط الهاشمي بعد عقد المعاهدة العراقية البريطانية ١٩٣٠. وإعلان فرنسا عن نيتها إبرام معاهدة ، هذا في الوقت الذي سعى فيه بعض

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قادة الكتلة الوطنية إلى طلب العون من ابن سعود للحد من النفوذ الهاشمي في صفوف الكتلة نفسها [١].

من جانبهم كان السعوديون قد افصحوا عن أطماعهم بعرش سورية بأكثر من مناسبة ، فحينما قدم الملك علي بن الحسين في زيارة لبيروت في كانون ثاني ١٩٣١، كان قد آثار مخاوف السعودية وقنصلها في بيروت ، الشيخ فؤاد حمزة الذي قدم مذكرة إلى المفوض السامي الفرنسي في العشرين من نيسان ١٩٣١ ، أكد فيها على الأخطار التي قد تنجم عن ارتقاء الملك علي عرش سورية ، وجاء فيها وفي حالة صحة الأنباء ، من السهل أن نتصور الأخطار التي تهدد فرنسا ، إذا علمنا أن ثلاثة أقطار من الهلال الخصيب سيحتلها ثلاثة من الاخوة المتضامنين الذين سيتصدون لفرنسا ويتحدون ضدها ، وإذا قدر لهذا المشروع أن يتحقق فسوف تتوفر للهاشميين فرصة ثمينة لحبك المؤامرات ضد صاحب الجلالة ابن سعود وضد بلاده[٢].

وفي الواقع أن فكرة التعاون مع ابن سعود تعود إلى عام ١٩٢٦ ، عندما أوفد الثوار السوريون شكري القوتلي وبعض الشخصيات إلى الملك عبد العزيز لطلب المساعدة منها . ولعب القنصل السعودي في دمشق ، أثناء ذلك دوراً نشطاً في كسب ولاء قيادات الكتلة الوطنية إلى السعودية ، فقد شارك ف اجتماعات المكتب الوطني للجمعية التأسيسية السورية في الثالث عشر من آب ١٩٢٨ [٣].

---

(١) د. علي محافظة ، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية ، ص ١١٧ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٢٠ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبتمكن المجلس بسن الدستور هذا ، فإنه يمكن القول أن سورية قد حازت قصب السبق على جاراتها العربيات ، خاصة وأن اللجنة التي وضعت الدستور كانت لجنة نيابية [١].

ومن الملاحظ أن الدستور ، تجاهل وجود الانتداب مما أوجد لفرنسا سبباً لتعنتها وإصرارها على إيقافه أو شله ، ففي الجلسة الثانية عشرة التي خصصت لعرض الدستور على البرلمان أثير جدل كبير ، وضع كلاً من الوطنين وفرنسا على المحك ، واظهر النوايا على حقيقتها . وكانت الأسباب الرئيسية لهذا الجدل، أن الدستور، طرح مواداً تتعلق بمسالة الوحدة السورية والتمثيل الخارجي ، وتعيين الممثلين في البعثات الدبلوماسية ، وفي مسالة الأحكام العرفية ، وما يتعلق بالجيش وكان الغرض أن تبحث هذه المسائل في المعاهدة المقبلة في حين أن فرنسا اعترضت عليها بكل قوتها محتجة بأنها تحرمها من الوسائل التي تساعدها على القيام بالالتزامات الدولية التي أخذتها على عاتقها. ولذلك فقد أصدر المفوض السامي تحفظاته على ستة مواد من مواد الدستور وهي المواد (٧٢ و٧٣ و ٧٤ و٧٥ و ١١٠ و١١٢)[٢] .

ويرى جميل بيهم أن هذه المواد التي أثارت الخلاف ليست بدعة تنكر على واضعيها ، فقد وجد مثلها في الدستور العراقي[٣] . ولكن فرنسا كان موقفها من هذه المواد ، والتي عرفت بالمواد الست [٤] ، متعنتاً وهذا يوضح مدى الاختلاف بين

---

(١) يوسف الحكيم ، سورية والانتداب الفرنسي ، ص ٨١ .

(٢) انظر هذه المواد في الملحق رقم ١ صفحة ٢٦١ .

(٣) جميل بيهم ، الانتدابان في سورية والعراق ، ص ١٢٧.

(٤) انظر مواد الدستور في الملحق رقم ١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

موقفها هذا وموقفها حين دعت الجمعية التأسيسية لوضع دستورها بملء حريتها، فقد أثارت الشكوك لدى النواب الوطنين حول صدق فرنسا في إيصال سورية إلى حكم دستوري تعقد في ظله معاهدة مع فرنسا . وقد ذكر لطفي الحفار في معرض حديثة عن هذه المواد الست : "شعرنا أثناء مذاكراتنا التي دامت الليل بطوله قبل هياج تلك الجلسة بأن الإصرار على حذف هذه المواد كان من وزارة الخارجية الفرنسية نفسها"[١].

وبرغم التشديد الفرنسي تجاه المواد الست ، فقد عملت الجمعية التأسيسية عبثاً على أيجاد حل يرضي الفريقين قبل وقف المفاوضات بينهما[٢] ، إلا أن قرار تأجيل المجلس صدر اعتباراً من الحادي عشر من آب ١٩٢٨م . ثم أعقبه تأجيل كان لثلاثة اشهر أخرى ، فتقدم المجلس بتعديل للمادة الثانية وللمواد الباقية ، فرفضه المفوض السامي بكتاب المؤرخ في الثالث من شباط ١٩٢٩م [٣]. ولم تفد المرونة شيئاً ، فعطل المجلس إلى اجل غير مسمى ، قبل أن يناقش الدستور كاملاً أو يوافق عليه كاملاً [٤]. وفي الثاني والعشرين من أيار ١٩٣٠ أصدر المفوض السامي بونسو مجموعة قراراً بإعلان دستور الدولة السورية وهو صورة لمشروع الدستور الذي وضعته الجمعية التأسيسية عام ١٩٢٨ مع تعديلات طفيفة في الشكل لكنه أضاف إليه مادة أفرغته من محتواه وهي التي عرفت بين المصادر بالمادة رقم ١١٦ [٥] والتي

---

(١) لطفي الحفار ، ذكريات ، الجزء الثاني ، ص ١٤ .

(٢) جميل بيهم ، المصدر السابق ، ص١٢٧ .

(٣) علي رضا ، المصدر السابق ، ٢٩٦ .

(٤) وجيه الحفار ، الدستور والحكم في الجمهورية السورية ص ١٢ .

(٥) ناهد عبد الكريم ، المجالس النيابية في سورية ، ص ٧٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نصت على الآتي : "ما من حكم من أحكام الدستور يعارض ولا يجوز أن يعارض التعهدات التي قطعتها فرنسا على نفسها فيما يختص بسورية ولا سيما ما كان منها متعلقاً بجمعية الأمم . يطب هذا التحفظ بنوع خاص على المواد التي تتعلق بالمحافظة على النظام وعلى الأمن وبالدفاع عن البلاد وبالمواد التي لها شأن بالعلائق الخارجية . لا تطبق أحكام هذا الدستور التي من شأنها أن تمس بتعهدات فرنسا الدولية فيما يختص بسورية في أثناء مدة هذه التعهدات إلا ضمن الشروط التي تحدد في اتفاق يعقد بين الحكومتين الفرنسية والسورية . وعليه أن القوانين المنصوص عليها في مواد هذا الدستور والتي قد يكون لتطبيقها علاقة بهذه التبعات لا يتناقش فيها ولا تنشر وفقاً لهذا الدستور إلا تنفيذاً لهذا الاتفاق . إن القرارات ذات الصفة التشريعية أو التنظيمية التي اتخذها ممثلو الحكومة الفرنسية لا يجوز تعديلها إلا بعد الاتفاق بين الحكومتين"[١].

الدستور والطائفية :

التركيبة السكانية التي كانت تتألف منها سورية جعلت موضوع الطوائف قضية حساسة، وإثارتها في أي شكل ، كان يتطلب حرصاً كبيراً حتى لا تؤول على غير ما يراد منها . خاصة وأن السياسة الفرنسية كانت تستغل هذا الموضوع تماماً، على نحو يضمن لها الوقيعة بين طوائف السكان وعدم استقرار البلاد .

---

(١) انظر الملحق رقم ١ ، ص ٢٨٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأثناء وضع الدستور أفسح المجال للطائفية فورد ذكرها في عدة بنود ، ورغم أن المادة الثالثة من الدستور نصت على أن دين رئيس الدولة هو الإسلام، إلا أن بقية البنود تناولت حقوق الطوائف المدنية والسياسية [١].

هذا في الوقت الذي أكدت فيه المادة السادسة من الدستور على جعل السوريين متساويين بالحقوق المدنية والسياسية ، ولا تمييز بينهم في ذلك بسبب الدين أو المذهب أو الأصل أو اللغة [٢]. وهي بهذا تحاول أن تقطع الطريق على ادعاءات السياسية الفرنسية بوجود طوائف وأقليات عليها أن تحميها ، كما انه بهذه المادة ألغت التجزئة وتجاوزت الطائفية.

وخلاصة القول فان هذا المجلس – الجمعية التأسيسية – استطاع التأكيد على المدى الديمقراطي الذي وصل اليه الفكر السياسي في سورية ، سواءً بالطريقة التي جاء بها –الانتخابات– أو بما وضعه من دستور احتوى مبادئ الديمقراطية كما تبين سالفاً ، متأثراً بلا شك بالدستور الذي تم وضعه في عهد حكومة الملك فيصل ١٩١٨–١٩٢٠ مبدياً بذلك قدرة وأهلية لدى الشعب السوري بان يحكم نفسه بنفسه بأسلوب متقدم ، ولعل هذا هو الذي دفع بالمفوض السامي لقرار تأجيل انعقاد المجلس في الحادي عشر من آب ١٩٢٨ ، لمدة ثلاثة شهور ، ثم مدد التأجيل لثلاثة شهور أخرى ، حتى كان بعد ذلك قراراً من المفوض السامي يقضي بحل المجلس نهائياً . وإزاء ذلك اصدر رئيس المجلس – الجمعية التأسيسية – هاشم الأتاسي بياناً إلى الأمة عبر من خلاله عن مدى الألم والسخط الذي تواجهه الأمة بسبب تعطيل

---

(١) انظر مواد الدستور في الملحق رقم ١ ، ص ٢٦٣ .

(٢) انظر مواد الدستور في الملحق رقم ١ ، ص ٢٦٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المجلس تناول من تاريخ النضال الذي قام به الشعب السوري لنيل حريته واستقلاله، والعوائق التي كانت سلطة الانتداب تضعها أمام جهاد هذا الشعب . كما أكد البيان قدرة وأهلية العشب السوري في سيادته لنفسه من خلال مؤسساته السياسية والمدنية القائمة على أساس الديمقراطية واستمر حتى قال في الختام : "أي بني وطني أن تاريخ الشعوب حافل بالمواعظ والعبر ، فانه لن يدخل الوهن على قوم إلا إذا اختلفت كلمتهم ولهوا عن مصلحتهم العامة بمصالحهم الخاصة ، وإنا ما رأينا قوماً تركوا خصمهم الغريب ليشتغلوا بعضهم ببعض إلا عرفنا أن ساعتهم دنت وذلهم حان ، وأنى أعيذكم من هذا فاعتصموا بالاتحاد وهو السور المنيع ليصد عنكم كل متهجم عليكم طامع فيكم وهو في يدكم العزلى أقوى سلاح في وجه القوة . إليه أدعوكم والى تناسي كل حزازة أو مصلحة تحول دونه يدعوكم شرف بلادكم الزكي بدماء شهدائكم" (١).

المجلس النيابي الذي تشكل في ١٩٣٦/١١/٣٠:

باشرت الحكومة أعمالها قبل نيل الثقة من المجلس النيابي. وفي الثاني والعشرين من كانون أول ١٩٣٦ ألقى جميل مردم رئيس الوزراء في المجلس بياناً وزارياً أشار فيه إلى قيام وزارتي الخارجية والدفاع وضمهما إلى الملاك الوزاري، وقال إن الوزارة حرصت على هذا الضم ليتم سلطان الأمة الخارجي (٢).

---

(١) د. ذوقان قرقوط ، المشرق العربي في مواجهة الاستعمار ، ص ٢٥٦ .

(٢) ناهد عبد الكريم ، المجالس النيابية في سورية ، ص ١٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبخصوص سياسة حكومته ، أوضح بأنها وليدة إرادة الأمة ، تسعى إلى السهر على مصالح البلاد جليلها وصغيرها . وعن علاقة الحكومة بالمجلس ، فقد قال : "وغني عن البيان انه سيكون بيننا وبين هذا المجلس الذي هو مرآة رغائب الأمة وصورة حقيقة لها ، تعاون ثابت مكين ، مستند إلى القواعد الدستورية المسنونة ، والصلات الراسخة بين رجاله وبين رجال الحكومة التي نشأت عنه" (١)، وعلق النائب ناظم القدسي على بيان الوزارة قائلاً: "أظن إنني اعبر عن شعور كل منكم بأننا سنكون لها عونا- أي للوزارة - ولن ندع آية شكاية كانت ، كما كانت تشكو الحكومات من البرلمانات . وأراني مضطراً أن أصرح بأننا في هذا العهد الذي تتكفل الحكومة نفسها بالإصلاح وتأخذ على عاتقها المسؤوليات أن يكون النواب عند حسن ظنها ، وأن يعدوها وعداً قاطعاً بان لا يعرقلوا عملها بإستيضاحات قد لا يكون طائل تحتها" (٢).

نشوء المعارضة في البرلمان :

لم تكد الأوضاع تستتب داخل المجلس ويطمئن رجال الكتلة الوطنية إلى أن التوفيق بدا يحالفهم في السيطرة على مقدرات البلاد ، حتى بدت عيوب الكتلة تظهر بعد اشهر من توليها الحكم (٣). وانقلب عدد من النواب وفي مقدمتهم الدكتور منير العجلاني على الكتلة ورجالها . بالرغم من انه وصل عن طريقها إلى المجلس ،

---

(١) نجيب الارمنازي ، سورية من الاحتلال إلى الجلاء ، ص ٧١ .

(٢) عبد الرحمن الكيالي ، المراحل ، الجزء الثالث ص ٩٢ .

(٣) جميل بيهم ، الانتدابان في سورية والعراق ، ص ٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وشكل جناحاً معارضاً في البرلمان وانضم إليه نائب حمص اكرم الأتاسي ، وبدا كان المعارضة قد ساعد ظهورها عودة المبعدين السياسيين. الذين اصدر المفوض السامي قراراً بالعفو عنهم في السابع عشر من نيسان ١٩٣٧م . وكان على راس هؤلاء الدكتور عبد الرحمن الشهبندر الذي كان على خلاف مسبق مع الكتلة الوطنية ومعارضاً لها .

فقد حاولت المعارضة الالتفاف حول الدكتور عبد الرحمن الشهبندر كواجهة وطنية ، للطعن بالحكم الوطني وبمنجزات الحكومة . وزادت من ضغطها على الحكومة ، فشهد المجلس النيابي مشادات كلامية حادة ، خاصة بين الدكتور منير العجلاني ، ورئيس الوزراء جميل مردم ، وفي حين حاول النائب لطفي الحفار التخفيف من الأمر بان قال : "يجب علينا أيها السادة أن نسمع صوت المعارضة ، ولكنني أريد أن يبقى هذا الصوت محصوراً ضمن جدران المجلس الكريم الذي يعبر بحق عن رأي البلاد وإرادتها ، لا أن يرتفع في الشوارع لغايات مختلفة وأساليب شاذة لا تتفق مع مصلحة الوطن" (١). فرد جميل مردم بقوله : "ليس هناك وطنيون، ولا وطنية في غير الكتلة الوطنية، وهي التي أوجدت هذه الوطنية، وقال للعجلاني فأنت عرفت الكفاح أيام الغنائم لا في أيام المغارم" (٢).

وتصاعدت موجة المعارضة داخل المجلس ، وساعدتها عوامل الفوضى التي آلت إليها البلاد ، وعجز الحكومة أمام المعضلات الرئيسية التي واجهتها ، وعلى رأسها معاهدة ١٩٣٦ ، التي فشلت في التوقيع عليها من قبل فرنسا ، وقضية

---

(١) عبد الرحمن الكيالي ، المصدر نفسه ، ص ٩٣ .

(٢) ناهد عبد الكريم ، المجالس النيابية ، ١٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإسكندرونة التي ضاعت أما عينها وسمعها وفي كل الأحوال ، شغلت المعارضة حيزاً كبيراً في السياسة السورية لتلك الفترة [١]، إلا أن الإحساس بالخطر نتيجة الإنشقاقات في صفوف الحكومة والمجلس ، دفع بالمعارضين وعلى رأسهم الدكتور منير العجلاني ، إلى الاقتراح على المجلس النيابي ، "بان تؤلف لجنة نيابية لتوحيد الصفوف بصورة عملية سريعة [٢]. وفي الحادي والثلاثين من كانون أول ١٩٣٨م وفي جلسة مجلس النواب أشار النائب ناظم القدسي ، إلى انه إلا اختلاف في هذه البلاد حينما يكون الموضوع متعلقاً باستقلالها ووحدتها ، وأكد أن الدكتور عبد الرحمن الشهبندر والحكومة والمجلس والرأي العام بكل فرد فيه لا يعرف إلا الاستقلال السوري ، والوحدة السورية ضمن نطاق الوحدة العربية الكبرى ، فنحن نختلف في مسائل طفيفة ، ولكن عندما يحق الحق وتتحرج الأزمات فإننا يد واحدة وصف واحد، نفدي الوحدة والاستقلال بدمائنا [٣].

---

(١) نجيب الارمنازي ، سورية من الاحتلال إلى الجلاء ص ٧٦ .

(٢) ناهد عبد الكريم ، المجالس النيابية ، ص ١٣٤ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأممية الماركسية:

الظروف الدولية والعالمية:

لقد كانت الحرب العالمية الأولى ، بما حفلت به من كوارث وفواجع ، وما رافقها من ثورات وانقلابات ، مطلع تاريخ جديد في الدنيا بأسرها ، وكان لا بد من أن تتأثر البلاد العربية بهذه العاصفة.

ففي سورية ولبنان تجاوبت أصداء التيارات الاشتراكية والحركات الثورية، ولكنها كانت أصداء ضعيفة غير واضحة الأسس والأهداف . فقد بدأت ترتفع منذ سنة ١٩٢٠م أصوات غامضة تتحدث عن بؤس العمال وشقاء الفلاحين وترد أسماء تولستوي ولينين ، وتدعو إلى الإخاء والمساواة ، دون أن تكون لأصحابها فكرة واضحة عن النظرية الشيوعية أو يكون بينهم وبين الشيوعية الدولية أي ارتباط [١].

كانت جريدة الصحافي التائه ، لصاحبها اسكندر الرباشي ، تصدت لحمل هذه الأصوات والمناداة بها ، وصدر العدد الأول منها بتاريخ الثامن والعشرين من أيلول ١٩٢٢ ، وقد كتب عليها : "الصحافي التائه ، جريدة العمال والبؤساء" وأوضح الرياشي في افتتاحية هذا العدد ما يرمي إليه من تخصيص جريدته للعمال والبؤساء بقوله : "هذه الجريدة تكون غريبة عن كل مبتذل ، وحاوية لكل مستغرب وعارفة لكل مستحب لا تقلد ولا تتقلد . تترك التشبه بالكرام لغيرها . تريد أن يكون لها مقامها في شمس الله وتحترم القوم طالما احترموها . مباحثها السياسية والأخلاق

---

(١) قدري القلعجي ، تجربة عربي في الحزب الشيوعي ، الطبعة الثانية ، بدون تحديد تاريخ الطبع ، دار العربي ، بيروت ، ص ٤٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفلسفة الحياة والضحك والتاريخ والفكاهة والرواية والشعر والأدب على أن يكون لذلك طراز منفرد ينص بها . تعترف للتآخي بين الطبقات انه الحق الصريح وتحارب لأجله وتحترم الفقير والتعيس اكثر من الغني والسعيد. سياستها مع الانتداب الصحيح الذي تعترف بضرورية إشرافه على البلاد. تعلم أن في البلاد وفي مهاجريها في القارتين أُسد غطارفة من اللبنانيين والسوريين هم أمل كل والد ووالدة ونصير هذا الوطن ودعامة مستقبلة وخيرة رجالة . هذه الجريدة عمومية تعترف للتعاليم الدينية بمبادئ تقارب الاشتراكية. لذلك تكون صديقة العامل والمزارع الضعيف وتدافع عن مصالح هؤلاء بكل قواها وتعترف أن المبادئ الاشتراكية والمعتدلة قد جاء بهاما الكتابان الكريمان لعيسى ومحمد. لا تحترم في المثري غناه ولا في حديثة القحة والنزق ومحبة الذات. تكون جوّابه سبّاقه عرّافه. هذه الجريدة تحارب الشركات الاحتكارية ، وتعلم إنها الموت الزؤام للفقير والعامل. وتعلم أنها اليوم تستثمر عمالها استثمار الرقيق" (١).

وكما يذكر قدري القلعجي فان هذه الصحيفة التي كانت تصدر مرتين في الاسبوع، تتابعت فيها المقالات الأدبية ذات النزعة الاشتراكية ، بأقلام اسكندر الرياشي يوسف يزبك الملقب بالشبح الباكي ، والذي سيكون أحد أعضاء اللجنة المركزية الأولى المؤقتة للحزب الشيوعي السوري اللبناني ، وبأقلام أخرى أخذت أسماء رمزية مثل الباكية الخرساء ، وشبح لا يبكي ولا يضحك ، وكان مما نشرته الجريدة من هذه المقالات مقالاً يدعو فيه صاحبة إلى الكف عن البكاء والانتقال إلى إعطاء الدروس في : "المبدأ الذي اتخذناه لأنفسنا دستوراً ومنهجاً سوياً . ولنبحث

---

(١) قدري القلعجي ، تجربة عربي في الحزب الشيوعي ، ص ١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن أقرب الطرق التي تمكننا من تشكيل حزب التآخي والاشتراك نقف به سداً منيعاً في سبيل تيار الرأسماليين الذين أوشكوا بتصلفهم أن يعيدوا بنا تمثيل مأساة المجاعة وضحاياها. فليكن لنا في الشرق حزب ينادي بالتسوية بين الطبقات علنّا نجبر عثرات الكرام"[١].

واضح أن هذه المقالات ، بعباراتها ونبراتها ، ومفرداتها السياسية ، إنما حاول أصحابها أن يخاطبوا بها عامة الشعب ، من عمال وفلاحين وحرفيين ، ولا شك أن مثل هذا الخطاب حاول أن يستغل ظروف هذه الشرائح الاجتماعية ، لاستقطاب ما يمكن استقطابه من أبناء الشعب وجعلهم يسيرون في ظل هذه الأفكار. والتي عملت بدورها على تمهيد السبيل وتهيئة الأجواء فيما بعد لميلاد الحزب الشيوعي السوري.

نشأة الحزب الشيوعي السوري :

مما تجدر الإشارة إليه حين البحث في نشأة الحزب الشيوعي السوري انه نشا كحزب شيوعي سوري لبناني واستمر ذلك حتى عام ١٩٤٣م عندما قرر مؤتمر الحزب فصل الحزبين عن بعضهما البعض [٢]. ويحيط بتحديد تاريخ الحزب الشيوعي السوري اللبناني شان غيره من الأحزاب الشيوعية التي نشأت في البلاد العربية ، حالات من الغموض يسهم في نسجها بصورة خاصة أعضاء هذه

---

(١) قدري القلعجي ، تجربة عربي في الحزب الشيوعي ، ص ٢٢ .

(٢) نذير جزماتي، الحزب الشيوعي السوري، ١٩٢٤-١٩٥٨، مطبعة ابن حيان دمشق، ١٩٩٠، ص٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأحزاب، والمتعاطفين معها ممن يتصدون لتسجيل تاريخها[١] . لكن مع هذا فان مصادر الحزب الشيوعي والكومنترن -التنظيم الدولي الشيوعي- تؤكد أن الحزب الشيوعي السوري اللبناني قد تأسس بالفعل في أواخر سنة ١٩٢٤. وهذا ما صرح به خالد بكداش نفسه ، حين قال بخطابه الذي ألقاه في الرابع من نيسان سنة ١٩٣٨م في مقر الحزب بدمشق حين قال: "وليعذرنا إخواننا الكتلويون إذا قلنا لهم أن حزبنا وجد قبل أن توجد الكتلة الوطنية كهيئة سياسية. فقد نشأت الحركة الشيوعية في بلادنا منذ عام ١٩٢٤" [٢].

تشكلت اللجنة المركزية الأولى المؤقتة للحزب الشيوعي السوري اللبناني من خمسة أعضاء هم: "أرتين مادوريان ، هيكازون بوبا دوجيان ، يوسف يزبيك، فؤاد الشمالي ، وجاكوب كيبر" [٣]. وكان كيبر يهودياً روسياً قدم من فلسطين إلى بيروت وانتخب سكرتيراً عاماً للحزب ، وكان اسمه الحزبي الرفيق شامي" [٤].

ويذكر قدري القلعجي ، أن يوسف يزبيك روى له ، انه بعد أن نشرت له جريدة المعرض اللبنانية في التاسع عشر من تشرين أول ١٩٢٤م ، مقالاً عالج فيه فكر وحياة الأديب الفرنسي الاشتراكي أنا تول فرانس بمناسبة وفاته ، وانه كان نصيراً للعمال والفلاحين وصديقاً للفقراء والمظلومين يقول يزبيك في روايته لقدري القلعجي: "انه لم تنقض خمسة أيام على صدور تلك المقالة في مجلة المعرض ، حتى

---

(١) د. سهلية الريماوي ، الحياة الحزبية في سورية من ١٩٢٠ - ١٩٤٥ ، ص ٢٥٨.

(٢) صوت الشعب ، العدد ١٣٧ ، ١٩٣٨/٤/٩ .

(٣) نذير جزماتي، المرجع نفسه ، ص ٢١ .

(٤) قدري القلعجي ، تجربة عربي في الحزب الشيوعي ، ص ٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

زاره في مكتبه يهودي بولوني من خبراء الكومنترن في شؤون الشرق الأوسط يدعى "جوزيف بيرجر" ويقيم في جبل الكرمل بحيفا ، وقدم نفسه إليه على انه صحفي يدرس الأوضاع الاجتماعية في لبنان ، ثم اخرج من جيبه مجلة المعرض وفيها مقال يزبك وقد أشر بالقلم على جملة "تصير العمال والفلاحين" وسأله عما يقصد بهذه الجملة، فأجابه أن اناتول فرانس قد اعتنق في السنوات الأخيرة من حياته المبادئ الاشتراكية التي تدعو إلى أنصاف العمال والفلاحين وأضاف يزبك انه هو نفسه اشتراكي. فأثن "بيرجر" عليه واخذ يحدثه عن هذه المبادئ الاشتراكية. ويقول يزبيك أن بيرجر دعاه لزيارته في منزله ، وبعد أن تعددت الزيارات صارحه بأنه مندوب الحزب البولشفيكي في فلسطين وقد عهد إليه بتأليف فرع له في لبنان ، وسال يزبيك عن مدى استعداده لهذا الأمر ، فوافق حالاً. وبادر إلى التبشير بهذه الفكرة بين عدد من أصحابه ، فأيده في ذلك فريق منهم ، لا يتجاوز عمر أحدهم العشرين أو الخامسة والعشرين، هم فؤاد الشمالي والياس تشعي وبطرس حشيمي وفريد طعمه وشفيق مظهر" (١).

وفي هذا من الدلالة الواضحة على الدور اليهودي النشط في العمل الشيوعي، سواءً في التوجيه الفكري أو البناء التنظيمي . وهذا كما يبدو فانه لا يقتصر على الحزب الشيوعي السوري اللبناني ، بل ربما كان في عامة الأحزاب الشيوعية العربية.

---

(١) قدري القلعجي ، تجربه عربي في الحزب الشيوعي ، ص ٥٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خالد بكداش والحزب الشيوعي السوري :

حين التعرف على أعضاء هذه اللجنة الوارد ذكرهم تبين انه لم يكن بينهم من ينتمي إلى عائلة مسلمة بل كان جميعهم غير مسلمين ، مما أكد أحجام المسلمين عن الانتماء لهذا الحزب. وكان هذا دافعاً للقيادة الشيوعية في موسكو، إن رأت تسليم القيادة لمسلم سوري لكسر الحواجز حتى تنتشر الحركة [١]. وفي ظل هذه التوجهات ارتقى خالد بكداش إلى قيادة الحزب. والذي اصبح اسمه مقترناً ومرادفاً للحزب الشيوعي السوري ، فإذا ما ذكر الحزب ذكر خالد بكداش ، وإذا ما ذكر خالد بكداش ذكر الحزب.

بين أيدينا حوار تم إجراؤه مع خالد بكداش في دمشق عام ١٩٩٣ يساعد في الكشف عن خلفيته ، وظروف نشأته . حيث يذكر أن والداه من اصل كردي عاشا في حي الأكراد الذي عرف بحي المهاجرين في دمشق ، وفيه أقام معظم الأكراد. ولم تتميز عائلة بكداش بأي نشاط وطني أو اجتماعي رغم أن والده خدم في الجيش العثماني ثم في الجيش العربي خلال حكم الملك فيصل [٢].

ويذكر خالد بكداش انه كان أحد طلاب مكتب عنبر والذي ضم في ذلك الحين عدة مئات من الطلاب. كان منهم كامل عياد بسام كرد علي ، بشير العظمة ، ووجيه السمان ، ومحمد العالم ، وصلاح البيطار. وعن أساتذته في مكتب عنبر ، فهم احمد جودت الهاشمي ، هاشم الفصيح ، والشيخ عبد القادر المبارك. وأثناء دراسته في مكتب عنبر يذكر خالد بكداش أن السياسية وشؤونها كانت تسيطر على معظم

---

(١) مجيد خدوري ، عرب معاصرون ، ص ٢٨٢ .

(٢) عماد نداف ، خالد بكداش يتحدث ، دمشق ، ١٩٩٣، ص ٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أحاديثهم حيث كان الحديث عن البلاشفة في الاتحاد السوفيتي وعن لينين وعن التناحر بين المستعمرين ، وعن الوضع في فرنسا [١].

أما عن انتظامه في الحزب الشيوعي ولعل ذلك يشكل النقطة الأهم فيما يعنينا بالمسار السياسي لخالد بكداش. فانه يقول: "في منطقة عسال الورد بدأت رحلتي الطويلة مع الحزب الشيوعي السوري ، كنت اشتغل مراقباً على تعبيد الطرقات في هذه المنطقة. كانت هذه الفترة قصيرة ، ولكنها هامة. وهناك التقيت مع ناصر حدّة ، في مزرعة تل فطايا. وأثناء حديثه معي تكلم عن شخص اسمه فوزي الزعيم. لم يكن يعرف أن فوزي الزعيم صديقي فقلت له: "أنا اعرف فوزي الزعيم انه صديقي في الشام ونسكن في حيين متجاوريين. وكانت صدفة هامة فهذا اللقاء مع ناصر حدّة، هو الذي لفت نظري إلى الجانب الأخر في حياة فوزي الزعيم . الجانب السياسي والنضالي" [٢]. وبعد أن يتكلم عن بعض ظروف حياته الخاصة يتابع قائلاً: "وعندما عدت إلى دمشق ، التقيت فوزي الزعيم كعادتنا ، وحكيت له عما جرى في عسال الورد ، وفي أثناء الحديث قال لي: "يوجد في الشام حزب سري ، اسمه الحزب الشيوعي فقلت له: وماذا يريد هذا الحزب؟ فقال: ضد الاستعمار ، ضد الرأسمالية ضد الإقطاع ، يريد الاستقلال وتوزيع الأراضي على الفلاحين وأيضاً إزالة الرأسمالية طبعاً... ويقول خالد بكداش أن هذا وجد في نفسي هوى ، فقلت–للزعيم– نعم وقبلت معه"[٣]. لكن هذا القبول بالانتظام لم يأت من خلال القناعة

---

(١) المرجع نفسه ، ص ٩ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٣ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التامة ، وذلك يتضح بما يفصح بـه خـالد بكـداش نفسـه. فحينمـا اتهم فـوزي الزعيـم الكتلة الوطنية بالخيانة ، كان هذا محل استهجان واستغراب عنـد خـالد بكـداش نفسـه فاستنكر ذلك بقوله: "كيف نتهم هؤلاء بالخيانة ، وقد اشتركوا فـي الثـورة السـورية ، بالإضافة أن قسماً منهم لا يزال منفياً الآن؟ وبعضهم حكم بالإعدام" [١]. ويذكر خـالد بكداش أن فوزي الزعيم أعلن عجزه عن الإجابة ، لكنه وعد بان يأتي بمـن يستطيع الإجابة على ذلك . ورغم مجيء أحد أعضـاء الحـزب للإجابـة علـى هـذه الأسئلة ، والذي دارت أجابته حول: "أن هؤلاء انتهوا تاريخياً ، ولن يخوضوا النضال الوطنـي لذلك نقول عنهم انهم خونه". لكنه بذلك لم يستطيع إقناع بكداش أيضاً بما أجابه عليه، يقول بكداش: "لم اقتنع أنا بذلك. وعلى كل حال أنا موافق على سياسة الحـزب. وأنـا موافق أيضا على الدخول فيه" [٢].

وحقيقة ، أن مثل هذا الانتظام ، والذي جاء رغم أن مواقف الحـزب لـم تكـن مقنعة على الوجه المطلوب ، من شأنه أن يثير لدى الباحث الريبة والتساؤلات حـول طبيعة هذه البداية لواحد مثل خالد بكداش.

الفكر السياسي للحزب الشيوعي :

لا يجد الباحث كبير عناء لإثبات أن الفكر السياسي للحـزب الشـيوعي ، إنمـا هو امتداد للفكر السياسي الماركسي اللينيني وصورة عنـه ، فطبيعـة النشـئة السـالفة الذكر تبين بوضوح المدى الكبير في التطـابق الفكـري بينهمـا. ويعـزز هـذا أن خـالد

(١) المرجع نفسه ، ص ١٢ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بكداش ، قام في سنة ١٩٣٣ بترجمة البيان الشيوعي لكارل ماركس وفريدرك انجلز، من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربيّة ، لغايات نشره وتثقيف الشعب به [١]، مشكلاً بذلك المرجعية الأساس للفكر السياسي للحزب الشيوعي السوري. كما أن سفره-خالد بكداش- في السنة نفسها ١٩٣٣ ، إلى موسكو ليبقى فيها سنتين ونصف دارساً خلالها في معهد الشيوعيين الشرقيين أسس الماركسية اللينينة والستالينية والاقتصاد السياسي [٢]. يشكل هو الآخر دلالة أكيدة على مصادر التفكير السياسي للحزب الشيوعي السوري.

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، وهي الأهم فان الأدبيات والبيانات التي صاغها الحزب وأنصاره ، تؤكد هي الأخرى هذه الحقيقة. فمن خلال مطالعتنا لبيان برنامج الحزب الشيوعي السوري الذي صدر وهو يحمل "رقم (١) لعام ١٩٣١"، نجد أن فقراته كانت صريحة في تبينها للفكر السياسي الماركسي فقد افصح في افتتاحية البيان عن ارتباط فكره السياسي بالفكر السياسي العالمي للأحزاب الشيوعية حيث قال: "للحزب الشيوعي السوري ، كما لكل الأحزاب الشيوعية في العالم غاية أساسية هي تقويض النظام الرأسمالي الاستعماري وإنشاء النظام الاشتراكي على إنقاصه" واستطرد البيان مؤكداً تبينه للفكر الماركسي: "أن كارل ماركس وانجلس أعلنا منذ خمسين عاما أن لابد للنظام الرأسمالي من السقوط والاضمحلال بسبب التناقضات الكثيرة الموجودة فيه. التناقضات تسبب الثورات والحروب التي هي نتيجة لازمة لهذا النظام الفاسد . وقد تنبأ عن وقوع الحرب العالمية الكبرى ١٩١٤-

---

(١) مجيد خدوري ، عرب معاصرون ، ص ٢٨٠ .

(٢) عماد نداف ، خالد بكداش يتحدث ، ص ٢١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٩١٨م ، وعن الثورة الروسية ، وثورات المستعمرات والضائقة الاقتصادية الحالية التي ستدفع بالعالم إلى حروب وثورات جديدة. وشرح ماركس القواعد والطرق والوسائل الواجب اتخاذها لتقويض النظام الرأسمالي وإقامة النظام الاشتراكي" [١] ، وفي محاولة من البرنامج لإضفاء الصفة الواقعية على هذا الفكر وانه قابل للتطبيق في واقع الحياة بصورة طبيعية نجده يقول: 'وقد سار الزعيم نيقولا لينين على هذه القواعد فاظهر لنا صحة نظريات ماركس وصوابية تعاليمه. وقد رأينا ذلك في نجاح الثورة الروسية الكبرى والفوز العظيم في إنشاء النظام الاشتراكي وتقدمه المطرد في اتحاد الجمهوريات السوفياتيه الاشتراكية" ، بعد ذلك نجد البيان البرنامج يتجه لمخاطبة أبناء الشعب السوري بقوله: "فمما تقدم يتضح أن الغاية الأساسية للشيوعية لا ترتكز على العواطف فحسب بل إنها شيء جوهري يرتكز على سنة التطور الاجتماعي. وغايتنا الأساسية تتفق تماماً مع التقدم الاجتماعي وتنطبق على مقتضيات التمدن الصحيح". فلهذا نرى الشيوعيين يبذلون التضحيات الكبرى التي يوجبها عليهم النضال في سبيل الاشتراكية ، لأنهم ينظرون إلى المستقبل بطمأنينة وهم واثقون من فوزهم النهائي وكما انه ليس بالمستطاع إيقاف سير الحوادث التاريخية فكذلك ليس بالمستطاع تجنب سقوط النظام الرأسمالي وإنشاء النظام الاشتراكي على أنقاضه. فيا إخواننا العمال الفلاحون السوريون افتحوا أعينكم وطالعوا ما كتبه الرفاق ماركس ولينين وغيرهما من واضعي أسس الاشتراكية الصحيحة. "إن الحزب الشيوعي يبذل جهده لترجمة الكتب الشيوعية اللازمة وطبعها" [٢].

---

(١) نذير جزماتي ، البرنامج رقم (١) للحزب الشيوعي السوري ، الحزب الشيوعي السوري، ص ٥٢.

(٢) المرجع نفسه ، ص ٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم يتابع بيان البرنامج المطول خطابه حتى يبدأ بتوجيه ندائه إلى العمال السورين بقوله : "وانتم أيها الرفاق عمال شركة الترام وعمال جميع الشركات الاستثمارية وحدوا كلمتكم ونظموا صفوفكم للدفاع عن مصلحتكم المشتركة واسترجاع حقوقكم المغتصبة فالحزب الشيوعي السوري يدعكم للنضال في سبيل تحقيق المطالب التالية:

١- ثماني ساعات شغل في اليوم وخمس ساعات للعمال الصغار.

٢- يوم رحلة في أسبوع مع دفع أجرته.

٣- زيادة الأجور لتصبح كافية لجميع احتياجات العامل وعائلته.

٤- الضمان الاجتماعي لجميع العمال والمستخدمين أي أن يحصل العامل والمستخدم على مساعدات كافية عند المرض والعجز والبطالة وتعويضات لمن يصاب أثناء تأدية عمله.

٥- حرية تنظيم حركات العمال والفلاحين.

٦- وضع حد للإرهاب الاستعماري وإطلاق سراح جميع المسجونين الذي اعتقلوا بسبب النضال الاجتماعي والنضال السياسي ضد الاستعمار.

أيها الفلاحون ، نظموا صفوفكم في كل معمل ، وكل شركة ، وفي كل مكان للعمل ، وفي كل قرية ومزرعة وحقل ، وناضلوا بكل قواكم لتحرروا أنفسكم من الاستثمار الوحشي وتحررون سورية من نير الاستعمار.

فليسقط الاستثمار الرأسمالي والاستعماري. ولتحيى حركة العمال والفلاحين في سورية . وليحيى الطلبة في نضالهم ضد الشركات الاستثمارية وضد الاستعمار ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فليحيى الحزب الشيوعي السوري قائد الجماعات العاملة في سبيل التحرير التام والفوز النهائي" (١).

وعبر تاريخه استمر الحزب ، في التأكيد على صبغ فكره السياسي بفكر ماركس ولينين ، يقول خالد بكداش: "وهنالك نقطة خطيرة جداً يشير إليها ستالين إشارة خاصة، فان بعض الاشتراكيين كانوا ولا يزالون يقولون: كيف يمكن أن نكون من أنصار استقلال الشعوب المظلومة وانفصالها عن الدول الحاكمة ما دمنا كاشتراكيين نرمي إلى دمج كل الشعوب في اقتصاد عالمي موحد؟ ويجيب ستالين على هذا التحريف الفظيع للماركسية بقوله: "إن اتحاد الشعوب الاختياري يجب أن يسبقه انفصال المستعمرات عن الكل الاستعماري الموحد وتحويل هذه المستعمرات إلى دولة مستقلة . ويضيف خالد قائلاً: "هذا مفهوم واضح إذ لا يمكن أن يكون هذا الاتحاد إلا اختيارياً قائماً على الثقة المتبادلة والعلاقات الأخوية بين مختلف الشعوب"(٢).

وفي كتابه الأخر ، الحزب الشيوعي في سورية ولبنان سياسته الوطنية وبرنامجه الوطني ، يقول خالد بكداش مؤكداً الارتباط نفسه: "أجل أن كل تفكيرنا وجهدنا ، وكل حيويتنا وكل إخائنا وتضامننا الوطني والإنساني والقومي ، وكل عاطفة الحب للحرية التي تملأ صدورنا ، متجهة في يوم أول أيار إلى الجيوش الفرنسية والإنكليزية والأمريكية والى الجيش الأحمر الجبار والى الشعوب السوفياتية التي حملت قضية الحرية ببسالة لا تكاد تصدق ، والى زعيمنا ، ورفيقنا وصديق كل

---

(١) نذير جزماتي ، المرجع نفسه ، ص ٥٦ .

(٢) قدري قلعجي ، تجربة عربي في الحزب الشيوعي ، ص ٢٧١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شعوب العالم ، إلى قائد جبهة الحرية نحو النصر الأكيد ، إلى زعيم أول أيار: ستالين العظيم" [١].

وبالنظر في برنامج الحزب الشيوعي في لواء الإسكندرونة ، والذي نشر في الثالث والعشرين من تشرين أول ١٩٣٧ ، يتبين لنا استمرارية الحزب على النهج نفسه. ففيما نصت المادة الأولى من النظام على أن هذا الحزب هو فرع للحزب الشيوعي السوري. نجد أن المادة الأولى من برنامج الحزب نصت على:"يناضل الحزب الشيوعي في لواء الإسكندرونه لأجل التحرر الوطني والاجتماعي لشعب اللواء ، وهدفه الأعلى الاشتراكية". ونصت المادة الثانية على "يناضل الحزب الشيوعي في لواء الإسكندرونة ، وفقاً لمبادئه ، في جميع الظروف لأجل نظام إنساني يؤمن الخبز والحرية ، والسلام لكل الشعوب". أما المادة الثالثة فقد نصت على "لأجل هذه الغاية يجتهد الحزب الشيوعي في لواء الإسكندرونه لجمع كل القوى الشعبية وتوحيدها دون تمييز في الجنس أو في الدين في سبيل المطالب التالية [٢]:

أ) الإخاء بين كل سكان اللواء كيفما كان جنسهم أو دينهم.

ب) إقامة نظام ديمقراطي في اللواء.

جـ) ضمان الحريات الشعبية الديمقراطية كحرية الصحافة والرأي والكلام والنقابات والأحزاب والاجتماعات والجمعيات .

د) النضال ضد كل دعايات التفرقة والشغب وكل الدعايات والمساعي الرجعية والفاشستية كيفما كانت طبيعتها .

---

(١) قدري القلعجي ، تجربة عربي في الحزب الشيوعي ، ص ٢٧٩ .

(٢) عماد نداف ، خالد بكداش يتحدث ، ص ٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هـ) العمل بنشاط لأجل رفع المستوى المادي والثقافي والصحي لكل سكان اللواء في المدن والقرى .

و) تأمين رخاء شعب اللواء وتطوره الحر في الهدوء والسلام .

ز) المحافظة على العلاقات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية مع الوطن السوري وتقويتها.

ح) التعاون مع كافة الأقطار الديمقراطية في النضال ضد الحرب التي يهيئها الفاشيون وفي المحافظة على السلام في العالم حسب مبادئ السلامة الاجتماعية، ووفقاً لعهده عصبة الأمم".

المؤتمر الوطني للحزب الشيوعي سنة ١٩٤٣م:

شكل هذا المؤتمر الذي عقد في الحادي والثلاثين من كانون أول عام ١٩٤٣ واستمر لغاية الثاني من كانون ثاني ١٩٤٤ نقطة تحول هامة في الفكر السياسي للحزب الشيوعي السوري ، يتبين هذا بسهولة من خلال قراءة للتقرير الذي ألقاه خالد بكداش في المؤتمر ، فقد حمل التقرير هم الوطن والوطنية بصورة قوية وتخلل هذان المصطلحان فقرات التقرير حتى كادا يطغيان على المصطلحات الشيوعية المعهودة من مثل الأممية وغيرها. بل ذهب التقرير خطوة أخرى باتجاه مصلحة الوطن يقول "كان حل الأممية الشيوعية حادثاً عالمياً خطيراً. وقد كان له وسيكون له أثره العظيم في تطور قضية الحرية في الدنيا وسير الإنسانية إلى أمام. وقد اتضحت النتائج الأولى لهذا الحادث ، وهي نتائج عادت على الشعوب بالخير العميم . فقد وجه هذا الحل طعنة أليمة إلى ألمانيا الهتلرية وأدى إلى أضعاف موقفها السياسي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تجاه حلفائها ، كما انه أدى إلى توطيد عرى الصداقة والتحالف بين الشعوب المحبة للحرية ، وأحبط مساعي الدوائر الرجعية التي كانت تتذرع بوجود الأممية الشيوعية لتحطيم جبهة الحرية وبذر الشقاق في صفوفها. وقد سهل هذا الحل تحقيق الاتحاد الوطني بين أبناء الوطن الواحد في كل قطر من أقطار الدنيا ، إذ أنة هون للأحزاب الشيوعية عملها الوطني ، فتحررت من كل القرارات والأنظمة التي وضعتها مؤتمرات الأممية الشيوعية ، وأصبحت مستقلة كل الاستقلال في نطاقها الوطني، ولم يبق لها أي اتصال بأي مركز دولي وصار كل حزب حراً تماماً في إدخال ما يراه من تعديل وتحوير على برنامجه وسياسته وبنائه ونظامه [١]. ثم ينتقل بخطابه ليتكلم مباشرة عن النظرية الوطنية للحزب الشيوعي في سورية ولبنان ، وعلاقته مع التيارات الفكرية الأخرى ، حيث قال: "ولا ريب أن الوضع الجديد للحزب الشيوعي الناشئ عن قرار حل الأممية الشيوعية يعطي الحركة الوطنية والشعبية في سورية ولبنان قوة جديدة. فهذا الوضع الجديد يسهل للحزب قبل كل شيء متابعة مهمته الوطنية الكبرى في محاربة الفاشستية والنازية ، اكبر خطر على حركة الاستقلال والتحرر الوطني، كما انه يقضي على حجة من كانوا يلوحون بعلاقة الحزب الشيوعي بالأممية الشيوعية ويتخذونها ذريعة لمحاولة إقصاء كثير من القوى الشعبية الوطنية والكفاءات الفتية عن الحياة الوطنية ولرفض التعاون معها. هذا ومن جهة أخرى فان حل الأممية الشيوعية واستقلال الحزب عند كثير من العناصر الوطنية المثقفة والإخوان القوميين الذين كانوا دائما موافقين على نظريات الحزب العلمية في التحرر الوطني ومعجبين بنشاطه وسداد خطته ، ولكن نظرهم إلى الحزب كفرع

---

(١) نذير جزماتي ، الحزب الشيوعي السوري ١٩٢٤-١٩٥١ دمشق ، مطبعة ابن حيان ص ١١٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للأممية الشيوعية كان يهيب بهم إلى التردد في الالتفاف حول الحزب الشيوعي وتأييد مجهوده ونضاله الوطني .. وسيعمل الحزب الشيوعي اكثر من أي وقت مضى على تعبئة القوى الشعبية في سبيل الاتحاد الوطني حتى تجابه بلادنا الأحداث المقبلة عزيزة الجانب بصفوف وطنية موحدة" (١).

وفي محاولة من التقرير التأكيد بان الفكر المادي لدى الحزب لا يعني طمس الشعور الوطني يقول : "يزعم بعض الفلاسفة ، أو على الأصح بعض المطلعين على تاريخ الفلسفة في بلادنا أننا ماديون ولذلك فنحن ننكر القيم الفكرية ونتجاهل أثرها وفعلها وإذن فنحن ، كما يزعمون ، لا نعرف الشعور الوطني ولا نفهمه ولا ندرك أهميته وقيمته. أما إننا ننكر القيم الفكرية وأثرها في التاريخ أو في المجتمع فهو زعم باطل. كل ما نقوله هو: أن القيم الفكرية والمعنوية تتكون ضمن ظروف اقتصادية معينة ، وضمن علاقات معينة ، أي ضمن شروط مادية معينة ، فتحمل بطبيعة الحال طابع هذه الشروط والعلاقات ، ولكن هذه القيم الفكرية تؤثر بدورها على الشروط المادية، ويبقى التفاعل بينهما متبادلا: بل أن نظريتنا العلمية تقول دون غموض ولا إبهام :"إن الفكرة إذا تغلغلت في الجماهير أصبحت قوة مادية".

وعلى أساس كل هذا ، فنحن نعتقد بطبيعة الحال أن ظروف الحياة المشتركة: الإقليمية والاقتصادية والثقافية والتاريخية ، التي تعيش فيها جماعة من الناس (أو الأمة) تؤلف لديهم ، مع مر الزمن ، شعوراً مشتركاً هو ما نسميه "الشعور الوطني"(٢).

---

(١) نذير جزماتي ، الحزب الشيوعي السوري ١٩٢٤-١٩٥١ دمشق ، مطبعة ابن حيان ص ١٥٦

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٨٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي هذا الإطار لمفهوم الوطن والوطنية ، دعا التقرير المؤتمر إلى إقرار ميثاق وطني يتقدم به إلى الشعب ، يتعهد بالنضال لتحقيقها وتستند إلى الاعتبارات التالية:

أولاً- أن أهم قضية تجابهها بلادنا هي قضية استقلالها التام وتحررها الوطني الكامل.

ثانياً- أن بلادنا السورية واللبنانية تؤلف جزءاً من الشرق العربي.

ثالثاً- أن شعبنا بحاجة ماسة إلى إصلاحات وطنية اقتصادية واجتماعية تتفق ودرجة التطور التي بلغتها [١].

وجعل التقرير مما سماه بالتاريخ الوطني للحزب مستنداً تاريخياً له في إثبات وجهته الوطنية منذ التأسيس واستشهد على ذلك بان قال : "أن حزبنا الشيوعي ، فور نشوئه ، وكان بعد صغيراً جداً ، اشترك حسب طاقته في الثورة السورية ، ونفي إذ ذاك قادته ومناضلوه إلى الصحراء والى جزيرة أرواد ، كانوا من خطر الإعدام قاب قوسين أو أدنى'. 'وكان شعار حزبنا الرئيسي دائماً: الاستقلال التام الكامل'. 'وفي أعوام ١٩٣٢ و١٩٣٣ و١٩٣٤ اشتركنا في جميع مظاهرات دمشق وإضراباتها ضد الاستعمار ومنذ ذلك الحين تمت بيننا وبين إخواننا الشباب الوطنيين الذين خطبنا معهم على الأكتاف ، أو وقفنا معهم أمام المحاكم أو التقينا بهم في السجون ، مصداقية نضالية لم تنل منها تقلبات السياسة خلال سنين طويلة لقد كنا دائماً حيث يدعو داعي الوطن" [٢].

---

(١) نذير جزماتي ، الحزب الشيوعي السوري ١٩٢٤-١٩٥١ دمشق ، مطبعة ابن حيان ، ص ١٨٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٨١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكن لم يكن ذلك يعني بحال من الأحوال ، أن التقرير انفصم عن الفكر الأممي الشيوعي الماركسي فهو يرى: "لقد أصبحت المسالة الوطنية مسالة دولية بمعنى مزدوج: من حيث أنها موضوعة أمام كل شعب أولا ، ومن حيث تشابكها وتداخلها ووجوب حلها حلا عالمياً عاماً ، ثانياً فقضية كل شعب ، صغيراً كان أم كبيراً ، تحل بحل القضية العالمية الكبرى : قضية إقامة نظام دولي أساسه العدل القومي والمساواة القومية والإخاء بين الشعوب" (١).

وإذا ما اتجه الباحث صوب الحركة الصحفية ، فانه يجد أن الحزب الشيوعي وأنصاره ، قد استطاع أن يتخذ من الصحافة ميداناً ينشر فيها أفكاره ويوسع بها تياره. وفي هذا المجال كانت مجلة الطليعة في الطليعة. وهي مجلة شهرية تبحث في العلم والأدب والاجتماع ، وكانت تسم نفسها دائماً بأنها: 'رسالة التحرر الفكري" وكان صاحب امتيازها رشوان عيسى ، ورئيس تحريرها كامل عياد.

حملت هذه المجلة الفكر الشيوعي الماركسي ، من خلال المقالات والتحليلات الفكرية التي كانت تنشرها سواء لكتاب شيوعيين سوريين أو شيوعيين عالميين . ففي تناولها لكتاب حنا عبد الله نصر "الحرية المادية" ، قالت المجلة: "لقد انتهى الأستاذ نصر مؤخراً من وضع مؤلف يبحث الموضوع الكبير الذي نجد لغتنا العربية بأشد الحاجة إليه ومفكرينا بأشد الحاجة إلى دروسه وفهمه ، لان كل مستقبلنا مبني عليه. هذا الموضوع لم يطرقه احد بعد من كتاب العربية هو نظرية ماركس وإنجلز في تفسير المجتمع وتاريخه ، والقواعد والحقائق العامة الشاملة التي لاحظاها وأثبتاها في حياة الطبيعة وحياة الإنسان إن أقدام الرفيق نصر على

---

(١) نذير جزماتي ، الحزب الشيوعي السوري ١٩٢٤-١٩٥١ دمشق ، مطبعة ابن حيان ، ص ١٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذه المهمة الشاقة، على سد هذا النقص الحقيقي الملموس في ميداننا الفكري والسياسي ، لحركة ذات معنى عميق في مرحلتنا الحاضرة" [١]. ونشرت المجلة هذا الكتاب على حلقات متسلسلة تنفيذاً لسياستها الرامية إلى التعريف بالفكر الماركسي ونشره بين أبناء الشعب السوري . يقول حنا نصر في مقدمة كتابه : "اهتم في الدرجة الأولى بان تكون الصراحة والإيجاز من اظهر المزايا في أسلوبي وقد حافظت جهد المستطيع على إيصال ما أفكر به إلى ذهن القارئ على غاية ما يمكنني من التبيين.

وأظنني بتقديمي له هذا الموجز للفلسفة الماركسية أكون الواسطة لتعريفه بها مباشرة إذ لم يقع في يدي لحد الساعة تعريب أي مؤلف كان من مؤلفات ماركس إنما لا اشك بوجود جمهرة من فحول الكتاب الناشئين بين ظهرانينا الذين قتلوها درساً".

وبعد أن يبين الكاتب انه سيتطرق في كتابه ، لمفهوم المادية الجبرية في ذهن ماركس ، وكيف انه على القارئ أن يتخذها عقيدة له. يتناول الاقتصاد وراس المال في النظرية الماركسية ثم يصل إلى شيء من المقارنة بين نظرية ماركس وبين غيرها من النظريات والأفكار. وهكذا يستمر الكاتب في بذل جهده في هذا المضمار حتى يقول: "في الختام يجب أن أقول استدراكاً باني لم ابتدع جديداً في هذا المؤلف لأنفي من ذهن القارئ ما يمكن أن يتوهمه في وكل ما شئت أن أقوله هو أن الاشتراكية العلمية ، أو الماركسية ، قد وسعت آفاق الفكر إلى أوسع الدوائر كفلسفة حياة. ومن جهتها العملية العلمية ستفضي بالإنسانية إلى التأمين اقتصادياً ، واجتماعياً

---

(١) مجلة الطليعة ، العدد ٥ ، تموز ١٩٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسياسياً ، من حيث أنها ستعتمد التعاون ناموساً بدلاً من التنازع. فلهذا نراها في أخص خصائصها في صميم الإنسانية ، وليس بإمكان شخص ذي مدارك ومشاعر إنسانية أن يعاندها"[١].

وجاء في المقال الذي كان بعنوان "مقدمات الشيوعية وتطورها" لصاحبة هارولد لاسكي: "من أية وجهه تحلل كتابات كارل ماركس وأعماله نتحقق فيها فتحاً لعصر جديد في تاريخ الفلسفة الاجتماعية . فانه ، وإن كان من السهل أن نوضح أن فضل سابقي ماركس عليه عظيماً ، إلا أن الحقيقة الجوهرية عنه هي انه وجد الشيوعية فوضى ، فتركها حركة منظمة. إذ عنه أخذت فلسفتها واتجاهها ، وبواسطته أصبحت منظمة أممية (دولية) ، تستهدف دوماً المصالح المشتركة لطبقات العمال في جميع أنحاء العالم. ولا تنحصر قيمة كتابات ماركس في انه أعطى عقيدة اقتصادية خاصة فقط بل تمتاز أيضاً بالروح الجديدة التي كانت تقوده في تفكيره والتي أورثها لتحقيق مبادئه" [٢].

وتؤكد المجلة رؤيتها للماركسية وتبنيها إياها بقولها: "الماركسية ، من حيث أنها فلسفة اجتماعية ، يمكن أن تلخص في أربعة نواح عامة: فهي في الدرجة الأولى ، فلسفة التاريخ . ولكونها تنشأ عن هذه الفلسفة فهي إذن في الدرجة الثانية ، نظرية التطور الاجتماعي ، وضعها ماركس لإرشاد وقيادة الحزب الذي كان هو مؤسسه وزعيمه. وفي الدرجة الثالثة ، الماركسية التكتيكية أهمية خاصة حتى في عصرنا الحاضر. ثم هو في الدرجة الرابعة كعالم اقتصادي ، قد بنى ونظّم من

---

(١) مجلة الطليعية ، العدد ٦ ، آب ١٩٣٦ .

(٢) المصدر نفسه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البديهيات والنظريات الاقتصادية الأساسية التي درست قبله حجماً علمياً لفلسفته العملية الخاصة ، متبعاً في ذلك أسسا العلوم الاقتصادية" (١).

وتعتقد المجلة أن الفلسفة الماركسية للتاريخ تتلخص في التأكيد على أن الدافع الأولي والرئيسي في التبدلات الاجتماعية هو نظام الإنتاج الاقتصادي وبمقتضياته تتكيف جميع أنواع الأعمال والعلاقات الاجتماعية الأخرى ، طوعاً أو كرهاً ، وعياً أو عفواً. فالشرائع والأديان والسياسة التي تتركها في الدماغ الإنساني الطرق التي بواسطتها ينتزع الإنسان من الطبيعة وسائل العيش الضرورية لحفظ كيانه ودوام جنسه (٢).

ولو حاول الباحث تتبع مثل هذه الشواهد لطال به الأمر . لكن الذي يمكن قوله أن هذه المجلة بعناوينها ومضامينها كانت دوماً تعكس الفكر الشيوعي الماركسي. لكن مع ذلك هل هذا يعني أن الشيوعية الماركسية استطاعت أن تكون لنفسها تياراً واسعاً داخل المجتمع السوري؟ الذي يمكن قوله هنا أن الشيوعية لم تستطيع أن تشق لها طريقاً بسهولة. حيث الغالبية الساحقة من المجتمع السوري تدين بعقيدة الإسلام والتي تصطدم مباشرة بالنظرية الشيوعية الماركسية.

وإزاء هذا فليس من المستغرب أن تجد الشيوعية رفضاً ومقاومة لها ، فكان أن تشكلت لجنة لهذه الغاية سمت نفسها –اللجنة المركزية في سورية ولبنان لمكافحة الدعايات الأجنبية عامة والشيوعية –وبمناسبة احتفال إقامة الحزب الشيوعي في الثالث والعشرين من حزيران سنة ١٩٣٩ أصدرت بياناً تحت عنوان "سموم

---

(١) مجلة الطليعة ، العدد ٥ ، تموز ، ١٩٣٦ .

(٢) المصدر نفسه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشيوعية تنبت بين أطفالنا وفتياتنا" قالت فيه [١]: "على مسرح المدرسة الأمريكية للإناث في سوق ساروجة وفي دمشق أنشدت فتياتنا يوم الجمعة بتاريخ ٢٣ حزيران النشيد الشيوعي تحت إدارة الآنسة "ن.ن":

لاحت رووس الحراب تلمع فوق الرماح هاكم وفود الشباب هيا رفاقي للكفاح

ما أجمل هذا النشيد ليثير أمل شاعر ويخلب الألباب فنتخيل نفسنا في نعيم وفي فردوس ولكنة يحمل بين طياته سم الإباحية والفساد- في سوق ساروجة وفي دمشق تحت أعين الحكومة ومفتش المعارف القدير الجدير بالاحترام والرجل النزيه كامل بك نصري تتصرف فتياتنا تحت إدارة أجنبية إلى تلقن أناشيد الإباحية والفسق هناك تحت أعين وبصر الآباء والأمهات والعلماء وسكان دمشق تقول فتياتنا في أنشودة : نريد أن تعيش في سورية كما تعيش رفيقاتنا في موسكو".

ثم استعرض البيان مجريات الحفل وما تم فيها من دعوات للفكر الشيوعي حيث أكد البيان على فساد هذه الدعوات . حتى جاء في خاتمته : "إننا نطلب من العلماء وخصوصا من سماحة رئيسهم الشيخ كامل القصاب ومن الشعب الدمشقي الكريم والشعب السوري عامة ومن جميع الصحف في البلاد وعلى الأخص الصحف الدمشقية أن تقول كلمتها أمام غضبة الأهالي على كرامتهم ، إننا نلفت نظر وزارة المعارف الجليلة إلى هذه الدسائس الأجنبية وتطلب إليها بإلحاح أن تسهر على مثل هذه الدعايات الخبيثة القاتلة ،التي تبث في المدارس وتطلب منها ومن كل الذين يتعلق بهم الأمر أن يتخذوا إجراءات شديدة تضع حدا لها الدعايات المفسدة للأخلاق وأن يشدوا الرقابة على المدارس الأجنبية التي تأسست خصيصا لهذه الغاية ، نحن بانتظار الإجراءات اللازمة التي تغسل كرامتنا المهانة في دمشق.

---

(١) مركز الوثائق التاريخية بدمشق ، القسم الخاص ، الحزب الشيوعي ٢/٤٧٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إننا نتوجه بكلمة أخيرة لأمهاتنا وبناتنا وآبائنا لمقاطعة مثل هذه المدرسة التي تبث السم القاتل بأساليب خلابة تقضي على أخلاقنا وأماناتنا بالوقت الذي نحن به أحوج إلى رفع مستوانا الأخلاقي".

جريدة الجزيرة وهي من الخط الصحافي الرافض للفكرة الشيوعية كانت تعمل على انتهاز الفرص للتحريض على الشيوعية وتعريتها. فبمناسبة إصدار الحكومة الفرنسية قراراً يقضي بحل الحزب الشيوعي الفرنسي ، قالت المجلة : "فرنسا الديمقراطية تضرب المثل الأعلى في نصرة مبادئها ومكافحة السموم الاجتماعية التي تهدد الإنسانية فقد نشر أخيراً أن رئيس الجمهورية الفرنسية اصدر قراراً يقضي بحل الحزب الشيوعي ومطاردة رجالة واحتلال معاقلة . ولا جرم أن فرنسا قد أحسنت بعملها هذا إلى الإنسانية المعذبة والمروءة المتألمة بل أحسنت إلى الأديان السماوية وبنوع خاص للدين الإسلامي الذي يمقت الشيوعية ويحتوي مبادئها التي لا تتفق بوجه من الوجوه مع مبادئه السامية وقيمه العليا . لقد أظهرت فرنسا الحرة عملاً بمبادئها الواسعة الناطقة في وقت السلم من ضروب التسامح مع دعاة موسكوا ما جعل لهم مركزا خاصاً في أرض الفرنسيين . حتى إرتفع بعضهم إلى مرتبة النيابة ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يتغلغلوا في صميم الشعب الفرنسي ، ولم ينجحوا في تفشي سمومهم ونشر أباطيلهم ، رغم ما أتيح لهم من فرص مواتيه وظروف سانحة بل اقتصرت دعاياتهم على حلقات خاصة وأوساط معنية ، ذلك لان الشعب الفرنسي مفطور على حب وطنه والفناء في سبيل قوميته ، فلا يمكنه أن يتسيغ تلك الأفكار الخبيثة التي كان ينقلها إليه رسل موسكو ليحولوه عن وجهته القومية وأهدافه الوطنية . والمبادئ الديمقراطية التي يتبجح بها صنائع ستالين تختلف

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اختلافاً كبيراً عن المبادئ الديمقراطية الحقة التي تعتنقها الشعوب الراقية ، فالأولى تنطوي على أغراض سياسية بعيده ووسائل بغيضة ، أما الثانية تستند إلى دعائم اجتماعية صالحة وأسس أخلاقية ثابتة لا أثر فيها للعنف والإرهاق [١].

التأثر بالفاشستية والنازية :

أبدى الفكر السياسي في سورية شيئاً من التأثر والإعجاب بالفكر الفاشستي والنازي ، دون الإعلان الصريح عن تبني مبادئ ومعتقدات الفاشستية والنازية ، ظهر مثل هذا الإعجاب والمحاكاة من خلال تشكيل فرق القمصان الحديدية تابعة للكتلة الوطنية ، فقد بدا على هذه الفرق تأثرها بالفاشستية والنازية سواءً من حيث الأسلوب والتنظيم [٢] . من جهته إبراهيم هنانو زعيم الكتلة الوطنية كان صريحاً بتوجيه الدعوة للشباب السوري للتأثر بهتلر ، والإفادة من نضاله وأسلوبه في التنظيم[٣].

ولعل لبيب زويا في كتابه عن الحزب القومي السوري الاجتماعي قارب الصواب بمعالجته للفكر السياسي للحزب حين ربط بينه وبين الفكر الفاشستي في إيطاليا فبعد إن تناول معالم الفكر الفاشستي الذي صاغه موسوليني خلص إلى القول: "فالأمة التي تغدوا عن سعادة ، كياناً قائماً بذاته ولذاته ، هي بالتحديد الأمة في مفهومها الفاشي الصافي الأصيل ، حيث يتحول المجتمع وجوداً صنمياً يسجد أمامه

---

(١) الجزيرة ١٩٣٩/٩/٢٩/٨٩٦ .

(٢) انظر أنور العش ، في طريق الحرية ، الجزء الثاني ، ص ١٠٢ وما بعدها . وكذلك محمد حرب فرازات ، تاريخ الأحزاب في سورية، ص ٨١ .

(٣) انظر جريدة الجزيرة ، العدد ٨٢ ، ١٩٣٤/١/٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المؤمنون ، يرددون شعارات ديماغوجية فارغة ، ويهتفون بأمجاد غابرة بالية وينسلخون عن الواقع بقوانين التاريخ والتطور الاجتماعي ، ويغدون حركة درويشية كهنوتية تمارس الطقوس والشعائر الدينية في ثوب أيديولوجي يدغدغ أجساد وأحاسيس المتسترين به بأوهام لا وجود لها ، وبرايات تنخدع بوهجها البراق قوافل البرجوازيين الصغار الطامحين إلى اقتناص المغانم وتحقيق الانتصارات بأهون السبل وأقربها وأسرعها" .

وبدافع من الصراع الحزبي ، كان الحزب الشيوعي السوري ومؤيدوه، قد شنوا حملة عنيفة ضد الفاشستية ، حيث لم يترك الحزب فرصة سانحة إلا وقد هاجم الفاشتسية وفكرها في الوقت الذي كان الكتاب من ذوي الاتجاه الماركسي يناقشون الفاشستية ويفندون آرائها . ففي مناقشته لطبيعة الفكر الفاشستي على صفحات مجلة الطليعة ، كان رئيف خوري نفى أن تكون الفاشستية حركة وطنية ، بل يراها حركة استعمارية اكثر من أي استعمار آخر . وهو يتألم لواقع الشباب العربي الذي ظن أن الفاشستية حركة تحرر وطني . وبعد أن يسوق بعض الآراء والأقوال لهلتر وموسوليني والتي لخصت في نظره أن غاية الفاشستية والنازية اكتساح العالم بأسره، يقول خوري : "وهذه الاعترافات الصريحة من الفاشستية بعزمها على الحرب نتيجة طبيعية لما أسلفنا من أن ذهنيتها بكاملها تتمركز حول الاكتساح ، لا لشيء سواه . والاكتساح معناه الحرب الاعتدائية ، والحرب والاعتدائية معناها الاغراق في التسلح، وهذا يعني وقف كل عمل يدوي أو دماغي ، وإنفاق كل ثروة في الأمة على إخراج العدد الجهنمية ، التقتيلية ، التدميرية ، ويعني القضاء على كل نوع من التفكير الارتقائي الخارج عن دائرة تأليه الهمجية ، وهذا بالتالي ، يعني إفقار الأمة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحط مستواها المعاشي والثقافي ، ويعني حين تنفجر الحرب فعلاً قذف انشط عناصر الأمة وخيرها إلى أتونها الهائل ، وترك الأمة في التصفية الأخيرة أشبه بالأشلاء الممزقة بما فيها من مشوهين ومعتوهين وأرامل وأيتام وخرائب . اجل أن الفاشستية أحرى أن لا تعطى شرف اسم الوطنية . لان الوطنية الصحيحة هي ما كان أساس عملها التوسيع على الشعب ، وترتيب الوسائل برفع المستوى المعاشي والثقافي" (١).

(١) مجلة الطليعة ، العدد العاشر ، كانون أول ١٩٣٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموقف من الحركة الصهيونية:

الوعي المبكر:

اظهر الفكر السياسي في بلاد الشام وعياً مبكراً على خطورة الحركة الصهيونية منذ ما قبل الانتداب الفرنسي على سورية سنة ١٩٢٠ بفترة طويلة. وفي هذا السياق يأتي تشكيل وفد من رجالات الشام في الخامس من آب سنة ١٩١٣ للسفر إلى الأستانة ومقابلة الصدر الأعظم ، للتعبير عن حسن النوايا العربية تجاه الأتراك والحكومة ، حيث شهد ذلك العام تحسناً في العلاقات العربية التركية بعد ما مرت به في السنوات السابقة من توتر وظروف صعبة . وبعد أن وصل الوفد وقابل الصدر الأعظم ، وقف أحد أعضائه عبد الكريم الخليل ، الذي كان رئيساً للنادي الأدبي في الأستانة ليلقي خطبة أمام الصدر الأعظم ، وكان مما قاله فيها' وهناك مسالة بيع الأراضي في البلاد العربية ولا سيما فلسطين ، لان دخول الأجانب إليها وحرمان أهلها منها مما لا ترضونه فخامتكم . فالتمس من الحكومة السنية اتخاذ قرار قطعي موافق بهذا الشأن" [١].

إن هذه الإثارة ، من قبل عبد الكريم الخليل ، أحد ابرز رجالات الحركة العربية آنذاك لم تأت من فراغ . إنما كانت تنطلق من القلق على مستقبل الوطن الذي بدا اليهود يهددونه بالهجرة ، وشراء الأراضي والسيطرة عليها . حيث كانت مسالة بيع الأراضي لليهود في فلسطين تبرز كمشكلة منذرة بالخطر ، بسبب تعقيد جمعية الاتحاد جمعية الاتحاد والترقي التي كانت لها السيطرة في الدولة العثمانية

---

(١) اسعد داغر ، مذكراتي على هامش القضية العربية ، ص ٦٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

آنذاك . فقد كان رجالها مثل نسيم مزراحي وحسين جاهد يبذلون جهدهم في إلغاء الحظر الذي كان موضوعاً منذ زمن السلطان عبد الحميد على بيع الأراضي لليهود والأجانب ، وإقامتهم في فلسطين إقامة طويلة [١].

وحينما تشكل المؤتمر السوري ، في العهد الفيصلي كانت سياسته تقوم على مقاومة أطماع الحركة الصهيونية الرامية إلى الاستيطان في فلسطين .

ففي تقريره المرفوع إلى لجنة تقصي الحقائق الأمريكية -كنج كراين- التي زارت المنطقة سنة ١٩١٩ ، كان المؤتمر قد أكد على مقاومة الحركة الصهيونية حين قال في البندين السابع والثامن ما نصه : "تقاوم بشدة دعوى الصهيونيين في إنشاء حكومة يهودية في القسم الجنوبي من سورية المعروف بفلسطين ونقاوم الهجرة الصهيونية إلى أي قسم من أقسام بلادنا ، لأننا لا نعترف لهم بهذا الحق بل نعتبرهم خطراً على قوميتنا من الوجهة الوطنية والاقتصادية والسياسية . أما إخواننا اليهود فلهم مالنا وعليهم ما علينا". أما البند الثامن فقد جاء فيه : "تطلب عدم فصل القسم الجنوبي المعروف بفلسطين والقسم الساحلي الذي يدخل فيه ، عن البلاد السورية . ونرغب أن تكون وحدة البلاد مضمونة من التجزوء في كل حال" [٢].

وإذا ما دققنا النظر في موقف المؤتمر السوري هذا ، فانه في الحقيقة كان منبثقاً عن التوجه السياسي العام في البلاد وعاكساً له . يتبين هذا من المطالب التي

---

(١) محمد عزت دروزة ، نشأة الحركة العربية الحديثة ، الجزء الثالث ، ص ٤٤٧ .

(٢) حسن الحكيم ، الوثائق التاريخية ، ص ٣٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حملتها العرائض المقدمة من السكان إلى اللجنة نفسها ، حيث لخصت اللجنة هذا المطالب بثلاثة أمور هي [١]:

١- وحدة سورية الطبيعية ، ومن ضمنها كيليكيا شمالاً ، والصحراء السورية شرقاً وفلسطين جنوباً .

٢- الاستقلال الناجز لسورية .

٣- مقاومة الوطن القومي الصهيوني والهجرة اليهودية .

وجاء بيان الوزارة التي ترأسها هاشم الأتاسي، في المؤتمر السوري لتنال الثقة على أساسه موافقاً لسياسة المؤتمر وللاتجاه الشعبي العام بهذا الخصوص .

ففي الثامن من آذار سنة ١٩٢٠ ، وقف الدكتور عبد الرحمن الشهبندر وزير الخارجية وألقى البيان باسم الوزارة والذي جاء فيه : "وقد قبلت -الحكومة- أن تضع هذه التبعة العظيمة على عاتقها في هذه الأيام العصبية خدمة للوطن المقدس وهي مستندة في أعمالها -بعد الاتكال على الله تعالى- على مؤازرتكم ومؤازرة الأمة الكريمة التي أنابتكم عنها .

أن أساس خطتنا هو :

١. تأييد الاستقلال التام الناجز المتضمن في جملة ما يتضمنه حق التمثيل الخارجي .

٢. المطالبة بوحدة سورية بحدودها الطبيعية مع رد طلب الصهيونيين جعل القسم الجنوبي منها وهو فلسطين وطناً قومياً لليهود .

٣. رفض كل مداخلة أجنبية تمس سلطاتنا القومي .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٤١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"هذه غايات وزارتنا . وهي في الواقع تحقيق ما قرره مؤتمركم في جلسته التاريخية المشهورة" [١]. وبهذا بدا واضحاً ، أن هناك انسجاماً قوياً فيما بين مؤسسات الدولة الرسمية والشعبية في رفض ومقاومة الحركة الصهيونية . حتى إذا ما حل الانتداب ، فانه بلا شك ، قد عمل على صرف الاهتمامات ، والأفكار ، والأعمال ، بالدرجة الأولى إلى القضايا الداخلية. خصوصاً أن الانتداب في فلسطين وكما هو معلوم كان لبريطانيا ، مما يزيد في إعاقة حمل الهم الفلسطيني حيث انشغل كل جزء بهمومه الخاصة التي شكلها طبيعة الانتداب الذي فرض عليه.

لكن مع هذا فقد أخذت مقاومة سياسة الحركة الصهيونية الرامية للسيطرة على فلسطين حظاً لا باس به من ساحة الفكر السياسي في سورية . فقد ساهمت الزيارة التي قام بها بلفور إلى دمشق في الثامن من نيسان ١٩٢٥ في تأجيج مشاعر العداء للصهيونية ، وتأكيد الفكر السياسي الباعث على مقاومتها . ومما يذكره بهذا الصدد حسن الحكيم أن المظاهرة التي خرجت من المسجد الأموي ضد هذه الزيارة كانت أقوى مظاهرة تشهدها دمشق بعد حوادث كراين سنة ١٩٢٢ . حيث وقف الخطباء باسم الجماهير منددين بوعد بلفور المشؤوم ، وكانت الهتافات تتعالى بسقوط وعد بلفور والصهيونية . وإزاء ذلك أوعزت السلطات إلى بلفور بمغادرة البلاد [٢].

هذا فيما رأت جريدة ألف باء أن خطر الصهيونية ليس مقتصراً على فلسطين بل يتعداها إلى أجزاء الوطن العربي تقول الجريدة في هذا الصدد :"إن فلسطين

---

(١) جريدة العاصمة ، العدد ١٢٤ ، تاريخ ١٩٢٠/٣/١٣ .

(٢) حسن الحكيم ، مذكراتي ، ص ٨١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصهيونية ، ستجر إليها مع الزمان بلاد ما وراء الأردن ، كما يجر المغناطيس الحديد . وكيف ينتظر الإنسان خلاف ذلك من بلاد يقال لك إنها مستقلة وليس فيها من حاجيات الحياة سوى الحبوب ، وينقصها كل شيء من الخارج إن بلاداً هذا موقعها وهذه هي حالتها ، لا تلبث أن تصير سوقاً تجارياً لفلسطين ومتى كثرت المصالح وتمكنت العلائق وتقوى الصهيونيون وأصبحت لهم فيها حقوق يخشون ضياعها قل على استقلال ما وراء الأردن السلام" (١).

من جانبها ، جريدة الجزيرة حاولت وضع المخاطر التي تتهدد فلسطين أن تضعها في إطارها الإسلامي . فتحت عنوان : "استعمار فلسطين صفعة للعالم الإسلامي" كتبت تقول : بعد أن تناولت بالاستنكار الدور الذي يقوم به الانتداب البريطاني بالتمهيد للحركة الصهيونية وغرسها شجرة غريبة : "فإذا لم يتدارك المسلمون فلسطين الآن ، ولم يغتنموا وجود هذا الجو السياسي فانهم ولا شك سيرون مأساة الأندلس تعاد في هذه البلاد المقدسة بصورة افظع واقبح". وتتابع يده مقالها حتى تقول : "فاستعمار فلسطين وتسليمها لقمة سائغة لتتخذ منها وطناً قومياً لا يشبه استعمار آية بقعة أخرى في العالم بل هو تحد لعواطف الأمم الإسلامية . وإن إذلال فلسطين وتهويدها هو منتهى ما يمكن أن تصل إليه يد الإنسان وأية ضربة أقسى من تحكيم شذاذ الآفاق الذين ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا وقتلوا تقتيلا ، في رقاب أهل البلاد وحكامها . ولا يسعنا إلا أن نهمس في إذن الإنكليز أن يضعوا حداً لهذه

---

(١) جريدة ألف باء ، العدد ١٥٤ ، ١٩٢١/٣/٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السياسة . فإرضاء خمسمائة مليون مسلم اكثر نفعاً للإنكليز من إرضاء ستة عشر مليون يهودي" (١).

بين أيدينا وثيقة ، وهي عبارة عن رسالة مكتوبة بخط اليد من المحامي احمد حلمي العلاف المعتمد العام -الأمين العام- لحزب الفتوة العربي صاحب الاتجاه القومي ، بعث بها إلى الحاج أمين الحسيني . الرسالة أكدت على البعد القومي لمواجهة الأطماع الصهيونية في فلسطين جاء فيها : "لسعادة زعيم الجنوب الأكبر ، مخلص الوطن الأشهر ، الحاج أمين الحسيني حرسه الله تحية خالصه وإكراماً . وبعد فان ما أصاب الجسم العربي من الرزايا المتتالية على أجزائه الكثيرة لتهون عند هذا المصاب الأليم الذي إعتلق فلسطين المقدسة المحبوبة والتي تؤلف موضعاً حساساً في جسمه الكبيرة - إن الحوادث الدامية التي تتابعت على هذا القطر العربي من جراء وعد إبليس- بلفور- المشؤوم وتغاضي الأمة البريطانية عن جمع كهذا الجمع الفاسد المؤلف من حثالة الأمم ومفسديها ، جعل العرب يعتبرون بريطانيا هي الجانية ويشكون في مسيحيتها . وإن أمة كأمتنا العظيمة التي اعتادت منذ آلاف السنين أن لا تصبر على ضيم ولا تستكين على أذى ولا تنام على قذى ، سوف لا تعدم وسيلة أو فرصة تزكي فيها شعلة الانتقام للشرف ، فتذهب بها يهود العالم وتتعداها إلى سواهم" (٢).

المرأة السورية لم تكن بمعزل عن الإسهام في دفع الحركة الرافضة للسياسة الصهيونية في فلسطين . ففي المؤتمر الذي عقده الاتحاد النسائي بالقاهرة للدفاع عن

---

(١) جريدة الجزيرة ، العدد ٦١٥ ، ١٩٣٧/٤/٥.

(٢) انظر الوثيقة بمركز الوثائق التاريخية بدمشق ، رقم ٤/٧ ، شباب الاتحاد الوطني.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلسطين في الفترة ما بين الخامس عشر إلى الثمن عشر من تشرين أول سنة ١٩٣٨، نجد أن المرأة السورية كانت ذات مشاركة فاعلة تبين من خلالها مدى الوعي السياسي الذي تحلت به المرأة السورية بهذا الخصوص . بدا هذا من الخطاب الذي ألقته بهيرة العظمة باسم نساء سورية في المؤتمر ، فبعد أن تناولت الأهمية التاريخية والجغرافية لفلسطين بالنسبة للعالم العربي والإسلامي ، ناقشت الظلم الذي يعانيه أهل فلسطين والمستقبل الحافل بالمخاطر الناجم عن استمرار الهجرة الصهيونية لفلسطين والممهد لإقامة كيان يهودي على ارض فلسطين بدعم وتسهيل من الانتداب البريطاني . فصلت في الواجب الذي رأته يقع على عاتق المؤتمر ، والذي دار حول محاور أربعة هي[1]:

١- واجب المؤتمر التأكيد الدائم والمستمر على عروبة فلسطين ، واستقلالها ورفض كل محاولات الحركة الصهيونية الرامية لتهويد فلسطين وابتلاعها.

٢- إعلان العداء للحكومة البريطانية ولسياستها التي تعمل على تعزيز الحركة الصهيونية ، وتسهيل السبل أمامها في فلسطين في الوقت الذي تعمل فيه على محاربة أهل البلاد بكل الوسائل .

٣- التأكيد على أهمية تعريف الرأي العام العالمي بالظلم والخطر الذي يلحق بفلسطين وأهلها ، الناتج عن سياسة الانتداب البريطاني المتعاونة مع الحركة الصهيونية .

---

(١) مؤتمر الاتحاد النسائي ، القاهرة ، ١٩٣٨ ، ص ٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤- تشكيل اللجان في أقطار العالم العربي والإسلامي لطلب العون والدعم المادي والمعنوي والسياسي لأهل فلسطين.

فائقة المدرّس ، من حلب وإحدى المدعوات للمؤتمر لم تستطيع الحضور لكنها بعثت برسالة إلى المؤتمرات . انطلقت من خلالها بمناقشة المخاطر التي تتهدد مستقبل فلسطين جراء الانتداب البريطاني والحركة الصهيونية من كونها قضية إنسانية . تقول بهذا الصدد : "اعتقد إننا إذا أردنا العمل ، العمل الصحيح، العمل المنتج فعندي انه لا يجب الاعتماد على الملوك والزعماء والرؤساء فحسب ، وإنما يجب الاعتماد بعد الله على المرأة أيضاً . يجب أن نفكر في الطريق الذي يوصلنا إلى الجمعيات النسائية في الأمم ذات العلاقة في الشرق والغرب . والى زعيمات تلك الجمعيات يجب أن نرفع الشكوى ، ومن ثم يجب أن يحدد مؤتمرنا هذا للجميع يوماً أو أياماً لاحتجاج صارخ يدوي صداه في جميع أنحاء العالم [١].

(١) المصدر نفسه ، ص ٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحركة النسائية ودعوات التغريب:

يقول حسن الحكيم في مذكراته واصفاً حرارة الوداع التي جرت "لكراين" سنة ١٩٢٢ في دمشق "وكان في اشتراك المرأة المسلمة في إظهار العاطفة الوطنية علامة طيبة على نمو الوعي القومي حتى في السيدات اللاتي كن في خدورهن لخدمة منازلهن فقط" [١]. وفي هذا من الدلالة ، على أنه كان للطبيعة المحافظة التي اتسم بها المجتمع السوري الدور الواضح في رسم خط سير الحركة النسائية إبّان مرحلة الانتداب . فمما لا شك فيه أن المرأة في المجتمعات الشرقية بعامة ، والعربية والإسلامية بخاصة كان لها من الضوابط والقيم التي من شانها التقليل من دور المرأة في المشاركة في الحياة العامة .

حتى إذا ما كانت مرحلة الانفتاح الفكري والثقافي على الغرب ، بدأت الساحة السورية كغيرها في بعض الأقطار العربية الأخرى ، كمصر مثلاً ترتفع فيها أصوات للمناداة بحرية المرأة والاهتمام بقضاياها . وخلال مرحلة الانتداب، استمرت هذه الدعوات التغريبية متخذة من قضية المرأة مجالاً خصباً لها حتى جعلت بعض الدوريات كمجلة الحديث مثلاً قسماً خاصاً فيها أطلقت عليه قسم النسائيات ، كانت تدعوا من خلاله لاستمرار كي تلحق المرأة السورية بالمرأة الغربية في الحرية والعمل والحقوق . تقول المجلة تحت عنوان الرجل والمرأة : "العالم سائر إلى نقطة تزول عندها الفروق القائمة بين الرجل والمرأة ، أي انه سيتوحد فلا رجل بعد الآن ولا وامرأة بل الكل سواء في المشاكلة والمشابهة كالحلزون" [٢].

---

(١) حسن الحكيم ، مذراتي ، ص ٦٢ .

(٢) مجلة الحديث ، العدد الأول ، السنة الأولى ، كانون ثاني ، ١٩٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا لتقول المجلة في عدد آخر : "في باريس ، عاصمة الأفرنسيين ، حيث يشاهد الإنسان مثال الجمال والإبداع ، في المدينة القديمة ذات الآثار الفنية والمناظر الصناعية ، التي تعبث بالألباب ، وتبهر الأبصار ، يرى المرء الفتاة سارحة مارحة، ذاهبة إلى حانوت العمل ، آيبة من معملها تشارك الرجل في الحياة ، وتزاحمه في الأعمال ، وتسد في وجهه باب الارتزاق ، المرأة في باريس تلج كل باب من أبواب العمل ، وتزج بنفسها في مزدحم الأقدام فلا ترى حانوتاً إلا وهو غاص بالفتيات العاملات"[١] .

مجلة الطليعة ، ذات الاتجاه الماركسي الشيوعي ، كانت هي الأخرى ممن حمل لواء الدعوة لتحرير المرأة . وجعلت أيضاً الاستقلال الاقتصادي للمرأة طريقاً لاستقلالها ونيل حريتها بكل ظروف حياتها وأحوالها فالاستقلال الاقتصادي يقيها الإرهاق والاستعباد في بيت أهلها ، لأنها لا تعود في نظرهم عالة وحملاً ثقيلاً ، بل مسعفاً في وقت حاجتهم . والمهنة في بيت زوجها تحررها كذلك. ويمكنها أن تهجر زوجها وتحصل معاشها بطريقة شريفة إذا أساء الرجل معاملتها. لكن المجلة عالجت الموضوع من وجهت نظرها الماركسية، إذ رأت أن الذي يجعل عمل المرأة ممقوتاً هو النظام الرأسمالي . لان هذا النظام لا يتعدى مفهوم العمل لديه سواء عمل المرأة أو عمل الرجل، 'سوى بيع مقدرة عقلية أو جسدية لهذا المثري أو ذاك". وعمل المرأة لا يسبب الأزمات الاقتصادية إنما الذي يسبب هذه الأزمات هو ، تطاحن أرباب المال ، وفوضى الإنتاج والهدف الربحي ، والعجز عن التوزيع[٢].

---

(١) مجلة الحديث ، العدد ٢، السنة الأولى ، شباط ١٩٢٧.

(٢) مجلة الطليعة ، العدد ٩ ، حزيران ١٩٣٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المؤتمر النسائي العام في سورية ولبنان سنة ١٩٢٨:

لعله من خلال الوقوف، على حيثيات هذا المؤتمر سواء بطبيعة الدعوة، أو فقرات برامجه والكلمات والخطب التي ألقيت فيها ، أو حتى من خلال أسماء الشخصيات التي شاركت في المؤتمر . يتبين لنا أن هذا المؤتمر ، إنما يشكل حلقة من سلسلة الحلقات والنشاطات والتوجهات الداعية للمرأة السورية أن تلتحق بركب المدينة الغربية ، وتأخذ بأساليب حياتها المعاصرة .

لجنة المؤتمر:

تشكلت لجنة المؤتمر من [١]:

١- السيدة لبيبة فيليب ثابت ، رئيسية .

٢- السيدة هدى ضومط .

٣- الآنسة أمينة خوري مقدسي .

٤- السيدة نور حمادة .

٥- السيدة دوز شحفة .

٦- السيدة شيرين نجيب مصور .

٧- الآنسة ابتهاج قدورة .

٨- الآنسة عنبرة سلام .

٩- الآنسة نجلا كفوري .

---

(١) المؤتمر النسائي في بيروت ، سنة ١٩٢٨ ، مطبعة صادر بيروت ، ص ٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من خلال التعرف على أسماء هذه اللجنة يتضح أنها جمعت بين المسلمات والمسيحيات ، في تبني فكرة المؤتمر وما سيصدر عنه من قرارات وتوصيات .

وعن هدف المؤتمر وغاياته ، فانه يظهر ذلك مما حملته بطاقات الدعوة التي وجهتها لجنة المؤتمر إلى الجمعيات النسائية للمشاركة فقد جاء : "أن جمعية المؤتمر النسائي العام تقيم هذه السنة مؤتمراً عاماً في بيروت . والغاية منه جمع كلمة المرأة وإيجاد روح ألفة واتحاد بين سائر الجمعيات النسائية على اختلاف غاياتها ومراميها لتتمكن المرأة من خدمة البلاد خدمة لا تقوى على إتمامها بدون اتحاد"[١] . وتفصل دوز شحفة عضو لجنة المؤتمر في هذه الغاية فتقول : "وهنّ عالمات أن الحياة من دأبها التطور والتجدد مع روح العصر لتسمى حياة . فمنهن من تطالب بحقوق قلما يعيرها أفراد الأمة انتباهاً لانصرافهم أما إلى السياسة أو إلى الماديات ، ومنهن من تحارب عادات تأصلت في أفراد الأمة فأخّرت في نموها اقتصادياً وأدبياً ، ومنهن من تعالج قواعد التربية في النشء الجديد محاولة إبدالها بما هو اصلح تبعاً لمنظمي حركة التربية الجديدة في العالم المتمدن ، وغيرها تبث روحاً في مجموع الأمة في المحافظة على لغة البلاد ليعلو قدر القومية ، وتسمو النفوس في معرفة الحقيقة ، تلك الحقيقة المرة التي تكاد تفقد الأمة اعظم ركن من أركانها". لبى دعوة المؤتمر ، خمس وعشرون جمعية نسائية. وعقد المؤتمر خمس اجتماعات في نادي مدرسة الأحد الأمريكية في بيروت ، وألقيت خلال تلك الاجتماعات الخطب والكلمات التي عكست توجهات المؤتمر [٢].

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من مثل كلمة نور حمادة التي جاءت بعنوان "حقوق المرأة في الزواج" فبعد مقدمة ، وردت فيها الشواهد على المكانة التي كانت للمرأة العربية في الجاهلية وصدر الإسلام ، وهي المكانة المشمولة بالكرامة الموفورة الحقوق ، حصرت الحقوق الزوجية في خمس عشرة نقطة وهي [١]:

١- أن تكون أدنى سن للزواج عشرين سنة للرجل وسبع عشرة للمرأة.

٢- أن يتعارف الخطيبان قبل الزواج بحضور محرم .

٣- أن تكون بينهما محبة متبادلة .

٤- أن تتكافأ الشخصيات روحياً وأدبياً واجتماعياً .

٥- أن يتساوى الطرفان في حق الاختيار .

٦- الوثوق من حسن صحتهما قبل الزواج .

٧- الاعتدال في نفقات الزواج .

٨- تخفيض قيمة المهور .

٩- إطلاق يد المرأة في إدارة منزلها .

١٠- انفراد العائلة الجديدة عن العائلة القديمة .

١١- منع تعدد الزوجات إلا لأشد ضرورة .

١٢- منع الطلاق والهجر إلا برضى الفريقين وبما تجيزه الشرائع .

١٣- تكليف المطلق ضمانة مالية .

١٤- إعطاء المرأة حقها الشرعي من الميراث .

١٥- إباحة الأزواج للزوجات ارتياد النوادي الأدبية .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٠٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي الختام، فلعله يمكن القول هنا، أن أهم ما يبرزه المؤتمر هو الدور اللبناني الواضح في التأثير على صياغة ثقافة المرأة في سورية وتوجيهها الوجهة الغربية لاكتساب ثقافتها وأنماط حياتها .

وفي ظل هذه التفاعلات الفكرية والثقافية تنامت الدعوات والمناقشات، حول قضايا المرأة والتي أخذت طابعاً جدياً بين المؤيدين والمعارضين لما يسمى بتحرير المرأة وتقليدها للمرأة الغربية. وابرز الأمور التي دارت المساجلات حولها بين هؤلاء وهؤلاء كانت، الحجاب والسفور، والمشاركة السياسية للمرأة، وعمل المرأة خارج بيتها.

محمد جميل بيهم، والذي كان يطلق عليه لقب نصير المرأة، رأى في الاستقلال الاقتصادي للمرأة انه أوسع الطرق لنيلها حريتها واستقلالها عن سلطة الرجل ، ولذلك كان من اكثر المنادين بضرورة خروج المرأة للعمل كي تستقل المرأة اقتصادياً. يقول بهذا الصدد: "فان الانقلاب الذي حدث في العالم عن تأثير الحالة الاقتصادية ، وعما صار للمال من النفوذ في تكييف مناهج الأمم المعاصرة وأخلاقها شمل هذا الوطن العزيز ، فاستدعى أن يحصل فيه تطور بالحركة النسائية يلائم ذلك الانقلاب" [1]. ويرى انه إذا ما انخرطت المرأة في الأعمال والمهن والوظائف فانه يصبح ضروري لها ساعة إذن أن تشكل ما اسماه نقابة المرأة العاملة والتي من شانها "العمل والتعاون على ترويج المصنوعات والمنتوجات الوطنية

---

(١) مجلة النقابة ، السنة الثالثة ، أيار ١٩٣٦ . وتجدر الإشارة أن محمد جميل بيهم ، كان قد قابل محمد بك رفعت السكرتير الأعظم للمحافل الماسونية المصرية ، والذي طلب إليه -إلى محمد جميل بيهم- أن يكون أستاذاً اعظم للمحفل الماسوني نور الشرق ، في سورية ولبنان . انظر جريدة الجزيرة ، العدد ٣١١ ، ١٩٣٥/٧/٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهكذا تداوي هذه النقابة الأزمة الاقتصادية بتوفير الكسب لصاحبات الصنعة العاطلات من جهة ، وبالسعي لرواج مصنوعاتهن الوطنية وسائر منتوجات الوطن من جهة أخرى، وتستخدم هذه الخطوة لنيل المرأة حقوقها كاملة. وبهذه الواسطة تخطو المرأة في بلادنا خطوة جديدة، فتنتقل من دور الأقوال إلى دور الأعمال. على انه صح وجود عقم في أعمال المرأة التي قامت حتى الآن فسببه بقاؤها تحت وصاية الرجل، واستمرار حرمانها من الحقوق التي تتمتع بها شقيقتها في البلاد الراقية ومن البديهي أن تأتي آثار القاصرات قاصرة"(١).

سعيد البحرة، كان هو الآخر من الداعين لمثل هذا الرأي حين قارن بين الحضارة الأوربية والتي أصبحت تمثل القوة العالمية وبين واقع العالم العربي، وخلص إلى نتيجة مفادها أنه إذا ما أراد العرب اللحاق بالعالم المتمدن ومواكبته في قوته، فينبغي "أن تخرج المرأة للحياة، ولتزج بنفسها في ميدان الكفاح والنشاط عضواً مستقلاً منتجاً متحملاً نصيبه وحظه من أعباء الحياة وتبعاتها" (٢).

وتشير المصادر إلى الدور المباشر الذي مارسه الاتحاد النسائي الدولي الذي تأسس في واشنطن سنة ١٩٠٢، في دعوة المرأة السورية للانفتاح على الثقافة الغربية والأخذ بمبادئها. ففي أوائل كانون ثاني ١٩٣٥، قام وفد من الاتحاد النسائي الدولي ممثلاً برئيسته آنذاك وسكرتيرتها الخاصة ، بزيارة بيروت، حيث عملت الجمعيات النسائية على استقبالهن بكل حفاوة وتقدير. فأقامت لهذا الوفد حفل استقبال خاص . شاركت فيه بعض الجمعيات النسائية في سورية . وأثناء الحفل توجهت

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) الجزيرة ، العدد ١٥٧ ، ١٩٣٥/١/١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سكرتيرة الوفد إلى النساء في لبنان وسورية بقولها : "جئنا لكي نمهد لمؤتمر استنبابول وقد اخترنا تلك المدينة حتى يتاح لنا الجمع بين الشرق والغرب ، فتعالوا أيها السيدات إلى استنابول حيث تجتمعن إلى شقيقاتكن من جميع أنحاء الدنيا وتجدن أن النساء جميعاً متماثلات ، أرجوكن هيا إلى استنابول". هذا فيما قالت رئيسة الوفد: "أما انتن أيتها السيدات فأنا اقدم لكن نصيحة خاصة إلا تعتمدن على أحد أبداً ، تعاونّ ورجالكن معاً على أساس مساعيكم الشخصية وجاهدوا باستمرار فاكفل لكم النجاح" (١).

وفي مناقشتها للقائمات على المؤتمر المزمع عقدة في استنابول تقول ماري عجمي :"ويعمل مؤتمركن على مطالبة الرجل بإكرام المرأة ، اعترافاً بشخصيتها وفي وجوب منحها حق الترقي أسوة بأخيها . وهنا نجد محمد رسول المسلمين صرح لسائل سأله من اكرم أولاً ؟قال أمك ، قال وثانياً ؟قال أمك ، قال وثالثاً ؟ قال أمك ، وعندي أن درجة إكرام المرأة في الشرق أو الغرب وقف على مالها من جداره". كما وتؤكد ماري عجمي أنه بالمقارنة يتبين أن إنصاف الرجال للنساء فيه تقارب سواءً في الشرق أو الغرب ، لكن رجال العرب والمسلمين يتميزون انهم فوق الإنصاف للمرأة ، عندهم عطف عليها كما يتميزون كذلك انهم لا يرون في المرأة عدواً لدوداً لهم في المشاركة بالحياة العامة كما هو الحال عند الرجال الغربيين. وتستمر ماري عجمي بالمقالة نفسها حتى تخلص إلى القول : "وعسى أن تصبح المرأة حين لا تتسع مساحة بلادها لإشغال الجنسين ، الفكرة المساعدة لا اليد

---

(١) الجزيرة ، العدد ١٦٠ ، ١٩٣٥/١/٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المزاحمة كيلا يبقى الرجل عاطلاً من إحدى الوظيفتين . وظيفة المرأة في البيت ، ووظيفة الرجل في السوق "[١].

كان لهذه الدعوات التي ارتفعت أصواتها في وسط مجتمع عربي مسلم محافظ. أن توجد أصداءً قوية لاستنكارها والوقوف ضدها . تركزت هذه الردود والمناقشات حول عدة محاور ونقاط أهمها [٢]:

١- أن الإسلام احترم المرأة وأعطاها كافة حقوقها.

٢- أن المجتمع السوري له من العادات والقيم ، التي مكنت المرأة أن تسير بخطوات يمكنها معها أن تؤمّن استعمال حريتها الشخصية ، دون تقليد أعمى لخطوات المرأة الغربية في حياتها .

٣- الحجاب واجب شرعي لا مجال للنقاش فيه لأنه أمر من عند الله عز وجل.

٤- مقاومة الأفكار التي تدعو للسفور، لأنها أفكار هدامة وتدعو لإفساد الجيل وهي بأصلها ومنشأها أوروبية غربية غريبة.

ولعله يمكن لنا أن نقف على الرأيين المختلفين في الموقف من قضايا المرأة من خلال القصيدتين التاليتين [٣]. ففي حين جاءت القصيدة الأولى مؤيدة للمناداة بتحرير المرأة وانطلاقها في الحياة كما هو الحال في أوروبا:

---

(١) الجزيرة ، العدد ١٨١ ، ١٩٣٥/٢/٢٧ .

(٢) الجزيرة ، العدد ١٩٢ ، ١٩٣٥/٣/١٠ .

(٣) الجزيرة ، العدد ١٨٧ ، ٣/٦/ ١٩٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اليــوم يرفــع صـــوت للنســـاء لـــه

صدى من ربــوع البــدو والحضــر

اليــوم ينتصـــر الحـــق المبيـــن علـــى

ظلـم وجهـل مرّا فـي سـالف الدهـــر

اليــوم ثغـــر العلـــى يفـــتر مبَســـماً

كالبرق في فلـك عـن خـالص الـدرر

اليــوم تقـدح أســـلاك الـــورى شـــرراً

عـن المشـارق تـروي أطيـب الخـبر

إلـــى الأمـــام نســـاءُ الشـــرق ســـائرة

وهـن إن سـرنا نلنـــا منتهـــى الوطـــر

أما القصيدة الثانية والتي حملت أبياتها الرأي المعارض بقولها :

اليــوم لا شـك يـوم الخـوف والحـــذر

يا شام فابكي على الإسلام واعتبري

اليــوم يرفـــع صـــوت للنســـاء بـــه

نعـي المـــرؤة بيـن البـدو والحضـر

اليــوم ينتصـــر الجهـــل المبيـــن علـــى

دين وعلم مضى فـي سـالف العصـر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اليـوم أهـل الهـدى نـــالوا مقـــاصدهم

وســادة القـوم فـــي هـم وفـي كـدر

اليـوم تقـدح أســـلاك الـــورى شـــرراً

للغرب تروي بان الشـرق في خطـر

إلـــى الـــوراء نســـاء الشـــرق ســـائرة

فليهنـــأن رجـال الســـوء بـــالوطر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة

بعد أن كانت فكرة إعداد هذه الدراسة رغبة وحلما ، وأصبحت حقيقة وواقعاً. فانه يمكن الوقوف عند ست نقاط تشكل مجتمعة النتيجة التي وصلت إليها هذه الدراسة . والتي كانت على النحو التالي:

١- تعتبر دراسة الفكر السياسي من أهم الدراسات التي ينبغي التركيز عليها في عالمنا العربي في وقتنا الحاضر، وذلك بما تشكله هذه الدراسات من مساهمات في تحديد هوية الأمة.

٢- كان للمفكرين السياسيين في سورية ، خلال مرحلة الانتداب والمرحلة التي سبقتها الدور الهام في صياغة الفكر السياسي العربي والتفاعل معه. والذي برز أثره خلال ما تبع تلك المرحلة من عقود.

٣- تبين واضحاً من خلال الدراسة أن الوضع السياسي أثناء مرحلة الانتداب في سورية ، كان يدفع بالفكر السياسي إلى التأثر بالفكر السياسي الغربي ومحاكاته ، والدعوة للانفتاح على الغرب والإقتداء به في تبني نظرياته السياسية كالديمقراطية مثلاً ، وهذا في الحقيقة استمرار لهذا الاتجاه الذي بدأ قبل مرحلة الانتداب ، وهذا يصدق أيضاً على اطروحات الفكر السياسي العربي عامة.

٤- تبين من خلال الدراسة بوضوح أن السياسية الاستعمارية للانتداب ، كانت ترمي باستمرار إلى تجزئة البلاد والسيطرة على مقدراتها واستغلالها ، ولم تكن بحال من الأحوال تعمل لأجل صالح البلاد وأهلها ، كما كانت تحاول أن تظهر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بل على العكس من ذلك فإنها كانت تحارب كل فكرة من شأنها أن تعمل للصالح الوطني.

وكما كشفت الدراسة عن اتجاهات سياسية كانت على ارتباط مع الانتداب وعلاقة معه ، وتتبنى الدعوة إليه . ولعلها كانت سبباً مباشراً في إطالة عهد الانتداب.

٥- كرست فترة الانتداب سواءً في سورية ، أو غيرها من أقطار الوطن العربي ، الواقع الإقليمي والقطري.

٦- تبنى الفكر السياسي أسلوبين لمقاومة الانتداب وهما الكفاح المسلح والنضال السياسي وذلك كردة فعل طبيعية لأجل الوصول بالبلاد إلى الاستقلال والوحدة . والتأكيد على أن الشعب العربي السوري جدير بالحياة الحرة الكريمة وانه مؤهل إن يحكم نفسه بنفسه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصادر والمراجع:

اولاً : الوثائق :

١. وثيقة بيان المؤتمر التأسيسي الأول لعصبة العمل القومي ، المكتبة الظاهريّة بدمشق، تحت رقم ق ٢٣٩ (٣٠) . وهي مكوّنة من سبع وعشرين صفحة مطبوعة . ص ١٣ .

٢. وثيقة الحزب الشيوعي السوري تحت رقم ٢/٤٧٢ ، القسم الخاص بالاحزاب، مركز الوثائق التاريخية بدمشق.

٣. وثيقة السجل رقم ٥ /٤/ ٣٧ ، القسم الخاص ، الأحزاب ، الحزب الشيوعي السوري بمركز الوثائق التاريخية بدمشق .

٤. وثيقة شباب الاتحاد الوطني. رقم ٤/٧ ، بمركز الوثائق التاريخية بدمشق .

٥. وثيقة ملف رقم (٧) منظمات شباب الاتحاد الوطني . وثيقة مكتوبة بخط اليد، بمركز الوثائق التاريخية بدمشق.

٦. وثيقة الميثاق العام لحزب الفتوّة العربي- شباب الاتّحاد الوطني - تحت رقم ١٧ ، وهي مصنفة بالقسم الخاص بالمنظمات بمركز الوثائق التاريخية بدمشق ، وهي غير مطبوعة وتقع في خمس صفحات بخط اليد.

٧. وثيقة النظام الأساسي للمكتب العربي بدمشق ، تحت رقم ٢٤ ، والمصنفة بالقسم الخاص بالمنظّمات ، مركز الوثائق التاريخيّة ، دمشق ، ص ١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً: المطبوعات:

٨. أبي زاشد ، حنا أبي راشد ، جبل الدروز ، القاهرة ، مكتبة زيدان العمومية، سنة ١٩٢٥.

٩. الارسوزي ، زكي الارسوزي ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الثانية، دمشق ، سنة ١٩٧٥ ، ثمانية أجزاء .

١٠. الارمنازي ، نجيب الارمنازي ، سورية من الاحتلال إلى الجلاء ، بيروت، دار الكتاب الجديد ، ١٩٧٣.

١١. الاعظمي ، احمد عزت الاعظمي ، القضيّة العربية ، أسبابها مقدماتها نتائجها، الطبعة الأولى ، بغداد ، ١٩٣٢ ، أربعة أجزاء.

١٢. أنطونيوس ، جورج أنطونيوس ، يقضة العرب ، تاريخ حركة العرب القومية، ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس ، بيروت ، دار العلم للملايين، الطبعة السابعة ، ١٩٨٢.

١٣. بركات ، سليم بركات ، الفكر القومي وأسسه الفلسفيّة عند زكي الارسوزي، دمشق، دار دمشق ، سنة ١٩٧٩.

١٤. برو، توفيق برو ، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ١٩٠٨-١٩١٤، معهد الدراسات العربية العالية ، جامعة الدول العربية ، القاهرة ، دار النهار للطباعة والنشر، ١٩٦٠.

١٥. البستاني ، سليمان البستاني ، الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده ، القاهرة ، مطبعة الاتحاد ، ١٩٠٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٦. البشري ، عبد الغني البشري ، أثر سياسة القوميّات في الحركة القومية العربيّة ١٩٦٤م ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٤.

١٧. البنّا ، حسن البنّا ، مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنّا ، بيروت ، المؤسسة الإسلاميّة للطباعة والصحافة والنشر، ١٩٨١.

١٨. بيضون ، وجيه بيضون ، ذكريات الحفار ، مطابع ابن زيدون ، ١٩٥٥.

١٩. بيهم ، جميل بيهم ، الانتدابان في سورية والعراق ، بيروت ، ١٩٧٤.

٢٠. ثورة العرب ، بقلم أحد أعضاء الجمعيّات العربيّة ، القاهرة ، ١٩١٦ .

٢١. جرّار ، حسني ادهم جرّار، الدكتور مصطفى السباعي قائد جيلٍ ورائد أمّةٍ، عمان ، دار البشير، عمّان ١٩٩٤.

٢٢. جزماتي ، نذير جزماتي، الحزب الشيوعي السوري، ١٩٢٤-١٩٥٨، دمشق، مطبعة ابن حيان، ١٩٩٠ .

٢٣. الجنحاني ، د. الحبيب الجنحاني ، الحركات الإسلاميّة المعاصرة في الوطن العربي ، مثال سورية ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربيّة ، ١٩٨٧.

٢٤. الجندي ، ادهم الجندي، تاريخ الثورات السوريّة في عهد الانتداب الفرنسي، دمشق، مطبعة الاتحاد، ١٩٦٠ .

٢٥. الجندي ، سامي الجندي ، البعث ، بيروت ، دار النهار للنشر والتوزيع ، بدون تاريخ النشر.

٢٦. الحصري ، ساطع الحصري ، يوم ميسلون ، صفحة من تاريخ العرب الحديث، بيروت ، منشورات دار الاتحاد ، بدون تاريخ النشر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٧. الحفار ، وجيه الحفار ، الدستور والحكم في الجمهورية السورية ، دمشق، مطبعة الإنشاء ، ١٩٤٨ .

٢٨. الحكيم ، حسن الحكيم ، خبراتي في الحكم ، عمان ، دارة مجلة الشريعة ، ١٩٧٨ .

٢٩. الحكيم ، حسن الحكيم ، عبد الرحمن الشهبندر ، حياته وجهاده ، بيروت، الدار المتحدة للنشر ، ١٩٨٥ .

٣٠. الحكيم ، حسن الحكيم ، الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية ١٩١٥-١٩٤٦ ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٧٤.

٣١. الحكيم ، يوسف الحكيم ، سورية والعهد الفيصلي ، بيروت ، المطبعة الكاثولوكية ، ١٩٦٦ .

٣٢. الحكيم ، يوسف الحكيم ، سورية والانتداب الفرنسي ، بيروت ، دار النهار للنشر ، ١٩٨٠.

٣٣. حوّى ، سعيد حوّى ، هذه تجربتي وهذه شهادتي ، القاهرة ، دار التوفيق النموذجيّة ، ١٩٨٧.

٣٤. حوراني ، البرت حوراني ، الفكر العربي في عصر النهضة ، بيروت، دار النهار، بدون تاريخ النشر .

٣٥. خدوري ، مجيد خدوري ، الاتجاهات السياسيّة والاجتماعية في العالم العربي دور الأفكار والمثل العليا في السياسة ، بيروت ، الدار المتحدة للنشر ، ١٩٧٢.

٣٦. خدوري ، مجيد خدوري ، عرب معاصرون ، بيروت ، الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣٧. خدوري ، مجيد خدوري ، المسألة السورية ، بحث في نشوء وتطور الحركة القومية في الشرق العربي ، الموصل ، مطبعة أم الربيعين ، ١٩٣٤ .

٣٨. الخطيب ، محب الدين الخطيب ، المؤتمر العربي الأوّل والمنعقد في القاعة الكبرى للجمعيّة الجغرافية بشارع سن جرمن في باريس، صادر عن اللجنة العليا لحزب اللامركزيّة ، سنة ١٩١٣ ، جمع وإعداد محب الدين الخطيب.

٣٩. خوري ، رئيف خوري ، الفكر العربي الحديث أثر الثورة الفرنسية في توجيهه السياسي والاجتماعي ، بيروت ، دار المكشوف ، الطبعة الثانية ، ١٩٦١.

٤٠. الدجاني ، احمد صدقي الدجاني ، تطوّر مفهوم الديمقراطيّة في الوطن العربي، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربيّة ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٧.

٤١. دليل الجمهورية السوري ، يصدر سنوياً عن جريدة الأخبار والنظام بدمشق، ١٩٣٩-١٩٤٠ ، دمشق ، مطبعة ألف باء.

٤٢. دروزه ، محمد عزة دروزه ، نشأت الحركة العربية الحديثة ، بيروت ، دار صادر، ١٩٦٢ ، ثلاثة أجزاء .

٤٣. الدوري ، د. عبد العزيز الدوري ، التكوين التاريخي للامة العربية دراسة في الهوية والوعي . بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية، أيلول ١٩٨٤.

٤٤. رسلان ، د. أنور احمد رسلان ، الديمقراطية بين الفكر الفردي والفكر الاشتراكي، القاهرة ، دار النهضة العربية، ١٩٧١.

٤٥. رضا ، محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده، القاهرة ، مطبعة المنار، الطبعة الثانية، بدون تاريخ النشر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤٦. رضا ، علي رضا، قصة الكفاح الوطني في سورية عسكرياً وسياسياً، حلب ١٩٧٧، بدون تحديد دار النشر.

٤٧. الريس ، منير الريس ، الكتاب الذهبي للثورات الوطنية في المشرق العربي، الثورة السورية الكبرى ، دمشق ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ١٩٦٩.

٤٨. الريماوي ، د. سهيله الريماوي ، بحث مقدّم لليوم العلمي لكلية الآداب في الجامعة الأردنية سنة ١٩٨٣م، تحت عنوان مفهوم اللامركزية وتطوره .

٤٩. الريماوي ، د. سهيله الريماوي ، جمعية العربية الفتاة السريّة ، عمان ، دار مجدلاوي للنشر ، ١٩٨٨.

٥٠. زريق ، قسطنطين زريق ، الوعي القومي، بيروت ، دار المكشوف ، الطبعة الثانية ، ١٩٤٠.

٥١. الزهراوي ، عبد الحميد الزهراوي ، الإرث الفكري ، جمعه وحققه جودت الركابي وجميل سلطان، دمشق ، ١٩٦٢ ، بدون ذكر دار النشر .

٥٢. الزهراوي ، عبد الحميد الزهراوي ، الفقه والتصوّف ، القاهرة ، مطبعة نور الأمل.

٥٣. زويا ، لبيب زويا ، الحزب السوري القومي الاجتماعي تحليل وتقييم ، ترجمة جوزيف شويري ، بيروت ، دار ابن خلدون ، ١٩٧٣ .

٥٤. زين ، زين نور الدين زين ، نشؤ القومية العربية ، بيروت ، دار النهار للنشر، بدون تحديد تاريخ النشر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥٥. ستودارد ، لوثرب ستودارد ، حاضر العالم الإسلامي ، ترجمة عجاج نويهض ، وبهامشه تعليقات الأمير شكيب أرسلان ، القاهرة ، المطبعة السلفية ومكتبتها، ١٩٧٣.

٥٦. سعادة ، انظون سعادة ، الدليل إلى العقيدة السوريّة القوميّة الاجتماعيّة ، بيروت، ١٩٧٩ ، بدون ذكر دار النشر .

٥٧. سعيد ، أمين سعيد، الثورة العربيّة الكبرى، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٩٥٤م ، ثلاثة أجزاء.

٥٨. السفرجلاني ، محي الدين السفرجلاني ، تاريخ الثورة السورية ، دمشق ، دار اليقظة العربيّة للتأليف والنشر، ١٩٦١.

٥٩. السمّان ، د. احمد السمّان ، المجتمع العربيّ ، دمشق ، مطابع دار الفكر، ١٩٦٢.

٦٠. الشرباصي ، احمد الشرباصي ، شكيب أرسلان ، داعية العروبة والإسلام، القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة ، ١٩٦٣.

٦١. الشهابي ، مصطفى الشهابي ، القوميّة العربيّة ، بيروت ، ١٩٥٢.

٦٢. الشهبندر ، د. عبد الرحمن الشهبندر ، القضايا الاجتماعية الكبرى في العالم العربي ، تحقيق وتقديم محمد كامل الخطيب ، الطبعة الثانية ، دمشق ، وزارة الثقافة، ١٩٩٣.

٦٣. الشوابكة ، احمد فهد بركات الشوابكة ، حركة الجامعة الإسلاميّة ، الأردن، الزرقاء، مكتبة المنار، ١٩٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦٤. شيا ، محمد شفيق شيا ، شكيب أرسلان مقدّمات الفكر السياسي ، بيروت ، معهد الإنماء العربي ، ١٩٨٣.

٦٥. صالح ، قاسم محمد صالح ، وقاسم محمد الدروع ، دراسة أوليّة في الفكر السياسي للثورة العربيّة الكبرى ، الأردن ، المطابع العسكرية ، ١٩٨٩ .

٦٦. صدقي ، نهال بهجت صدقي ، فخري البارودي في شعره ونثّره ، بيروت ، دار القدس ، بناية مكرزل ، ١٩٦٤.

٦٧. العش ، أنور العش ، في طريق الحريّة ، دمشق ، مطبعة الاعتدال ، سنة ١٩٣٧ ، جزءان.

٦٨. عفلق ، ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، بغداد ، مكتبة الثقافة والإعلام القومي، سنة ١٩٨٥ ، سبعة أجزاء.

٦٩. العظم ، رفيق العظم ، الجامعة الإسلامية وأوروبا ، طبع بمطبعة هندية ، ١٩٠٧.

٧٠. علي ، محمد كرد علي، خطط الشام ، دمشق ، مكتبة النوري ، الطبعة الثالثة، ١٩٧١ ، ستة أجزاء.

٧١. علي ، محمد كرد علي ، غرائب الغرب ، مطبعة المقتبس ، ١٩١٠م .

٧٢. عماره ، محمد عماره ، عبد الرحمن الكواكبي شهيد الحريّة ومجدّد الإسلام، القاهرة، دار المستقبل العربي ، ١٩٨٢.

٧٣. العيسمي ، شبلي العيسمي ، حزب البعث العربي الاشتراكي ، بيروت ، دار الطليعة، ١٩٧٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧٤. غرايبة ، د. عبد الكريم غرايبة ، سورية في القرن التاسع عشر ، جامعة الدول العربيّة ، معهد الدراسات العربيّة العالية ، القاهرة ، دار الجيل للطباعة .

٧٥. فرحات ، أديب فرحات ، سورية ولبنان كتاب يتضمّن دروساً جغرافيةً تاريخيةً لحكومة لبنان الكبير وبلاد العلويّين وجبل الدروز وفلسطين والشرق العربي ، صيدا، مطبعة العرفان، ١٩٢٤م.

٧٦. فرزات ، محمد حرب فرزات ، تاريخ الأحزاب في سورية، ١٩٥٣.

٧٧. القاسمي ، ظافر القاسمي ، وثائق جديدة عن الثورة السوريّة ، بيروت ، دار الكتاب الجديد، ١٩٦٥ .

٧٨. قاسمية ، د. خيرية قاسمية ، الحكومة العربية في دمشق ، القاهرة ، دار المعارف.

٧٩. قرقوط ، د. ذوقان قرقوط ، تطوّر الحركة الوطنيّة في سورية ، بيروت ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ١٩٧٥ .

٨٠. قرقوط ، د. ذوقان قرقوط ، المشرق العربي في مواجهة الاستعمار ، قراءة في تاريخ سوريّة المعاصر ، القاهرة ، الهيئة المصريّة العامة للكتّاب ، ١٩٧٧.

٨١. القلعجي ، قدري القلعجي ، تجربة عربي في الحزب الشيوعي ، الطبعة الثانية، بيروت ، دار العربي ، بدون تحديد تاريخ الطبع.

٨٢. الكبيسي ، باسل الكبيسي ، حركة القوميّين العرب ، بيروت ، دار العودة ، ١٩٧٥.

٨٣. الكواكبي ، عبد الرحمن الكواكبي ، أم القرى ، القاهرة ، المكتبة التجاريّة الكبرى، ١٩٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨٤. الكواكبي ، عبد الرحمن الكواكبي ، طبائع الاستبداد ، بيروت ، دار النفائس، ١٩٨٤.

٨٥. كوثراني ، د. وجيـة كوثرانـي ، الاتجاهـات السياسـية والاجتماعيـة فـي جبل لبنان والمشرق العربي ١٨٦٠-١٩٢٠ ، بيروت ، معهد الإنماء العربي ، الطبعـة الثالثة ، ١٩٨٢.

٨٦. كوثراني ، وجية كوثراني ، بلاد الشام السكان والاقتصاد والسياسة الفرنسية، بيروت ، معهد الإنماء العربي ، ١٩٧٨.

٨٧. كوثراني ، د. وجيه كوثراني، السلطة والمجتمع والعمل السياسي في بلاد الشام، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربيّة، ١٩٨٨.

٨٨. الكيالي ، د. عبد الرحمن الكيالي ، الجهاد السياسي ، حلب ، المكتبة العصرية ومطبعتها ، ١٩٤٦.

٨٩. الكيالي ، عبد الرحمن الكيالي ، المراحل ، حلب ، مطبعة الضاد ، ١٩٦٠، أربعة أجزاء.

٩٠. محافظة ، د. علي محافظة ، الفكر السياسي في فلسطين من نهاية الحكم العثماني حتى نهاية الانتداب البريطاني ، الأردن ، مركز الكتب الأردني ، ١٩٨٩.

٩١. محافظة ، د. علي محافظة ، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ١٩١٩ -١٩٤٥ ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٥.

٩٢. مردم ، خليل مردم بك ، ديوان خليل مردم بك ، دمشق ، المجمع العلمي العربي بدمشق ، بإشراف عدنان مردم بك ، بدون تاريخ النشر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٩٣. مل ، جون ستيورت مل ، الحكومات البرلمانية ترجمة إميل الغوري ، دمشق، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، بدون تاريخ النشر.

٩٤. منسي ، د. محمود صالح منسي ، حركة اليقظة الفكرية في الشرق الآسيوي، القاهرة ، دار الاتحاد العربي للطباعة والنشر ، بدون تاريخ النشر .

٩٥. مؤتمر الاتحاد النسائي في القاهرة ١٩٣٨ ، القاهرة ، إعداد لجنة المؤتمر، بدون تاريخ أو دار النشر.

٩٦. المؤتمر النسائي في بيروت سنة ١٩٢٨ ، بيروت ، مطبعة صادر، إعداد لجنة المؤتمر ، بدون تاريخ النشر.

٩٧. نداف، عماد نداف، خالد بكداش يتحدث، دمشق، ١٩٩٣، بدون تحديد دار النشر.

٩٨. نظمي ، د. وميض نظمي، دراسات في القوميّة العربيّة والوحدة،، بيروت، مركز دراسات الوحّدة العربية، ١٩٨٤ .

٩٩. وتلن ، الماوتلن ، عبد الحميد ظلّ الله على الأرض ، ترجمة راسم رشدي، دار النيل للطباعة ، بدون تحديد مكان وتاريخ النشر .

١٠٠. اليازجي ، د. حليم اليازجي وآخرون ، سلسلة بحوث ودراسات في القوميّة العربيّة أعدّت بإشراف د. معن زيادة، بيروت ، معهد الإنماء العربي ، ١٩٨٣.

١٠١. يحيى ، د. جلال يحيى ، العالم العربي الحديث ، القاهرة ، دار المعارف ، بدون تاريخ النشر .

١٠٢. اليونس ، عبد اللطيف اليونس ، ثورة الشيخ صالح العلي ، دمشق ، دار اليقظة العربية ، ١٩٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطبوعات:

المذكرات

١٠٣. أرسلان، شكيب أرسلان ، سيرة ذاتية ، بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦٩.

١٠٤. الأطرش ، سلطان الأطرش ، مذكرات سلطان ذوقان الأطرش ، ١٨٩١-١٩٨٢، إعداد نبيه القاسم ، القدس، مطبعة الشرق العربية ، ١٩٧٩.

١٠٥. البارودي ، فخري البارودي ، مذكرات البارودي ، ستون سنة تتكلم ، دمشق، ١٩٥٢ ، بدون ذكر دار النشر.

١٠٦. الحكيم ، حسن الحكيم ، مذكراتي ، صفحات من تاريخ سورية الحديث ، ١٨٩٠-١٩٥٨ ، بيروت ، دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٥ ، قسمان ، القسم الاول ١٩٢٠-١٩٤١ القسم الثاني ١٩٤١-١٩٦٦.

١٠٧. داغر ، أسعد خليل داغر ، مذكراتي على هامس القضية العربية ، دار القاهرة للطابعة والنشر ، بدون تاريخ النشر.

١٠٨. سلاّم ، سليم علي سلاّم ، مذكرات سليم علي سلاّم ، ١٨٦٨-١٩٣٨ ، قدم لها حسان علي الحلاق ، بيروت ، الدار الجامعية ، ١٩٨٢ .

١٠٩. الشهبندر، د. عبد الرحمن الشهبندر ، ثورة سورية الكبرى أسرارها وعواملها ونتائجها ، مذكرات زعيمها د. عبد الرحمن الشهبندر، إعداد محمد كامل الخطيب، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٣ .

١١٠. الطنطاوي ، علي الطنطاوي ، ذكريات أدبيه ، جدة ، دار المنار ، ١٩٨٥ ، ثمان مجلدات.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١١١. العاص ، سعيد العاص ، مذكرات القائد سعيد العاص ، صفحة من !الأيام الحمراء، ١٨٨٩-١٩٣٦ ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٨.

١١٢. العظم ، خالد العظم، مذكرات خالد العظم، بيروت، الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٢، ثلاثة اجزاء .

١١٣. فيضي ، سليمان فيضي ، مذكرات سليمان فيضي في غمرة النضال ، بيروت، دار القلم ، بدون تاريخ النشر.

١١٤. علي ، محمد كرد علي ، المذكرات ، مطبعة الترقي ، ١٩٤٩ ، اربعة اجزاء.

الرسائل الجامعية :

١١٥. الريماوي ، سهيلة الريماوي ، الحياة الحزبية في سورية ، ١٩٢٠-١٩٤٥، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث من كلية الآداب، جامعة عين شمس ، باشراف الدكتور احمد عزت عبد الكريم ، سنة ١٩٧٨.

١١٦. عبد الكريم ، ناهد عبد الكريم ، المجالس النيابية في سورية ودورها في السياسية الداخلية والخارجية ، ١٩٢٠-١٩٤٣ ، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ العربي الحديث ، باشراف الدكتور احمد طربين بقسم التاريخ في كلية الاداب في جامعة دمشق سنة ١٩٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدوريات

الجرائد والمجلات:

١١٧. جريدة ألف باء ، ١٩٢٠ - ١٩٢٤ .

١١٨. جريدة الجامعة العربية ، ١٩٣٨-١٩٣٩ .

١١٩. جريدة الجزيرة ، ١٩٣٤ -١٩٣٩ .

١٢٠. جريدة الحضارة ، ١٩١٢م .

١٢١. جريدة العاصمة ، ١٩١٨-١٩٢٢ .

١٢٢. جريدة العروبة ، سنة ١٩٣٧-١٩٣٨ .

١٢٣. جريدة سورية الجديدة ، ١٩٢٠-١٩٢٢ .

١٢٤. جريدة صوت الشعب ، ١٩٣٦ .

١٢٥. مجلة الثقافة ، ١٩٣٣-١٩٣٦.

١٢٦. مجلة الحديث ، ١٩٢٧.

١٢٧. مجلة الطليعة ، ١٩٣٦ -١٩٣٧ .

١٢٨. مجلة الكوكب ، ١٩١٦ .

١٢٩.مجلة المستقبل العربي الصادرة عن مركز دراسات الوحّدة العربية، السنة الثالثة، العدد الرابع والعشرين.

١٣٠.جريدة المفيد ، ١٩١٠ م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملاحق:

ملحق رقم (١)

دستور دولة سورية

المنشور بقرار من المفوض السامي رقم ٣١١١

تاريخ ١٤ أيار (مايو) ١٩٣٠ [١]

(١) ذوقان قرقوط ، المشرق العربي في مواجهة الاستعمار .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباب الأول

أحكام سياسية

الفصل الأول :

في الدولة وأرضها

المادة الأولى : سورية دولة مستقلة ... لا يجوز السماح بأي جزء كان من أرضها .

المادة الثانية : سورية وحدة سياسية لا تتجزء .

المادة الثالثة : سورية جمهورية نيابية دين رئيسها الإسلام وعاصمتها مدينة دمشق .

المادة الرابعة : يكون العلم السوري على الشكل الآتي : طوله ضعف عرضة. ويقسم إلى ثلاثة ألوان متساوية متوازية أعلاها الأخضر فالأبيض فالأسود على أن يحتوى القسم الأبيض منها في خط مستقيم واحد على ثلاثة كواكب حمراء ذات خمسة أشعة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

في حقوق الأفراد

المادة ٥ : الجنسية السورية تحدد في قانون خاص .

المادة ٦ : السوريون لدى القانون سواء . وهم متساوون في التمتع بالحقوق المدنية والسياسية وفيما عليهم من الواجبات والتكاليف . ولا تمييز بينهم في ذلك بسبب الدين والمذهب والأصل أو اللغة .

المادة ٧ : الحرية الشخصية مصونة . ولا يجوز توقيف أحد أو حبسه إلا في الأحول المحددة في القانون ووفاقا للشكل الذي نص عليه .

المادة ٨ : كل شخص أوقف أو حبس يجب إبلاغه في خلال ٢٤ ساعة الأسباب التي دعت إلى توقيفه أو إلى حبسه وإعلامه بالسلطة التي أمرت بذلك . ويجب في المدة نفسها أن يعطى كل التسهيلات للدفاع عن نفسه .

المادة ٩ : لا جرم يستوجب الجزاء ولا عقوبة يقضى بها إلا حسب نصوص القانون .

المادة ١٠ : لا يجوز محاكمة أحد إلا في المحاكم التي يعينها القانون .

المادة ١١ : التعذيب الجسدي ممنوع . ولا يجوز أبعاد السوريين عن مواطنهم. ولا أن يكرهوا على الإقامة أو يمنعوا عن السكنى في مكان معين إلا في الأحوال المبنية في القانون والشرائط المذكورة فيه .

المادة ١٢ : للمنازع حرمة مصونة ولا يجوز دخولها إلا في الأحوال المبينة في القانون وبالشرائط المبينة فيه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المادة ١٣ : حق الملك في حمى القانون . فلا يجوز أن ينزع من أحد ملكه إلا للمصلحة العامة وفي الأحوال المنصوص عليها في القانون بعد تعويضه عنه تعويضاً عادلاً .

المادة ١٤ : المصادرة العامة في الأموال ممنوعة .

المادة ١٥ : حرية الاعتقاد مطلقة . وتحترم الدولة جميع المذاهب والأديان الموجودة في البلاد وتكفل حرية القيام بجميع شعائر الأديان والعقائد على أن لا يخل ذلك بالنظام العام ويتنافى مع الآداب . وتضمن الدولة أيضاً للأهليين على اختلاف طوائفهم احترام مصالحهم الدينية وأحوالهم الشخصية .

المادة ١٦ : حرية الفكر مكفولة . فلكل شخص حق الإعراب عن فكره بالقول والكتابة والخطابة والتصوير ضمن حدود القانون .

المادة ١٧ : الصحافة والطباعة حرتان ضمن حدود القانون .

المادة ١٨ : المراسلات البريدية والبرقية والهاتفية مكتومة من كل مراقبة وتوقيف إلا في الأحوال والطرق التي يعينها القانون .

المادة ١٩ : التعليم حر ما لم يخل بالنظام العام و يتنافى مع الآداب أو يمس كرامة الوطن أو الأديان .

المادة ٢٠ : غاية التعليم ترقية المستوى في الأخلاق والعلوم بين الأهالي وتثقيفهم على مبادئ الروح الوطنية وتحقيق الألفة والإخاء بين جميع أبناء الوطن .

المادة ٢١ : التعليم الأولى إلزامي الجميع السوريين من بنين وبنات وهو مجاني في المدارس الرسمية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المادة ٢٢: توضع برامج التعليم العام بطريقة تضمن معها وحدة التعليم .

المادة ٢٣ : تشرف الحكومة على المدارس وتراقبها .

المادة ٢٤ : اللغة العربية هي اللغة الرسمية في جميع دوائر الدولة إلا في الأحوال التي تضاف إليها بهذه الصفة لغات أخرى بموجب القانون أو بموجب اتفاق دولي .

المادة ٢٥ : حرية إنشاء الجمعيات وعقد الاجتماعات مكفولة ضمن الشروط المنصوص عليها في القانون .

المادة ٢٦ : لكل سوري لاحق في تولى الوظائف العامة ولا ميزة لأحد على الأخر إلا من حيث الشهادات أو الكفاءة وفاقا للشروط المبينة في القانون .

المادة ٢٧ : يحق للسوريين مجتمعين أو منفردين أن يقدموا للسلطات والمجلس النيابي العرائض أو الاستدعاءات في الأمور المتعلقة بأشخاصهم أو بالشؤون العامة وفاقاً للقانون.

المادة ٢٨ : حقوق الطوائف الدينية المختلفة مكفولة . ويحق لهذه الطوائف أن تنشئ المدارس لتعليم الأحداث بلغتهم الخاصة بشرط أن تراعي المبادئ المعينة في القانون .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباب الثاني

الفصل الأول

أحكام عامة

المادة ٢٩ : الأمة مصدر كل سلطة .

المادة ٣٠ : السلطة التشريعية منوطة بمجلس النواب .

المادة ٣١ : يعهد بالسلطة التنفيذية لرئيس الجمهورية الذي يتولاها بمؤازرة الوزراء ضمن الشروط المنصوص عليها في هذا الدستور .

المادة ٣٢ : لرئيس الجمهورية ولمجلس النواب حق اقتراح القوانين .

المادة ٣٣ : لا ينشر قانون إلا بعد أن يقره مجلس النواب .

المادة ٣٤ : تنفذ السلطة القضائية وفاقاً لنظام يوضع طبقاً للقانون تكون فيه للقضاة وللمتقاضين الضمانات اللازمة . والقضاة مستقلون ولا يعزلون إلا في الأحوال المنصوص عليها في القانون . وتصدر الأحكام والقرارات وتنفذ باسم الشعب السوري .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

في السلطة التشريعية

المادة ٣٥ : يؤلف مجلس النواب من أعضاء منتخبين وفاقاً لقانون الانتخاب الذي يوضع حسب المبادئ المبينة في المواد المبينة في المواد الآتية :

المادة ٣٦ : لكل سوري أتم العشرين من سنة ولم يكن ساقطاً من الحقوق المدنية أن يكون ناخباً ضمن الشروط المنصوص عليها في قانون الانتخاب .

المادة ٣٧ : تراعي في قانون الانتخاب أصول التصويت السري وتمثيل الاقليات الطائفية.

المادة ٣٨ : يشترط في النواب أن يكونوا أتموا الثلاثين من سنهم وأن يكونوا حائزين الشروط المنصوص عليها في القانون .

المادة ٣٩ : مدة النيابة أربع سنوات .

المادة ٤٠ : يجب أن تجري الانتخابات لتجديد مجلس النواب خلال الستين يوماً السابقة لإنهاء مدة النيابة .

المادة ٤١ : كيفية الانتخاب محددة في القانون ، ولكل مرشح الحق بالاشتراك في مراقبة الأعمال الانتخابية ضمن الشروط المنصوص عليها في القانون .

المادة ٤٢ : كل نائب يمثل الأمة جمعاء ولا يجوز أن يحدد وكالته بقيد أو شرط .

المادة ٤٣ : يجوز الجمع بين الوزارة والنيابة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المادة ٤٤ : يجتمع المجلس النيابي كل سنة في دورتين عاديتين ، فالدورة الأولى تبتدئ من أول يوم الثلاثاء الذي يلي الخامس عشر من شهر آذار وتنتهي في آخر شهر أيار . والدورة الثانية تبتدئ في أول يوم الثلاثاء الذي يلي الخامس عشر من شهر تشرين الأول وتظل حتى نهاية السنة . وتخصص جلسات هذه الدورة الثانية للمناقشة في الموازنة وتقريرها قبل كل عمل آخر .

المادة ٤٥ : أن افتتاح الدورات العادية واختتامها يجريان حكما في المواعيد المعينة في المادة السابقة .

ويحث لرئيس الجمهورية أن يدعو المجلس إلى دورات استثنائية ، تعين مواعيد افتتاح هذه الدورات الاستثنائية واختتامها في مرسوم .

على رئيس الجمهورية أن يدعو بمرسوم خاص المجلس النيابي إلى دورة استثنائية إذا طلبت ذلك الأكثرية المطلقة من النواب .

المادة ٤٦ : قبل أن يتولى النواب عملهم يقسمون يمين الإخلاص للامة والدستور . وتقسم هذه اليمين علنا أمام المجلس .

المادة ٤٧ : يفصل المجلس بالأكثرية في صحة الانتخابات .

المادة ٤٨ : جلسات المجلس علنية . على انه ينعقد بصورة سرية بناء على طلب الحكومة أو طلب عشرة من أعضائه ، يقرر المجلس في هذه الحالة في جلسة سرية فيما إذا كان من الواجب المناقشة سرا أم لا .

المادة ٤٩ : لا يجوز للمجلس أن يبرم قرارا إلا إذا حضر الجلسة أكثرية أعضائه المطلقة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المادة ٥٠ : تتخذ القرارات بالأكثرية البسيطة إلا إذا كان القانون ينص على خلاف ذلك . وإذا تساوت الأصوات يكون مشروع القانون مرفوضاً .

المادة ٥١ : يكون تصويت المجلس في المسائل المعروضة عليه للمناقشة برفع الأيدي أو بالقيام والجلوس أو بالتصويت العلني ، والتصويت العلني واحتجب فيما يتعلق بتقرير مجمل المشاريع والثقة . أما الانتخابات والتعيينات فتجري بالاقتراع السري .

المادة ٥٢ : لكل عضو من أعضاء المجلس أن يوجه إلى الوزراء أسئلة واستجوابات وفقا لنظام المجلس الداخلي .

المادة ٥٣ : كل طلب يتعلق بعدم الثقة يجب أن يقدم كتابة وأن يوقع عليه عشرة من النواب على الأقل . وللوزراء الحق في أن يؤجلوا المناقشة فيه إلى ثمانية أيام . ولا يتم رفض الثقة إلا بأكثرية أصوات المجلس . ولا يجوز تقديم طلب من هذا النوع في أثناء الاقتراع على الموازنة .

المادة ٥٤ : كل مشروع قانون يجب قبل المناقشة به أن يحال إلى إحدى لجان المجلس لفحصه .

المادة ٥٥ : كل مشروع قانون لم يوافق عليه المجلس لا يمكن طرحه على المجلس ثانية أثناء الدورة نفسها .

المادة ٥٦ : لا يجوز للمجلس تقرير مشروع قانون إلا بعد المناقشة فيه مادة ويجب التصويت بتعيين الأسماء لتقرير مجمل مشروع القانون .

المادة ٥٧ : يحق للمجلس التحقيق في بعض الأحوال الخصوصية الداخلية ضمن حدود اختصاصه ولك وفقا للنظام الداخلي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المادة ٥٨ : لا يجوز مؤاخذة أعضاء المجلس لما يبدونه من الآراء والأفكار في المجلس.

المادة ٥٩ : يتمتع أعضاء المجلس مدة انعقاده بالحصانة النيابية ولا يجوز اتخاذ إجراءات جزائية بحق أي نائب كان من النواب بدون موافقة المجلس إلا في حالة الجرم المشهود .

المادة ٦٠ : إذا خلا كرسي نيابي فينتخب له نائب في مدة شهرين على أن لا يتجاوز مدة النائب الجديد اجل نيابة المجلس .

المادة ٦١ : لا يعمد إلى انتخاب نائب لكرسي شاغر إذا كانت مدة نيابة المجلس الباقية اقل من ستة اشهر .

المادة ٦٢ : يضع المجلس نظامه الداخلي .

المادة ٦٣ : عند افتتاح دورة تشرين الأول يجتمع المجلس تحت رئاسة اكبر أعضائه سنا ويقوم العضوان الأصغر سنا بوظيفة أمانة السر ويعمد حالا إلى انتخاب رئيس المجلس ونائبي الرئيس وأميني السر وثلاثة مراقبين بالاقتراع السري وبالأكثرية المطلقة . وفي دورة الاقتراع الثانية تكون الأكثرية النسبية كافية وإذا تساوت الأصوات فالمرشح الأكبر سنا يعد منتخبا.

المادة ٦٤ : لا يقترع إلا النواب الحاضرون في الجلسة ولا يجوز الاقتراع بالوكالة .

المادة ٦٥ : للمجلس حق حفظ النظام في داخله بواسطة رئيسه . ولا يجوز ولاية قوة مسلحة دخول قاعة الجلسات ولا الإقامة على مقربة منها إلا بطلب الرئيس.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المادة ٦٦ : لا يجوز تقديم أي استدعاء كان إلى المجلس إلا كتابة .

المادة ٦٧ : تعويض أعضاء المجلس السنوي محدد في قانون .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

في السلطة التنفيذية

(١)

رئيس الجمهورية

المادة ٦٨ : ينتخب رئيس الجمهورية بالاقتراع السري وبأكثرية أعضاء مجلس النواب المطلقة . ويكتفي بالأكثرية النسبية في دورة الاقتراع الثالثة . وتدوم رئاسته خمس سنوات . ولا يجوز إعادة انتخابه مرة ثانية إلا بعد مرور خمس سنوات من انقضاء رئاسته .

ولا يجوز انتخاب أحد لرئاسة الجمهورية إلا إذا كان حائزا على الشروط التي تؤهله للنيابة وكان قد أتم الخامسة والثلاثين من عمره .

المادة ٦٩ : ولا يجوز الجمع بين رئاسة الجمهورية والنيابة .

المادة ٧٠ : عندما يتولى رئيس الجمهورية مهام وظيفته يجب عليه أن يحلف أمام المجلس يمين الإخلاص للامة والدستور بالنص التالي :

"اقسم بالله العظيم إني احترم دستور البلاد وقوانينها واحفظ استقلال الوطن وسلامة أراضيه" .

المادة ٧١ : أن المجلس الملتئم لانتخاب رئيس الجمهورية يشرع بهذا الانتخاب قبل كل مناقشة أخرى .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المادة ٧٢ : ينشر رئيس الجمهورية القوانين بعد موافقة المجلس النيابي عليها وبدون أن يدخل عليها أي تعديل كان . ولا يمكنه أن يعفى أحدا من التنفيذ بهذه القوانين . يوضع قانون خاص بكيفية نشر القوانين وإذاعتها .

المادة ٧٣ : لرئيس الجمهورية حق العفو الخاص . أما العفو العام فلا يمنح إلا بقانون .

المادة ٧٤ : يعقد رئيس الجمهورية المعاهدات ويوقع عليها . أما المعاهدات المتعلقة بسلامة الدولة أو ماليتها والمعاهدات التجارية وسائر المعاهدات التي لا يجوز فسخها عند انتهاء كل سنة فلا تعهد نافذة إلا بعد أن يقرها المجلس .

المادة ٧٥ : يختار رئيس الجمهورية رئيس الوزراء ويعين الوزراء بناء على اقتراح رئيسهم ويقبل استقالتهم ويعين الممثلين الأجانب ويعين الموظفين المدنيين والقضاة ويرأس الحفلات الرسمية ضمن الشروط المنصوص عليها في القانون .

المادة ٧٦ : كل قرار يتخذه رئيس الجمهورية يجب أن يشترك معه بالتوقيع عليه الوزراء المختصون . ويستثنى من ذلك تعيين رئيس مجلس الوزراء واستقالته.

المادة ٧٧ : يحق لرئيس الجمهورية أن يتخذ مرسوما بموافقة مجلس الوزراء وعلى مسؤولية هذا المجلس بحل مجلس النواب قبل انتهاء مدة نيابته القانونية . ويجب أن نذكر في المرسوم الأسباب التي دعت رئيس الجمهورية إلى حل المجلس. ويجب أن يتضمن هذا المرسوم دعوة الهيئات الانتخابية الشروع في انتخابات جديدة في خلال شهرين على الأكثر .

يدعى المجلس الجديد للاجتماع في خلال الأيام الخمسة عشر التي تلي إعلان نتيجة الانتخاب . وإذا انقضت مدة أربعة اشهر ولم تجر انتخابات جديدة أو لم يدع

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المجلس الجديد للاجتماع فيجتمع حكما المجلس المنحل ويقوم بنيابته إلى أن تجري انتخابات جديدة .

المادة ٧٨ : لا يجوز لرئيس الجمهورية أن يحل المجلس مرتين لسبب نفسه.

المادة ٧٩ : ينشر رئيس الجمهورية القوانين في خلال الشهر الذي يلي إحالتها للحكومة بعد تقريرها نهائيا . وإذا لم ينشر القانون في هذه المدة اصبح نافذا حكما . أما القوانين التي يصرح المجلس بأنها مستعجلة فيجب نظرها في خلال ثمانية أيام .

المادة ٨٠ ك يحق لرئيس الجمهورية في خلال المدة المعينة للنشر أن يطلب إعادة القانون إلى المناقشة ثانية وإذا اثبت المجلس قراره الأول بأكثرية الثلثين فيصبح القانون نافذا ووجب نشره .

المادة ٨١ : يحق لرئيس الجمهورية بالاتفاق مع مجلس الوزراء تأجيل المجلس النيابي لمدة لا تتجاوز شهرا واحدا . وليس له أن يفعل ذلك اكثر من مرة في الدورة الواحدة .

المادة ٨٢ : لا تبعة على رئيس الجمهورية بسبب أعمال وظيفته إلا في أحوال خرق الدستور أو الخيانة العظمى . أما تبعته فيما يختص في الجرائم العامة فهي خاضعة للقوانين العادية . ولا يجوز اتهامه بسبب هذه الجرائم أو بسبب خرق الدستور أو الخيانة العظمى إلا من قبل مجلس النواب بقرار من أكثرية ثلثي مجموع أعضائه . ولا تجوز محاكمته إلا من قبل المحكمة العليا كما هو منصوص في المادة ٩٧ من هذا الدستور ويعهد بوظيفة النيابة العامة لدى المحكمة العليا حينئذ إلى قاضيين تعينهما محكمة التمييز بهيئتها العامة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المادة ٨٣ : إذا اتهم رئيس الجمهورية كفت يده عن العمل وبقيت سدة الرئاسة خالية حتى صدور قرار المحكمة العليا .

المادة ٨٤ : إذا خلت سدة الرئاسة قام مجلس الوزراء بمهام السلطة التنفيذية بالوكالة .

المادة ٨٥ : قبل انتهاء ولاية رئيس الجمهورية بمدة شهر على الأقل وشهرين على الأكثر يجتمع مجلس النواب بناء على دعوة من رئيسه لانتخاب الرئيس الجديد. وإذا لم يدع المجلس لهذه الغاية فيجري الاجتماع حكما في اليوم العاشر الذي يسبق اجل انتهاء ولاية الرئيس .

المادة ٨٦ : إذا خلت سدة الرئاسة بسبب وفاة الرئيس أو استقالته أو بسبب آخر فيجتمع مجلس النواب حكما في خلال ثمانية أيام لانتخاب رئيس جديد . وإذا اتفق أن خلت الرئاسة حال وجود مجلس النواب منحلا فتدعى الهيئات الانتخابية دون إبطاء وتجتمع المجلس حكما حال الفراغ من الأعمال الانتخابية .

المادة ٨٧ : تحدد مخصصات رئيس الجمهورية في قانون . ولا يجوز زيادتها ولا نقصها في أثناء ولايته .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢

في الوزراء

المادة ٨٨ : مجلس الوزراء مهيمن على جميع دوائر الدولة . ويعقد برئاسة رئيس الوزراء لاتخاذ القرارات المتعلق بالمسائل المهمة .

المادة ٨٩ : لا يزيد عدد الوزراء عن السبعة . ويمكن اختبارهم من غير النواب .

المادة ٩٠ : الوزارة مسؤولة بالتضامن تجاه مجلس النواب فيما يختص بالسياسة العامة . ولك وزير مسؤول على الانفراد عما يتعلق بالأمور التابعة لوزارته . يقدم مجلس الوزراء بيان خطته للمجلس النيابي بواسطة رئيس الوزارة أو وزير منها .

المادة ٩١ : للوزارة الحق في حضور جلسات المجلس النيابي والتكلم فيها والاستعانة بمن يختارونه من الموظفين .

المادة ٩٢ : لا يجوز للوزراء أن يشتروا أو يستأجروا شيئا من أملاك الدولة ولو كان بالمزاد العلني ولا يجوز لهم أن يدخلوا في الالتزامات التي تعقدها الإدارات العامة ولا يجوز لهم في أثناء وزاراتهم أن يكونوا أعضاء في أي مجلس إدارة كان.

المادة ٩٣ : لا يمكن طرح طلب عدم الثقة بالوزارة أو بأحد الوزراء على الاقتراع ما لم يكن ثالثا أعضاء المجلس حاضرين . أما إذا طرحت الوزارة أو أحد الوزراء مسالة الثقة فيكتفي بوجود أكثرية الأعضاء ليتمكن المجلس م المناقشة في الأمر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على الوزارة أو الوزير الذي تقرر عدم الثقة به أن يستقيل .

المادة ٩٤ : يحق لمجلس النواب أن يقرر محاكمة الوزراء بتهمة ارتكابهم الخيانة العظمى وإخلالهم بواجبات وظيفتهم . ولا يجوز اتخاذ هذا القرار إلا بأكثرية ثلثي مجموع النواب وتحدد تبعة الوزراء الحقوقية في قانون خاص يراعي فيه مبدأ تبعة المالية تجاه الدولة .

المادة ٩٥ : يحاكم الوزير المتهم أمام المحكمة العليا .

المادة ٩٦ : على الوزير المتهم أن يترك وظيفته . ولا تحول استقالة الوزير دون إقامة الدعوى عليه أو متابعتها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع

في المحكمة العليا

المادة ٩٧ : تؤلف المحكمة العليا من خمسة عشر عضواً ، ثمانية ، نواب ينتخبهم مجلس النواب في ابتداء كل سنة وسبعة قضاة سوريين يشغلون أعلى مناصب القضاء بحسب التسلسل القضائي أو اعتبار القدم عند تساوي الدرجات وتعينهم محكمة التمييز بهيأتها العامة كل سنة.

تلتئم المحكمة العليا برئاسة أعلى القضاة رتبة وتتخذ قراراتها بأكثرية عشرة أصوات. ويتولى النيابة العامة النائب العام لدى محكمة التمييز إلا في حال محاكمة رئيس الجهورية فيتولاها قاض تعينه محكمة التمييز للشرط المنصوص عليها في المادة ٨٢ من هذا الدستور .

تحدد في قانون خاص أصول المحاكمات الواجب أتباعها لدى المحكمة العليا.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباب الثالث

المالية

المادة ٩٨ : تعرض الضرائب لأجل المنفعة العامة ، ولا يمكن جبايتها أو تحوليها أو إلغائها إلا بقانون . ولا يجوز إعفاء أحد من إحدى الضرائب إلا بقانون.

المادة : ٩٩ : تقدم الحكومة إلى مجلس النواب في بدء دورة تشرين الأول من كل سنة الموازنة العامة لنفقات الدولة ومداخليها عن السنة التالية . ويقترع على الموازنة مادة .

المادة ١٠٠ : لا يجوز مجلس النواب من خلال المناقشة بالموازنة أو بمشاريع قوانين يفتح اعتمادات إضافية أو استثنائية أن يزيد الاعتمادات المقترحة لا بطريقة التعديل ولا بطريقة الاقتراح المتقدم على حدة . ولكن يمكنه بعد انتهاء المناقشة أن يقرر قوانين من شأنها إحداث نفقات جديدة أما اللجنة النيابية التي تتولى درس مشروع الموازنة أن تعدله .

المادة ١٠١ : لا يجوز فتح أي اعتماد استثنائي إلا بقانون خاص.

أما إذا اقتضت حالة غير منتظرة لنفقات مستعجلة استطاع رئيس الجمهورية أن يتخذ مرسوماً بموافقة مجلس الوزراء لفتح اعتمادات استثنائية وإضافية أو نقل اعتمادات في الموازنة على لت لا تتجاوز هذه الاعتمادات الألفي (٢٠٠٠) ليرة في المادة الواحدة ، ويجب أن تعرض هذه التدابير على موافقة المجلس في أول يتلئم فيها بعد ذلك .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المادة ١٠٢ : إذا لم يبت المجلس نهائياً في مشروع الموازنة قبل الانتهاء من الدورة المخصصة لدرسه فيدعو رئيس الجمهورية المجلس إلى دورة استثنائية تنتهي في آخر كانون الثاني لمتابعة المناقشة ف الموازنة .

وفي هذه الحال تفتح اعتمادات مؤقتة بموجب مرسوم على أساس جزء من أثنى عشر جزءاً من السنة المالية السابقة وفي هذه المدة تجبى الضرائب والرسوم وتنفق المصاريف وفقاً للقوانين النافذة .

وإذا انقضت هذه الدورة الاستثنائية ولم يبت المجلس نهائياً بالموازنة فلرئيس الجمهورية أن يتخذ مرسوماً بموافقة مجلس الوزراء يجعل فيه مشروع الموازنة نافذاً في الشكل الذي قدم فيه إلى المجلس .

ولا يجوز لرئيس الجمهورية استعمال هذا الحق إلا إذا كان مشروع الموازنة قد طرح على المجلس قبل ابتداء الدورة بخمسة عشر يوما على الأقل.

المادة ١٠٣ : يجب أن تعرض الحسابات النهائية لكل سنة مالية مقفلة على المجلس النيابي في غضون سنتين على الأكثر ابتداء من انتهاء تلك السنة . يوضع قانون خاص لإنشاء ديوان محاسبة للنظر في جميع المداخل والمصاريف . يكون هذا الديوان مستقلاً ولا يعزل أعضاؤه إلا في الأحوال المنصوص عليها في القانون وبعد موافقة مجلس النواب .

المادة ١٠٤ : لا يجوز عقد قرض عام ولا تعهد يترتب عليه إنفاق من خزينة الدولة إلا بقانون .

المادة ١٠٥ : لا يجوز منح امتياز يتعلق باستثمار مورد من موارد ثروة البلاد الطبيعية أو مصلحة ذات منفعة عمومية ولا أي احتكار من شانها أن تفيد مالية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البلاد إلا بموجب قانون . ولا يجوز منح هذه الامتيازات والاحتكارات إلا لزمن محدود .

المادة : ١٠٦ : نظام النقد محدد في القانون .

المادة ١٠٧ : يجتهد في أن تكون القوانين الاقتصادية مؤمنه لتنمية الصناعات المحلية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع

في تعديل الدستور

المادة ١٠٨ : يجوز للمجلس النيابي في خلال دورة عادية وبناء على اقتراح ثلث أعضائه أو بناء على طلب رئيس الجمهورية بالاتفاق في هذا الصدد مع مجلس الوزراء أن يبدي بأكثرية ثلثي أعضائه رغبته في تعديل الدستور . ويجب أن تذكر هذه الرغبة بكل وضوح المواد المطلوب تعديلها . ويبت المجلس النيابي في تعديل هذه المواد أثناء دورته العادية التالية ولا يجوز أن يقرر هذا التعديل إلا بأكثرية ثلثي المجلس .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباب الخامس

أحكام مختلفة

المادة ١٠٩ : تحدد مناطق الإدارة واختصاصاتها بقانون خاص تراعي فيه الحالة الخاصة ببعض هذه المناطق .

المادة ١١٠ : يوضع قانون خاص بتنظيم الجيش الذي سينشأ .

المادة ١١١ : تبقى الشرائع الحاضرة نافذة إلى أن تعدل بقوانين جديدة .

المادة ١١٢ : يحق لرئيس الجمهورية بناء على اقتراح مجلس الوزراء إعلان الأحكام العرفية في المناطق التي تحدث فيها اضطرابات بشرط يعلم المجلس حالا بذلك وإذا كان المجلس في العطلة دعاه رئيس الجمهورية بدون تأخير للاجتماع .

المادة ١١٣ : تقوم بشؤون العشائر البدوية إدارة خاصة تحدد وظائفها في قانون تراعي فيه حالتهم الخصوصية .

المادة ١١٤ : الأوقاف الإسلامية هي بوجه عام ملك الطائفة الإسلامية دون سواها . ويدير شؤونها مجلس ينتخبها المسلمون . ويوضع قانون خاص بكيفية انتخاب هذه المجالس وبسلطاتها .

المادة ١١٥ : رئيس الجمهورية الأول ينتخبه مجلس النواب وفقا لأحكام الدستور .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباب السادس

أحكام مؤقتة

المادة ١١٦ : ما من حكم من أحكام الدستور يعارض ولا يجوز أن يعارض التعهدات التي قطعتها فرنسا على نفسها فيما يختص بسورية لا سيما ما كان منها متعلقا بجمعية الأمم .

يطبق هذا التحفظ بنوع خاص على المواد التي تتعلق بالمحافظة على النظام وعلى الأمن وبالدفاع عن البلاد وبالمواد التي لها شان بالعلائق الخارجية .

ولا تطبق أحكام هذا الدستور التي من شانها أن تمس بتعهدات فرنسا الدولية فيما يختص بسوريا في أثناء مدة هذه التعهدات إلا ضمن الشروط التي تحدد في اتفاق يعقد بين الحكومتين الفرنسية والسورية .

وعليه أن القوانين المنصوص عليها في مواد هذا الدستور والتي قد يكون لتطبيقها علاقة بهذه التبعات لا يتناقش فيها ولا تنشر وفقا لهذا الدستور إلا تنفيذا لهذا الاتفاق .

أن القرارات ذات الصفة التشريعية أو التنظيمية التي اتخذها ممثلو الحكومة الفرنسية لا يجوز تعديلها إلا بعد الاتفاق بين الحكومتين .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المواد المختلف عليها

١- كما وردت في نص الدستور الذي وضعته الجمعية التاسيسية .

المادة ٧٢ : البلاد السورية المنفصلة عن الدولة العثمانية وحدة سياسية لا تتجزء ولا عبرة بكل تجزئه طرأت عليها من ذ نهاية الحرب العامة .

المادة ٧٣ : لرئيس الجمهورية حق العفو الخاص أما العفو العام فلا يمنع إلا بقانون.

المادة ٧٤ : يتولى رئيس الجمهورية عقد المعاهدات الدولية وإبرامها أما المعاهدات التي تنطوي على شروط تتعلق بسلامة البلاد أو بمالية الدولة أو المعاهدات التجارية وسائر المعاهدات التي لا يجوز فسخها سنة فسنة فلا تعد نافذة إلا بعد موافقة المجلس عليها .

المادة ٧٥ : يختار رئيس الجمهورية رئيس الوزراء ويعين الوزراء بناء على اقتراح رئيسه ويقبل استقالتهم ويولى الممثلين السياسيين ويقبل الممثلين السياسيين الأجانب ويعين الموظفين الملكيين والقضاة ضمن حدود القانون ويرأس الحفلات الرسمية .

المادة ١١٠ : تنظيم الجيش السوري الذي سيؤلف يكون بقانون خاص .

المادة ١١٢ : لرئيس الجمهورية أن يعلن بناء على اقتراح الوزارة الأحكام العرفية في الأماكن التي تحدث فيها اضطرابات وقلاقل ويجب أن يعلن المجلس النيابي بإعلان الأحكام المذكورة فورا وإذا لم يكن المجلس مجتمعا فيدعوه على وجه السرعة .

٢- كما وردت في الدستور المذاع في دمشق في ٢٢ مايو (أيار) ١٩٣٠ .

المادة ٧٢ : سورية وحدة سياسية لا تتجزء .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المادة ٧٣ : بقيت هي نفسها .

المادة ٧٤ : يعقد رئيس الجمهورية المعاهدات ويوقع عليها . أما المعاهدات المتعلقة بسلامة الدولة وماليتها التجارية وسائر المعاهدات التي لا يجوز فسخها عند انتهاء كل سنة فلا تعد نافذة إلا بعد أن يقرها المجلس .

المادة ٧٥ : يختار رئيس الجمهورية رئيس الوزراء ويعين الوزراء بناء على اقتراح رئيسهم ويقبل استقالتهم ويعين الممثلين في الخارج . ويقبل الممثلين الأجانب ويعين الموظفين الملكيين والقضاة ويرأس الحفلات الرسمية ضمن الشروط المنصوص عليها في القانون .

المادة ١١٠ : يوضع قانون خاص بتنظيم الجيش الذي سينشأ .

المادة ١١٢ : يحق لرئيس الجمهورية بناء على اقتراح مجلس الوزراء إعلان الأحكام العرفية في المناطق التي تحدث فيها اضطرابات بشرط أن يعلم المجلس حالا بذلك وإذا كان المجلس في العطلة دعاه رئيس الجمهورية بدون تأخير للاجتماع.

المادة ١١٦ : التي وضعها المفوض السامي : في باب الأحكام المؤقتة . ما من حكم من أحكام الدستور يعارض ولا يجوز أن يعارض التعهدات التي قطعتها فرنسا على نفسها فيما يختص بسورية ولا سيما ما كان منها متعلقا بجمعية الأمم .

يطبق هذا التحفظ بنوع خاص على المواد التي تتلق بالمحافظة على النظام وعلى الأمن وبالدفاع عن البلاد وبالمواد التي لها شان بالعلائق الخارجية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا تطبق أحكام هذا الدستور التي من شانها أن تمس بتعهدات فرنسا الدولية فيما يختص بسورية في أثناء مدة هذه التعهدات إلا ضمن الشروط التي تحدد في اتفاق يعقد بين الحكومتين الفرنسوية والسورية .

وعليه أن القوانين المنصوص عليها في مواد هذا الدستور والتي قد يكوم لتطبيقها علاقة بهذه التبعات لا يتناقش فيها ولا تنشر وفقا لهذا الدستور إلا تنفيذا لهذا الاتفاق .

إن القرارات ذات الصفة التشريعية أو التنظيمية التي اتخذها ممثلو الحكومة الفرنساوية لا يجوز تعديلها إلا بعد الاتفاق بين الحكومتين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Abstract

Political Thought In Syria During the French Mandate 1920-1946

Prepared by

Mustfa Abd Al-Rahmane Al-Assaf

Supervisor

Prof. Ali Mahafzah

The post World War 1 era formed an important period of change in the Arab world at the thought , political , social and economic levels. This change was manifested in the defeat of the Ottoman empire that used to rule the Arab world. The Ottoman empire was then replaced by the western colonization which had different forms and names such as colonization , mandate, etc. A new situation emerged and contact with the west became direct. The consequences of that stage are still manifest these days. ٤٩٣٩٨٠

Bilad at sham, in general, and Syria in particular has been influential in the Arab world. During the french mandate and the end of the. 19 Th. century, Syria played the major role in shaping thought

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

patterns in the Arab world. The important role that Syria played motivated the researcher to investigate this topic. This study consists of four chapters. The first chapter investigated the period 1850-1920 because of the many common features that characterize this period. These features and conditions led to the development of the Arab Nationalim at a time when the followers of the party of Ittihad wa al-Taraqqi we active in practising racism. Finally, the Arabs became independent of the Turks.

The second chapter entitled "Thought movements and their political Organizations" was devoted to the study of :

A. The Islamic movement which stemmed from the fact that the Syrian people were Muslims.

B. The national trend which always emphasized Arabism as an identity to all Arabs in the Arab World.

C. The regional trend which developed during the mandate period: This movement aimed at improving the regional conditions at the level of each country.

The third chapter discussed the attitude of the political thinkers in Syria towards the mandate and the national unity.

The fourth chapter entitled "Political thought and International political theories" examined the relationship between political thought in Syria and Europe.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit